بيتر ستراوب - ستيفن كينج

التعويذة

الجزء الثالث - تصادم العوالم

ترجمة: منى عبد اللطيف

سما للنشر والتوزيع

ساحر الكتب

© 2026، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ج.م.ع.

تحذير: هذا المؤلف محمي بموجب قوانين حقوق التأليف والطبع والنشر والاتفاقيات الدولية، ولا يجوز استنساخ أي جزء منه أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك دون إذن مُسبق من الناشر، وأي نسخ أو توزيع غير مُصرح به كتابيًّا من الناشر لهذا المؤلف أو لجزء منه، قد ينتج عنه الملاحقة القانونية المدنية والجزائية إلى أقصى حدود القانون.

إشراف عام: نجلاء محمد رضا قاسم

اســم الـكـتـاب:التعويذة ج 3 - تصادم العوالم
اســـم المؤلـف:بيتر استوب - ستيفن كينج
اســـم المترجم :منى عبد اللطيف
النـــاشـــــر: سما للنشر والتوزيع
إخـراج داخـلى :محمد على حنفى
الترقيـم الـدولى:978-977-781-849-0
رقـــم الإيـداع:2026/4570

دار سما للنشر والتوزيع
15 يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة - ج.م.ع.
تليفون: 24517300 202+ / 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com

الفصل العشرون
في قبضة القانون
1

بحلول الثانية بعد الظهر، كانا قد ابتعدا مئة ميل إلى الغرب، شعر جاك سوير وكأنه كان يركض أيضًا مع القمر... مضت الساعات بانسيابية عجيبة.

وعلى الرغم من جوعه الشديد، راح يرتشف الماء من العلبة الصدئة ببطء، منتظرًا أن يصحو وولف.

وأخيرًا تحرّك وولف، وقال بصوته العميق

"الآن جاهز يا جاك."

ثم رفع الصبي على ظهره، وركض بخطواتٍ خفيفة نحو بلدة دايلفيل.

جلس وولف على الرصيف خارج مطعم «برجر كينج"، محاولًا أن يبدو غير ملحوظ، بينما دخل جاك.

أجبر نفسه أولًا على الذهاب إلى دورة المياه، خلع قميصه حتى الخصر، وغسل يديه وذراعيه وصدره ووجهه.

تسللت رائحة اللحم المشوي إلى أنفه رغم الجدران والباب المغلق فسال لعابه...

ثم انحنى تحت الصنبور وغسل شعره بالصابون السائل.

2

تساقطت من حوله أوراق المناشف الورقية، واحدة تلو الأخرى، كأوراقٍ ذابلة بعثرتها الريح.

وأخيرًا خرج إلى المنضدة، شعره ما زال مبلّلًا، والفتاة بزيّها الرسمي تحدّق فيه بينما يطلب طعامه.

كان يظن أن السبب هو شعره، لا أكثر.

وعندما عادت لتقف في انتظار تجهيز الطلب، لم تكفّ عن النظر إليه، بعينين فيهما فضول أكثر من اللباقة.

أخذ جاك أول قضمة من شطيرته بينما كان يدير وجهه نحو الأبواب الزجاجية.

تدفّقت العصارة على ذقنه، ومن شدة جوعه لم يكترث للمضغ.

ثلاث قضمات ضخمة ابتلعت معظم الشطيرة الكبيرة، وحين هم بالرابعة رأى عبر الزجاج مجموعة أطفال أحاطوا بوولف.

تجمّد الطعام في فمه، وانكمش بطنه كأنه اصطدم بصخرة.

اندفع إلى الخارج، ما زال يحاول أن يبتلع المزيج العالق في حلقه من اللحم المفروم والخبز المترهّل والمخللات والخسّ والبندورة والصلصة.. مزيجٌ ثقيل كالرصاص.

أحاط الأطفال بوولف من ثلاث جهات، يحدّقون فيه بصراحةٍ طفولية، تمامًا كما فعلت النادلة مع جاك.

انكمش وولف في جلسته على الرصيف، بظهر مقوّس، ورقبة مطوية إلى الداخل كسلحفاةٍ خجلى.

كانت أذناه مسطّحتين فوق رأسه، وعندما حاول جاك أن يبلع، انزلقت اللقمة في حلقه بصعوبة بالغة.

رفع وولف عيناه وبنظرة جانبية لمح جاك، فتنفس بارتياح وقتما رآه.

على بعد خطوات، فتح رجل طويل في العشرينات باب شاحنةٍ حمراء قديمة، واتكأ على جانبها مبتسمًا، يراقب المشهد.

قال جاك بنبرةٍ متصنع اللامبالاة

"خذ شطيرتك يا وولف."

ناولَه العلبة، فشمّها وولف أولًا، ثم رفع رأسه وأخذ قضمةً ضخمة من العلبة ذاتها.

راح يمضغها ببطءٍ عجيب.

اقترب الأطفال أكثر، مبهورين، وبعضهم يضحك بخفة.

سألت فتاةٌ صغيرة بشعرٍ أشقر مضفور بشريطةٍ وردية

"ماذا يكون؟.. هل... هو وحش؟"

ودفع صبيٌ ذو شعرٍ مقصوص إلى الأمام قائلًا

"لا، هذا هو هالك! بالتأكيد هو هالك(1)، أليس كذلك؟ نعم؟

ها؟»

كان وولف قد أخرج ما تبقى من الشطيرة من داخل العلبة، ودفعها كلها في فمه براحته الكبيرة.

تساقطت خيوط الخس بين ركبتيه، وتلطّخ وجهه بالمايونيز وعصارة اللحم،

كل شيء تحوّل إلى عجينةٍ بنّيةٍ ثقيلة سحقها بين أسنانه العظيمة.

ولمّا ابتلعها، بدأ يلعق داخل العلبة.

أخذ جاك العلبة برفقٍ من بين يديه وقال للأطفال

"لا، إنه ابن عمي. ليس وحشًا ولا هو هالك.. لماذا لا تتركونا وشأننا؟ هيا، ابتعدوا قليلًا."

لكنهم ظلّوا يحدّقون.

ووولف يلعق أصابعه.

حذرهم جاك بهدوء

"لو واصلتم النظر إليه هكذا، قد يغضب... ولا أحد يعرف ما قد يفعل حين يغضب."

تراجع الصبي الأشقر خطوة إلى الوراء، وقد تخيّل تحوّل "بروس بانر" بعينيه، وتبعه الآخرون مترددين.

قال جاك

"اذهبوا الآن، أرجوكم."

لكنهم تجمّدوا في أماكنهم.

وفجأة نهض وولف، ضخمًا كجبل، قبضتاه مشدودتان، وصاح بصوتٍ هادرٍ ارتجّت له النوافذ

"لعنة الله عليكم، لا تنظروا إليّ! لا تجعلوني أشعر بالغرابة! الجميع يجعلني أشعر بالغرابة!»

تفرّق الأطفال في هرجٍ وصراخ، وولّوا هاربين عبر الشارع الرئيسي لدايلفيل حتى غابوا عن الأنظار.

وقف وولف يلهث، وجهه محمَرّ، ثم ضمّ ذراعيه إلى صدره ونظر إلى جاك بعينين خجولتين..

"لم يجب على وولف الصراخ... إنهم محض صغار."

قال صوتٌ من قرب الشاحنة

"خوفهم منك يهذبهم بعض الشيء."

التفت جاك، فرأى الشاب نفسه صاحب الشاحنة الحمراء وما زال يبتسم.

قال وهو يقترب بخطواتٍ هادئة

"ما رأيت مثل هذا في حياتي.. أأنتم أولاد عمّ فعلًا؟»

أومأ جاك بتحفّظ.

رفع الرجل يديه كمن يعلن براءته وقال بلطف

"لم أقصد التطفل والمضايقة، إنما يبدوا أنكم قادمين من سفر طويل.."

كان شابًا أسود الشعر، يرتدي قميصًا ملوّنًا وسترةً بلا أكمام، في ملامحه طيبة الطريق الطويل.

نظر جاك إلى وولف الذي ظلّ مطأطئ الرأس، محتضنًا نفسه في إحراجٍ وغضبٍ صامت.

قال الرجل

"صدقوني، كنت مكانكم يومًا ما.. أتدرون؟ إن أول شيء فعلته بعدما أنهيت المرحلة الثانوية من دايلفيل، هو أنني شددت الرحال لشمال كاليفورنيا وعدت مشيا وركوبًا إذا كنتم متجهين إلى الغرب، يمكنني إيصالكم لأقرب مسافة."

همس وولف بقلقٍ جهيرٍ يكاد يكون زئيرًا

"لا يمكننا يا جاكي."

سأل جاك

"إلى أي مدى غربًا؟ نحاول نوصل سبرينغفيلد، لي صديق هناك."

رد الشاب مبتسمًا

"لا يهم سينيور.. أنا مسافر لقرب الحدود، جهة كايوغا.. وخلال ساعة ونصف كحد أقصى، ستكونون قد قطعتم منتصف الطريق."

كزّر وولف بحنجرته الخشنة

"لا نستطيع."

قال الرجل

"لكن هناك مشكلة صغيرة وهي أن المقعد الأمامي ملئ بالأغراض، ويجب على أحدكم الركوب في الخلفية حيث الهواء شديد بعض الشيء."

أجاب جاك بصدقٍ عفوي

"هذا ممتاز، لا يمكنك تخيل كم هذا ممتاز، ستجدنا هنا في انتظارك حين تعود."

بدأ وولف يتلوّى بقلقٍ طفولي، فمال جاك نحوه هامسًا فور دخول الرجل إلى المطعم.

وحين عاد الشاب واسمه بيل "بَك" طومسون بعد دقائق، وهو يحمل صندوقين من شطائر "وبر"، وجد وولف جالسًا بهدوءٍ مهيب في مؤخرة الشاحنة، راحتيه على الحافة، فمه نصف مفتوح وأنفه مرفوع كأنه يستنشق العالم كله.

جلس جاك في المقعد الأمامي، محشورًا بجانب أكياسٍ بلاستيكية كبيرة محكمة الغلق، تفوح منها رائحة معطّرٍ قوي يخفي ما بداخلها من أغصانٍ خضراء مملوءةٍ ببراعم صغيرة.

قال بَك وهو يناوله صندوقًا آخر

"شعرت أنكما لم تشبعا."

ثم رمق وولف بابتسامةٍ مشاكسة

"ظننته سيتناولها بأسنانه، بالطبع لا أقصد الإساءة لابن عمك."

ثم ضحك وناول جاك العلبة الثانية.

"خذ هذه لقد قضى على الأولى تمامًا."

وانطلقوا من جديد، لمائة ميلٍ أخرى إلى الغرب.

كان وولف في المؤخرة يكاد يطير من النشوة، الريح تعصف بوجهه، والروائح المتشابكة تتهادى في أنفه كأنها موسيقى من آلاف النغمات.

عيناه تشعّان، وأنفه يتحرك يمينًا ويسارًا في نشوةٍ بريةٍ ساحرة.

وباك طومسون يتحدث عن نفسه كريفي، لم يصمت لحظةً طوال خمسٍ وسبعين دقيقة قطعوا فيها الطريق، ولم يوجّه إلى جاك سؤالًا واحدًا.

وحين مال بالشاحنة إلى طريقٍ ترابيٍّ ضيّق خارج بلدة كايوغا، وتوقّف قرب حقلٍ من الذرة يمتدّ كبحرٍ أخضر لا نهاية له، أخرج من جيب قميصه سيجارةً ملتفّة بورقٍ أبيض رقيق، غير متساوية الأطراف، وقال مبتسمًا

"سمعت من قبل عن العيون الحمراء... لكن ابن عمّك هذا شيء آخر."

ووضع السيجارة في يد جاك.

"أعطه بعضًا منه حين يتحمس أكثر من اللازم، بأوامر من الطبيب."

أومأ جاك بشرود، ثم وضع السيجارة في جيب قميصه، ونزل من الكابينة وقال

"شكرًا يا باك!"

ضحك الرجل وهو يشغّل المحرّك

"وأنا من ظننت أني رأيت كل شيء، لكن طريقته بالأكل... كيف تأمره بالتحرك؟ تصيح فيه (هَش! هَش!) مثل الكلاب؟»

وما إن أدرك وولف أن الرحلة انتهت، حتى قفز من الصندوق الخلفي بخفةٍ مدهشة،

تحرّكت الشاحنة مبتعدة، مخلفة ذيلًا من الغبار الذهبي الذي تلألأ في ضوء الشمس المائل.

هتف وولف، ضاحكًا كطفلٍ خرج من حلمٍ سعيد

"جاكي! يجب أن نفعلها مرة ثانية!»

ابتسم جاك قائلًا

"ليتنا نستطيع، يا وولف... تعال، نمشِي قليلًا.. حتى يأتي أحدهم ونتابع الطريق.»

كان يشعر بأن الحظّ قد عاد إليه أخيرًا، وأن الحدود مع

إلينوي باتت قريبة، وأن كل شيء سيصبح أسهل حين يصل إلى سبرينغفيلد، إلى مدرسة ثاير، وإلى ريتشارد.

لكن عقل جاك ظلّ عالقًا في ظلال «المخزن» حيث تمتزج الحقيقة بالوهم، ويتضخّم الخطر حتى يغمر الضوء.

ولمّا بدأت الأشياء السيئة تعود، وقد عادت بسرعةٍ أفقدته السيطرة على كل شيء...

ومضى زمنٌ طويل قبل أن يرى جاك أرض إلينوي...

وخلال ذلك الزمان، وجد نفسه عائدًا إلى المخزن من جديد...

2

تلك السلسلة المذهلة من الأحداث السريعة التي قادت إلى بيت أشعة الشمس بدأت بعد عشر دقائق فقط من مرور الصبيين بجانب لافتةٍ صغيرةٍ قاسية الملامح على الطريق، تُخبرهم بأنهم الآن داخل حدود كايوغا وعدد سكانها 23,568.

لكن كايوغا نفسها لم تكن تُرى من أي اتجاه.

إلى يمينهما كان حقل الذرة يمتد إلى ما لا نهاية، متموّجًا كبحرٍ من السنابل، وعلى اليسار انبسطت أرضٌ عاريةٌ سمحت لهما بأن يريا الطريق وهو ينعطف في انحناءةٍ قصيرة، ثم يمتد كالسهم نحو الأفق المسطّح البعيد.

وفور أن أدرك جاك أنهما على الأرجح سيضطران للترجل إلى قلب البلدة كي يحصلا على توصيلةٍ أخرى، ظهرت سيارةٌ على الطريق، تشقّ طريقها نحوهما بسرعةٍ عالية.

"أركب في الخلف؟" صاح وولف بفرح، رافعًا ذراعيه عاليًا فوق رأسه مرددا «وولف يركب في الخلف! هنا والآن!"

قال جاك وهو يتابع السيارة بعينيه "إنها تسير في الاتجاه الخطأ.. فقط كن هادئًا ودعها تمرّ، وولف.. أنزل ذراعيك، وإلا ظنّ أنك تشير إليه بالتوقّف."

أنزل وولف ذراعيه على مضض، كانت السيارة قد وصلت

تقريبًا إلى المنعطف الذي سيسوقها لأمام الصبيين مباشرة.

سأل وولف وهو يقطّب حاجبيه ببراءةٍ تكاد تكون طفولية "لن أركب في الخلف الآن؟"

هزّ جاك رأسه نافيًا.

كانت عيناه معلّقتين بشارةٍ بيضاوية مطلية على باب السيارة المغبرّ.. ربما كانت تقول لجنة الحدائق الريفية، أو هيئة الحياة البرّية التابعة للولاية، وربما كانت تخصّ مكتب الزراعة أو دائرة صيانة الطرق في كايوغا.

لكن حين استدارت السيارة في المنعطف، أيقن جاك بوضوح أنها سيارة شرطة.

همس بصرامة «إنه شرطي يا وولف.. فقط تابع السير، وتحلّ بالهدوء.. لا نريده أن يتوقف."

انخفض صوت وولف إلى نغمةٍ غليظةٍ قاتمةٍ وهو يحدّق في السيارة التي تقترب منهما مباشرة "ما هو الشرطي؟ هل يقتل الذئاب؟"

قال جاك سريعًا "لا، أبدًا، لا يقتلون الذئاب أبدًا."

لكن كلامه لم يُجدِ نفعًا، فقد قبض وولف على يد جاك بيده المرتجفة.

توسّل جاك بصوتٍ خافت "دع يدي يا وولف، أرجوك، سيظنّ أن الأمر غريب."

أفلت وولف يده أخيرًا.

ومع اقتراب سيارة الشرطة منهما، ألقى جاك نظرةً على السائق، ثم استدار إلى الخلف بضع خطوات ليراقب وولف.

ما رآه لم يكن مشجعًا... كان وجه الشرطي عريضًا، مترهّل الملامح، حيث تتدلّى طبقاتٌ من الدهن مكان وجنتيه الغائبتين، والسلطة تفيض من نظراته كما يفيض العرق من جبينه.

أما الخوف، فكان واضحًا على وجه وولف؛ عيناه متسعتان، أنفه يرتجف، وأسنانُه بارزةٌ كمن يتهيأ للدفاع عن نفسه.

قال جاك ليخفف التوتر "أنت حقًا أحببت الركوب في مؤخرة الشاحنة، أليس كذلك؟"

اختفى بعض الرعب عن وجه وولف، وكاد يبتسم.

مرّت سيارة الشرطة مزمجرةً بجانبهما، وشعر جاك بالسائق يدير رأسه ليتفحّصهما.

زفر جاك بهدوء "حسنًا، لقد مضى في طريقه.. نحن بخير الآن يا وولف."

لكنّه لم يكد يتمّ جملته حتى سمع صوت السيارة يعود مجددًا، هديرها يعلو خلف الطريق.

صرخ وولف "الشرطي يعود!"

قال جاك محاولًا أن يبقى هادئًا "ربما كان عائدًا إلى كايوغا

فحسب.. استدر، وتصرّف مثلي، لا تحدّق فيه."

راحا يسيران بخطواتٍ ثابتة، متظاهرَين بتجاهل السيارة التي تباطأت خلفهما عمداً..

ثم أطلق وولف صوتًا بين الأنين والعواء، كأنه حيوان حُشر في زاوية.

انحرفت السيارة فجأة إلى وسط الطريق، تجاوزتهما، ثم أضاءت مصابيحها الخلفية، وتوقفت بعرض الشارع أمامهما.

فتح الشرطي بابه، ألقى قدميه على الأرض، ثم رفع جسده من المقعد بتثاقل واضح.

كان بطول جاك تقريبًا، لكنّ وزنه متركّزٌ كله في بطنه ووجهه، بينما ساقاه نحيلتان كغصنين، وذراعاه عاديتان.

وقد أحكم حول بطنه حزام جلدي عريض فاندفع من جانبيه كديكٍ محشوٍّ فوق طاقته.

قال الشرطي بصوتٍ متثاقلٍ ساخر "ما قصتكما إذًا؟ هيا، تكلّما."

تقدّم وولف بخطواتٍ حذرة، وانكمش خلف جاك، منكّس الرأس، منكفئ الكتفين، ويداه مدسوستان عميقًا في جيبي سرواله الواسع.

تحدث جاك بصوتٍ هادئٍ، حذر

"نحن في طريقنا إلى سبرينغفيلد يا حضرة الضابط... كنا

نستوقف السيارات... أعني، نطلب توصيلة، أظن أننا لم نكن يجب أن نفعل ذلك»

رفع الشرطي حاجبيه ببطء، وقال ساخرًا وهو يضغط كلماته كمن يعلكها

"تظن أنك ما كان يجب أن تفعل؟ يا للسخرية... يا للعجب. ومن هذا المختبئ وراءك؟ ووكي؟"

قال جاك متسرّعًا "إنه ابن عمي."

وفي لحظةٍ سريعةٍ من الذعر، لهث ذهنه شتتًا لابتكار قصةٍ تنقذهما

"آه، أنا آخذُه إلى البيت... حيث يعيش مع عمّتي هيلين أعني، عمّتنا... إنها معلّمة في سبرينغفيلد.. لقد كان يقيم معنا في دايلفيل، والآن نعيده إليها."

أطلق الشرطي زفيرًا ساخرًا، وقال

"وهل هو أحد الهاربين؟"

أسرع جاك بالنفي

"لا، لا، أبدًا! فقط..."

قاطعه الضابط وهو يحدّق في وجهه بعينين باردتين كصفحتَي معدن

"الأسماء."

تجمّد جاك لحظةً في مأزقٍ حرج... إن غيّر اسمه سينكشف الكذب حالًا لأن وولف لا بدّ أن يناديه باسمه الحقيقي.

فقال ببطء "أنا جاك باركر، وهذا هو..."

قاطعَه الشرطي رافعًا يده

"توقّف. أريد أن أسمع منه هو.. هيا أيها الغبي، ألا تذكر اسمك يا عبقري؟"

تحرّك وولف باضطرابٍ خلف جاك، غارسًا ذقنه في ياقة سرواله المتّسخ، وهمهم بشيءٍ غير واضح.

قال الشرطي متصنّعًا اللطف

"لم أسمعك يا بنيّ."

همس وولف "وولف."

"وولف، ها؟ كان عليّ أن أخمّن.. ما اسمك الأول؟ أم أنهم أعطوك رقمًا بدلًا من اسم؟"

كان وولف قد أطبق عينيه بشدّة، وساقاه تلتفّان الواحدة بالأخرى كمن يقاوم الرعب نفسه.

قال جاك بسرعة "فيل... اسمه فيل."

لكن وولف رفع رأسه فجأة، واستقام كمن انتفض من كابوس، وصاح بأعلى صوته، مزلزلًا الهواء...

"جاك! جاك! جاك وولف!"

تدارك جاك الموقف محاولًا تلطيف الكارثة

"نعم، أحيانًا نناديه جاك... يحبّ أن يشعر بأننا متشابهان، وأنا الوحيد الذي يهدّئه حين يثور.. ربما أمكث معه في سبرينغفيلد أيامًا لأتأكد من استقرار حالته."

قال الشرطي، متجاهلًا تفسيره، بنبرةٍ مشبعةٍ بالتهكّم

"لقد سئمت صوتك يا جاك الولد... هيا أنت وهذا الفيل-جاك إلى المقعد الخلفي، وسنذهب إلى المدينة ونفهم القصة على أصولها."

لم يتحرّك جاك، فأمال الشرطي يده إلى مقبض المسدس الكبير المتدلّي من حزامه المشدود.

"إلى السيارة.. أولًا هو.. أريد أن أعرف لماذا تمشيان على بُعد مئة ميل عن بيتكما في يوم دراسة... في السيارة، الآن!"

قال جاك بارتباك

"حسنًا، حضرة الضابط..."

لكن وولف أجشّ صوته فجأة

"لا.. لا يمكن."

تدخّل جاك على عجل

"ابن عمي عنده مشكلة، يا سيدي.. يخاف الأماكن المغلقة، العربات والسيارات تجنّنه، لا نركب إلا الشاحنات المفتوحة كي يمكث في الهواء الطلق."

قال الضابط بنبرةٍ قاطعةٍ لا تقبل التبرير

"إلى السيارة."

ثم فتح الباب الخلفي بنفسه.

صرخ وولف بصوتٍ مبحوحٍ متهدّجٍ كعواءٍ في وادٍ مغلق

"لا أستطيع! وولف لا يستطيع! رائحتها كريهة يا جاكي، كريهة!"

كان أنفه يتقلّص وشفته العليا ترتفع في تقاطع مشتت بين الاشمئزاز والخوف.

قال الشرطي مخاطبًا جاك

"إما أن تُدخله بنفسك، أو سأفعلها أنا."

أمسك جاك بيده وقال بلطفٍ يائس

"لن يطول الأمر يا وولف، أعدك.. فقط قليلاً."

سمح له وولف على مضض أن يقوده نحو الباب، يجر ساقيه على الأسفلت كمن يُساق إلى مصيره.

بدا للحظة أن الأمر سينجح حيث اقترب بما يكفي ليلمس إطار الباب المعدني،

لكن فجأةً اهتزّ جسده بأكمله، وقبض على حافة السقف بكلتي يديه، كأنه ينوي تمزيق السيارة نصفين.

قال جاك متوسلًا

"أرجوك... علينا أن نفعل."

لكنّ وولف كان غارقًا في ذعرٍ لا يُوصف، والاشمئزاز يطفو على وجهه.

أخذ يهزّ رأسه بعنف، واللعاب يتطاير من فمه ويسيل على سقف السيارة.

تحرّك الشرطي بسرعة، دار حول جاك، وفكّ قفلًا في حزامه.

لم يكن مسدسه.

رأى جاك اللمعة السوداء للعصا القصيرة قبل أن يهوي بها الشرطي بخبرةٍ على مؤخرة عنق وولف.

تهاوى جسده العملاق على سقف السيارة أولًا، ثم انزلق برفقٍ مذهلٍ إلى الطريق الترابيّ كجسدٍ غارقٍ في النوم.

قال الشرطي وهو يعلّق العصا في حزامه من جديد

"امسكه من الجانب الآخر.. يمكننا الآن إدخال كيس اللحم الضخم إلى السيارة أخيرًا."

بعد دقيقتين أو ثلاث، منذ أن وضعوا جسد وولف الثقيل فاقد الوعي على الطريق، أنطلق بهم بسرعة نحو كايوجا.

«أعلم بالفعل ما سيحدث لك ولابن عمك الضعيف، إن كان ابن عمك، وهو ما أشك فيه.» نظر الشرطي إلى جاك في مرآة الرؤية الخلفية، وكانت عيناه كحبات الزبيب المغموسة في

قطران يغلي...

بدا أن كل الدم في جسد جاك ينحسر إلى أسفل، إلى أسفل عروقه، وقفز قلبه في صدره حين تذكر السيجارة في جيب قميصه... مرر يده عليها، ثم انتزعها قبل أن يتمكن الشرطي من قول أي شيء.

قال جاك "يجب ألبسه حذائه مرة أخرى فلقد سقطا نوعًا ما.»

رد الشرطي «انس الأمر»، لكنه لم يعترض أكثر عندما انحنى جاك، بعيدًا عن أنظار المرآة، أعاد أولًا أحد الحذاءين الممزقين الخياطة على كعب وولف العاري، ثم انتزع سيجارة الحشيش من جيبه بسرعة ووضعها في فمه، لاكها، فبعثرت على لسانه جزيئات جافة مفتتة ذات طعم عشبي غريب... باشر جاك طحنها بين أسنانه، خدش شيء ما حلقه، فانتفض بانفعال، ووضع يده أمام فمه، محاولا السعال، عندما أصبح حلقه صافيًا، ابتلع بسرعة كل الماريجوانا المبللة، التي أصبحت الآن لزجة نوعًا ما ثم مرر جاك لسانه على أسنانه، جامعًا كل البقع والآثار.

قال الشرطي «أمامك بعض المفاجآت.. سشعِ روحك بنور الشمس.»

سأل جاك، ظانًا أن الشرطي رآه وهو يدس سيجارة الحشيش في فمه «نور الشمس في روحي؟».

قال الشرطي.. "تبدوا يداك ملطختان أيضًا"، ونظر بسعادة إلى انعكاس جاك المذنب في مرآة الرؤية الخلفية.

كان مبنى بلدية كايوغا عبارة عن متاهة مظلمة من الممرات المعتمة والسلالم الضيقة التي تظهر بشكل مفاجئ بمحاذاة غرف ضيقة بالقدر نفسه...

دوى صوت الماء في الأنابيب، قال الشرطي، وهو يشير لهم بالتوجه نحو آخر درج على يمينهم «دعوني أوضح لكم شيئًا أيها الصغار»... «أنتم لستم رهن الاعتقال هل فهمتم ذلك؟ لقد تم احتجازكم للاستجواب، لا أريد أن أسمع أي هراء عن مكالمة هاتفية واحدة.. أنتم في طي النسيان حتى تخبرونا من أنتم وماذا تفعلون".

ثم أكمل الشرطي «هل تسمعوني؟ النسيان... العدم... سنرى القاضي فيرتشايلد، وهو من سيحكم، إذا لم تخبروننا الحقيقة، ستكون العواقب وخيمة... هيا إلى الطابق العلوي.. تحركوا!".

في أعلى الدرج، دفع الشرطي الباب فانفتح ونظرت امرأة في منتصف العمر ترتدي نظارة سلكية وفستانًا أسود من خلف آلة كاتبة موضوعة بشكل جانبي على الحائط البعيد.. قال الشرطي «هاربان آخران»..."أخبريه أننا هنا".

أومأت برأسها، والتقطت هاتفها، وتحدثت بضع كلمات، قالت السكرتيرة لهم، وعيناها تتفحصان وولف وجاك.. حائرة

فيما بينهم «يمكنكم الدخول»

دفعهم الشرطي عبر الغرفة الأمامية وفتح الباب المؤدي إلى غرفة أكبر بمرتين، التي احتلت الكتب أحد جدرانها الطويلة، والصور المؤطرة والدبلومات والشهادات جدار آخر، وأسدلت ستائر على نوافذها الطويلة، وفيها وقف رجل طويل نحيل يرتدي بدلة داكنة وقميصًا أبيض مجعدًا وربطة عنق ضيقة بلا نمط مميز وراء مكتب خشبي متآكل يبلغ طوله ستة أقدام، أحال الشيب وجهه لخريطة من التجاعيد البارزة، وكان شعره أسود فاحم لدرجة أن ما من بد سوى أن يكون مصبوغًا... وقد احتلت رائحة دخان السجائر القديمة الهواء بسفور...

"حسنًا، ماذا لدينا هنا يا فرانكي؟" كان صوته عميقًا بشكل مذهل، حتى كاد أن يكون مسرحيًا...

"أطفال قبضت عليهم على طريق فرينش ليك، بالقرب من منزل تومبسون».

استحالت تجاعيد القاضي فيرتشايلد إلى ابتسامة وهو ينظر إلى جاك...

"هل لديك أي أوراق هوية يا بني؟"

رد جاك "لا سيدي"

"هل أخبرت الضابط ويليامز هنا بالحقيقة عن كل شيء؟ لا يظن أنك فعلت، وإلا لما كنت هنا."

رد جاك "أجل سيدي".

"إذن أخبرني قصتك." تجول حول مكتبه، يُزعج طبقات الدخان المسطح فوق رأسه مباشرة، وجلس نصف جلسة واتكأ بنصف جسده على الزاوية الأمامية الأقرب إلى جاك.. حدق فيه، وأشعل سيجارة.. رأى جاك عيني القاضي الشاحبتين الغائرتين تُحدقان به من خلال الدخان، وأدرك أنهما لا تحملان أية رحمة.

"إنه نبات الإبريق مرة أخرى.»

"اسمي جاك باركر.. إنه ابن عمي، ويُدعى جاك أيضًا.. جاك وولف، لكن اسمه الحقيقي هو فيليب، أقام معنا في ديلفيل لأن والده متوفى ووالدته مريضة، كنتُ أعيده إلى سبرينغفيلد."

"أليس ساذجًا؟"

"بطيء بعض الشيء،" قال جاك، ونظر إلى وولف.. بدا صديقه شبه فاقد للوعي.

"ما اسم والدتك؟" سأل القاضي وولف.. لم ينبث وولف ببنت كلمة.. كانت عيناه مغمضتين ويداه محشورتين في جيوبه.

"اسمها هيلين،" قال جاك. "هيلين فوغان."

نهض القاضي من على المكتب وسار ببطء نحو جاك. «هل كنت تشرب يا بني؟ تبدوا غير مستقر بعض الشيء.»

"لا."

اقترب القاضي فيرتشايلد من جاك وانحنى. «دعني أشم أنفاسك.»

فتح جاك فمه وزفر.

"لا.. لا خمر.» استقام القاضي مرة أخرى. «لكن تلك هي الحقيقة الوحيدة فيما قلته، أليس كذلك؟ أنت تحاول أن تخدعني يا فتى.»

"أنا آسف لأننا كنا نطلب توصيلة،" قال جاك، مدركاً أنه يجب عليه التحدث بحذر شديد الآن.. ليس فقط لأن ما سيقوله قد يحدد ما إذا كان سيتم إطلاق سراحه هو وولف، بل لأنه واجه صعوبة في تكوين الكلمات نفسها.. بدا أن كل شيء يمر ببطء شديد.. كما في السقيفة، انحرفت الثواني عن المسرع. ."في الواقع، نادرًا ما نطلب توصيلة لأن وولف - جاك تحديدًا - يكره ركوب السيارات، لن نكرر ذلك أبدًا.. لم نرتكب أي خطأ يا سيدي، وهذه هي الحقيقة.»

"أنت لا تفهم يا بني،" قال القاضي، وعيناه البعيدتان تلمعان من جديد.. إنه يستمتع بهذا، أدرك جاك ذلك.

تراجع القاضي فيرتشايلد ببطء خلف مكتبه.. «طلب توصيلة ليس هو المشكلة.» أنتما الفتيان تسافران وحدكما، قادمان من العدم، ذاهبان إلى اللا مكان هدفان حقيقيان للمتاعب... بدا صوته كالعسل المُر. "الآن لدينا هنا في هذا

البلد ما نعتقد أنه منشأة غير عادية للغاية، معتمدة وممولة من الدولة، بالمناسبة، والتي ربما أُنشئت خصيصًا لمصلحة فتيان مثلكما.. إنها دار بستاني نور الشمس الدينية للأولاد المارقين... إن عمل البستاني مع الشباب المتعثرين أشبه بالمعجزة، ولقد أرسلنا إليه بعض القضايا الصعبة، وفي لمح البصر جعل هؤلاء الأولاد يركعون ويتوسلون إلى يسوع طلبًا للمغفرة... الآن أقول إن هذا شيء مميزًا جدًا، أليس كذلك؟»

ابتلع جاك ريقه، وقد شعر بجفاف في فمه أكثر مما كان عليه في السقيفة. «نعم، سيدي، من الضروري حقًا أن نصل إلى سبرينغفيلد... سيتساءل الجميع عنّا"

"أشك في ذلك كثيرًا،" قال القاضي مبتسمًا بكل تجاعيده، "لكن دعني أخبرك بشيء. حالما تذهبان إلى دار نور الشمس، سأتصل بسبرينغفيلد وأحاول الحصول على رقم هيلين... وولف، أهي؟ أم هي هيلين فوغان؟"

رد جاك، وقد غطّى وجهه احمرارٌ شديدٌ كالحمى.. "فوغان."

تمتم القاضي "نعم".

هزّ وولف رأسه، وأخذ يرمش، ثم وضع يده على كتف جاك.

سأل القاضي "هل ستأتي يا بني؟ هل يمكنك إخباري بعمرك؟" رمش وولف مرة أخرى، ونظر إلى جاك.

قال جاك "ستة عشر عامًا."

"وأنت؟"

"اثنا عشر عامًا."

"أوه.. اعتقدت إنك أكبر بعدة سنوات، هذا سببٌ إضافيٌ لرؤيتك تحصل على المساعدة الآن قبل أن تقع في ورطةٍ كبيرة، ألا تعتقد ذلك يا فرانكي؟"

تمتم الشرطي «آمين».

قال القاضي «عودوا إلى هنا بعد شهر يا رفاق.. ثم سنرى إن كانت ذاكرتكم أفضل.. لماذا عيونكم حمراء هكذا؟»

رد جاك «إنها تبدو غريبة بعض الشيء»، زمجر الشرطي، أدرك جاك بعد ثانية أنه ضحك!

قال القاضي «خذهما يا فرانكي». وقد رفع سماعة الهاتف.. «ستكونون مختلفين بعد ثلاثين يومًا.. أعتمد على ذلك.»

بينما هم ينزلون درجات مبنى البلدية المبني من الطوب الأحمر، سأل جاك فرانكي ويليامز عن سبب سؤال القاضي عن أعمارهم، فتوقف الشرطي على الدرجة السفلية والتفت نصف استدارة لينظر إلى جاك بغضب بادٍ على وجهه المحتقن.. "من عادة عجوز نور الشمس استقبال الأولاد في عمر الثانية عشرة وإطلاق سراحهم في التاسعة عشرة.» ابتسم ابتسامة عريضة متمتمًا «أتقول لي إنك لم تسمع عنه على الراديو؟ إنه أشهر شخص لدينا هنا.. أنا متأكد من أنهم سمعوا عن بستاني نور الشمس القديم حتى في ديلفيل." كانت أسنانه عبارة عن أوتاد صغيرة متباينة الألوان،

ومتباعدة بشكل غير منتظم.

3

بعد عشرين دقيقة، عادوا مجددًا إلى الأرض الزراعية.

صعد وولف إلى المقعد الخلفي لسيارة الشرطة دون ضجة تُذكر بعدما سحب فرانكي ويليامز عصارته من حزامه محذرًا «أترغب بالمزيد أيها الوغد اللعين؟ من يدري، قد يجعلك ذكيًا.» ارتجف وولف، وتجعد أنفه، لكنه تبع جاك إلى داخل السيارة، ووضع يده على أنفه على الفور وبدأ يتنفس من فمه..

همس جاك في أذنه "سنغادر هذا المكان يا وولف.. بضعة أيام فقط، هذا كل شيء، وسنرى كيف سنفعل ذلك.» جاء صوت أجش من المقعد الأمامي آمرًا «لا ثرثرة».

استرخى جاك بشكل غريب.. متأكدًا من أنهم سيجدون طريقة للهروب، اتكأ على المقعد البلاستيكي، معانقًا كف وولف بكفه، وشاهدا الحقول تمر.

نادى فرانكي ويليامز من المقعد الأمامي «ها هو ذا.» «منزلك المستقبلي».

تلاقت عينا جاك بجدران شاهقة من الطوب غُرست بشكلٍ سريالي وسط الحقول. كانت الجدران المحيطة بدار صن لايت، عاليةً جدًا بحيث لا يُمكن الرؤية من فوقها، مُغطاة بثلاثة خيوط من الأسلاك الشائكة وشظايا الزجاج المكسور المُثبتة في الإسمنت وها هي السيارة الآن تحملهم عبر حقولٍ

مُنهكة مُحاطة بأسوار تتضافر فيها خيوط من الأسلاك الشائكة بنعومة.

قال ويليامز "لدينا هنا ستون فدانًا، جميعها إما مُحاطة بجدران أو مُسيّجة.. صدقني، لقد بناها الأولاد بأنفسهم".

قاطعت بوابة حديدية عريضة امتداد الجدار حيث انعطف الممر إلى منشأة الدار. بمجرد أن انعطفت سيارة الشرطة إلى الممر، انفتحت البوابات، مُفعّلةً بإشارة إلكترونية، شرح الشرطي "كاميرا تلفزيونية.. إنهم في انتظاركما أيتها السمكتين الطازجتين".

انحنى جاك إلى الأمام ولصق وجهه بالنافذة.. فرأى أولاد يرتدون سترات من الجينز ويعملون في الحقول الطويلة على جانبي الطريق، يحرثون ويجرفون ويدفعون عربات اليد.

قال ويليامز «لقد ربحت للتو فيكما عشرين دولارًا، بالإضافة إلى عشرين أخرى للقاضي فيرتشايلد.. أليس هذا رائعًا؟»

الفصل الحادي والعشرون
دار نور الشمس
1

بدا البيت في نظر جاك وكأنه بناية من المكعبات شيدها طفل صغير، وأنماها عشوائيًا كلما اقتضت الحاجة مزيدًا من المساحة...

إلا أنه وفور أن لمح القضبان على نوافذه الكثيرة، حتى تبدّد انطباعه الطفولي، وحلّ محله شعورٌ بأنه أمام مؤسسةٍ عقابية لا دارٍ آمنة.

وضع معظم الصبية في الحقول أدواتهم جانبًا، متابعين بعيون متلهفة سير سيارة الشرطة نحو المكان.

أوقف فرانكي ويليامز السيارة عند نهاية الممر الواسعة المستديرة، وما إن أطفأ المحرك حتى انفتح باب المدخل الأمامي، وخرج منه رجل طويل القامة، وقف على أعلى الدرجات، وقد شبك يديه أمامه يتأملهم.

تحت شعرٍ أبيض متموّج يتدلى بكثافة، بدا وجهه شابًا على نحوٍ غير متوقع، كأن قسماته الحادة المفعمة بالحيوية قد أعيد تشكيلها أو على الأقل صيانتها على يد جراح تجميلٍ بارع.. وجه رجلٍ يستطيع أن يبيع أي شيء، في أي مكان، لأي إنسان.

وقد اتشح بالأبيض الناصع من رأسه حتى قدميه.. بدلة بيضاء، قميصًا أبيض، حذاءً أبيض، ووشاح حريرٍ أبيض يتدلّى حول عنقه.

حين نزل جاك وولف من المقعد الخلفي، أخرج الرجل نظارةً خضراء داكنة من جيب سترته، وضعها على عينيه، وحدّق فيهما للحظة قبل أن يبتسم، فانفرجت وجنتاه عن تجاعيد عميقة.. ثم نزع النظارة وأعادها إلى جيبه قائلًا بنبرةٍ ماكرة

"حسنًا... حسنًا، حسنًا.. حسنًا.. تخيّلوا ما سيكون وضعنا لولاك، أيها الضابط ويليامز؟"

قال الشرطي

"مساء الخير، أيها القس جاردنر."

ابتسم الرجل الأبيض

"هل هو الأمر المعتاد؟ أم أن هذين الفتيين الشجاعين تورّطا في جريمةٍ حقيقية؟"

قال ويليامز وهو يضع يديه على خاصرتيه في ضيق من كل ذلك البياض الذي يؤذي عينيه..

"مشردان.. رفضا أن يُعطيا الشرطي فيرفيلد أسماءهما الحقيقية، أما هذا الضخم" وأشار بإبهامه نحو وولف "فلم يتكلم إطلاقًا، اضطررت لضربه على رأسه لأتمكن من إدخاله السيارة."

هزّ جاردنر رأسه بأسى مصطنع..

"لماذا لا تصعد بهما إلى هنا، ليتقدّما بأنفسهما، ثم نُنهي الإجراءات؟ أهناك سببٌ لأنهما يبدوان... دعنا نقول، "مشوشَين" بهذا الشكل؟"

قال الشرطي ببرود

"فقط لأنني ضربت الكبير خلف أذنيه."

"هُمممم..." قال جاردنر وهو يُشبك أصابعه أمام صدره ويتراجع خطوة إلى الوراء،

راح ويليامز يدفع الصبيين صعودًا نحو الشرفة الطويلة، بينما مال جاردنر برأسه قليلًا يتفحّص القادمين الجدد.

بلغ جاك وولف أعلى الدرجات، وتقدّما بخطى حذرة إلى أرضية الشرفة، فيما مسح ويليامز عرقه وصعد لاهثًا خلفهما.

كان جاردنر يبتسم ابتسامةً ضبابية، لكن عينيه كانتا تتنقلان بسرعة بين الفتيين..

وفجأة، لمح جاك في تلك العينين وميضًا صلبًا باردًا مألوفًا.. تجمّد في مكانه؛ لقد رأى ذلك البريق من قبل،

في اللحظة التالية، سحب جاردنر نظارته مجددًا من جيبه ووضعها على وجهه، وما زالت الابتسامة الرقيقة معلقة على شفتيه.

قال القس وهو يخفض النظارة إلى ما دون جسر أنفه،

متطلعًا إليهما بعينين لامعتين

"الأسماء؟ الأسماء؟ ألن تكرمانا بأسميكما، أيها السيدان الصغيران؟'

قال جاك

"أنا جاك." ثم توقف، إذ لم يرغب في قول كلمةٍ أخرى قبل أن يُجبر على ذلك..

وفجأة شعر وكأن الواقع ينطوي ويتقوّض حوله؛ كأنه أُعيد جذبُه إلى «الأراضي»، لكنّها الآن غدت مظلمة، خبيثة، تشتعل فيها ألسنة اللهب وتنتشر روائح الدخان العفن وصرخات الأجساد المعذبة.

أحسّ بيدٍ قوية تمسك بمرفقه وتُثبّته.. لم يشم رائحة الدخان، بل عبيرَ عطرٍ ثقيلٍ حلوٍ مُفرط الكثافة..

وعينان رماديتان حزينتان تحدقان فيه مباشرةً.

"هل كنت ولدًا سيئًا، يا جاك؟ سيئًا جدًا؟"

رد جاك

"لا، كنا فقط نحاول الوصول..."

قاطعه القس بابتسامةٍ ناعمة

"أظن أنك مأخوذًا قليلًا بشيءٍ ما... سنرى إن كنا سنوليك عناية خاصة، أتتفق معي؟"

ثم ترك مرفقه، وابتعد بخفة، وأعاد النظارة إلى عينيه.

"لا بد أن لك اسمَ عائلة أيضًا، أليس كذلك؟"

رد جاك..

"باركر."

"آآه، نعم..." قالها جاردنر وهو يدور نصف دورةٍ خفيفة كراقصٍ، مثبتًا نظره على وولف.

"يا إلهي، أنت عينةٌ قوية! فتى ضخمٌ بحق.. سنجد بالتأكيد ما يُفيد أمثالك هنا، والحمد لله.. هلّا حذوتَ حذو السيد جاك باركر، وأخبرتني باسمك؟"

نظر جاك بقلقٍ إلى وولف؛ كان رأسه منكسًا وأنفاسه متقطعة، ولعابٌ لامع يسيل من زاوية فمه إلى ذقنه، وعلى صدر قميصه الرياضي المسروق، الملوث بلطخة سوداء من مزيج التراب والدهن.

هزّ وولف رأسه، لكن حركته بدت فارغة المعنى، كما لو أنه يبعد ذبابة.

قال القس برقةٍ مصطنعة

"اسمك يا بني؟ اسمك؟ بول؟ بيل؟ سامي؟ لا... لا، لا بد أن يكون اسمًا قويًا متينًا... ربما جورج؟"

رفع وولف رأسه أخيرًا وقال بصوتٍ أجشّ»وولف.»

"آه، هذا جميل."

ابتسم جاردنر لكليهما بوجهٍ مشرق.

"السيد باركر والسيد وولف... جميل جدًا.

هل ترافقهما إلى الداخل، أيها الضابط ويليامز؟

ويا لسعادتنا أن السيد باست متواجد بالفعل!

إن وجود السيد هيكتور باست وهو أحد القائمين على شؤون المكان بالمناسبة يعني أننا سنتمكن على الأرجح من تجهيز السيد وولف.»

أمال رأسه قليلًا، محدقًا في الصبيين من فوق إطار نظارته الخضراء

"أحد مبادئنا هنا في دار الكتاب المقدّس، أن جنود الربّ يسيرون على نحوٍ أفضل بزيهم الموحد. والسيد هيك باست يكاد يكون في حجم صديقك وولف، يا جاك باركر الصغير. لذا، من حيث اللباس والانضباط، ستكونان في رعاية ممتازة... مريح، أليس كذلك؟"

قال وولف بصوتٍ خافت

"جاك."

"نعم؟"

"رأسي يؤلمني، جاك... يؤلمني بشدّة."

قال القس جاردنر بنغمةٍ خفيفة راقصة، متقدّمًا بخطوتين

نحو وولف وهو يربّت على ذراعه برفق

"أيزعجك ألم رأسك، يا سيد وولف الصغير؟"

لكن وولف سحب ذراعه فجأة، وارتسم على وجهه تعبير اشمئزازٍ غريزيّ مبالغ فيه..

عرف جاك السبب... ذلك العطر الثقيل الخانق، لا بدّ أنه كان يلسع أنف وولف الحاد كالأمونيا.

قال جاردنر، دون أن يبدو عليه أي انزعاج من رفض وولف لمسه..

"لا بأس يا بُني. سيتولى السيد باست أو السيد سينغر، مشرفانا الآخران، الاهتمام بالأمر في الداخل..

فرانك، ألم أقل لك أن تُدخلهما إلى الدار؟»

انتفض ويليامز كما لو وخزه أحدٌ بإبرةٍ في ظهره، واشتعل وجهه بحمرةٍ محمومة، ثم هرع بجسده المتيبّس عبر الشرفة نحو الباب الأمامي،

ابتسم جاردنر من جديد في وجه جاك... ابتسامةً براقة فارغة، ورأى جاك عندها بوضوح أن كل ذلك البهاء المتأنق ليس سوى لعبة عبثية من تسلية الذات العقيمة؛ فالرجل المغلّف بالبياض كان باردًا ومجنونًا في أعماقه..

انزلقت من كفّه سلسلةٌ ذهبية ثقيلة، تدلّت حتى بلغت قاعدة إبهامه، فسمع جاك في خياله صفير سوطٍ يخترق

الهواء، وعندها فقط أدرك تلك العينين الرماديتين الداكنتين...

إنه يعرفهما...

جاردنر كان القرين التوأم لأوزموند.

قال القس أخيرًا وقد احنى جسده نصف انحناءة مشيرًا إلى الباب المفتوح

"إلى الداخل، يا فتيان."

2

قال جاردنر وهو يتقدّم بخطواتٍ هادئة إلى الداخل

"بالمناسبة، يا سيد باركر... هل يُحتمل أننا التقينا من قبل؟ لا بدّ أن هناك سببًا يجعل وجهك مألوفًا لي إلى هذا الحد، أليس كذلك؟"

"لا أعرف" أجابه جاك متفاديًا نظراته، فيما كان يتأمل المكان الغريب الذي دلف إليه..

حيث اصطفت الأرائك الطويلة مستندة على الجدار، مكسوّة بقماشٍ أزرق داكن، تفترش الأرضية سجادة خضراء قاتمة، وعلى الجهة المقابلة انتصبت طاولتان عريضتان يكسوهما الجلد البني، خلف إحداهما جلس فتى ممتلئ بالبثور، رفع عينيه بفتورٍ نحوهم ثم عاد إلى شاشة الفيديو أمامه، حيث كان أحد الوغاظ يصرخ في وجه الكاميرا مهاجمًا موسيقى الروك.

أما الفتى الآخر، الجالس إلى المكتب المجاور، فاعتدل في مقعده وحدّق في جاك بنظرةٍ عدوانية متحفزة.. كان نحيلًا، شعره أسود كسواد الحبر، ووجهه الصغير يوحي بذكاءٍ حادّ ونزقٍ دفين.. على جيب سترته البيضاء ذات الياقة العالية، برزت شارة معدنية صغيرة مستطيلة كتب عليها اسم: سينغر.

قال جاردنر بنغمةٍ ناعمة مريبة

"لكنني ما زلت أظن أننا التقينا، أليس كذلك يا فتى؟ أنا لا أنسى، أبدًا... إنني حرفيًا عاجز عن نسيان وجهِ أيّ صبيّ صادفته من قبل.. هل توزّطتَ في مشكلةٍ ما سابقًا، يا جاك؟"

قال جاك، دون أن يشي وجهه بشيء

"لم أرَك من قبل."

وعلى الطرف الآخر من القاعة، نهض فتى ضخم من على إحدى الأرائك الزرقاء، ثم وقف باستقامةٍ كجندي.. كان هو الآخر يرتدي سترة بيضاء بشارةٍ معدنية، يداه تتنقلان بتوترٍ من جانبيه إلى حزامه، ثم إلى جيبي سرواله الجينز، ثم تعود أدراجها في قلقٍ ظاهر.. تجاوز طوله المترين، ووزنه اقترب من الثلاثمائة رطل، بينما اشعلت وجنتاه وجبهته بثورٍ حمراء لامعة.

هذا بلا شك، كان باست.

قال جاردنر بابتسامةٍ باردة

"حسنًا... ربما سأتذكر لاحقًا.. هيك، تعال يا فتى، وساعد ضيوفنا الجدد في التسجيل."

تقدّم باست مترنّحًا بخطواتٍ ثقيلة، وجهه عابس متجهّم، واقترب عمدًا من وولف حتى كاد يلاصقه، قبل أن يزيحه بكتفه ويمضي متعمدًا أن يُظهر عبوسه.. ولو كان وولف قد فتح عينيه في تلك اللحظة، لكان كل ما رآه هو تضاريس جبينٍ محطّم كالقمر، وعينان صغيرتان شريرتان تلمعان من

تحت حاجبين متقشّرين كعيني دبٍّ كاسر.

حوّل باست نظره إلى جاك، تمتم

"هيّا."

وأشار بيده تجاه المكتب.

قال جاردنر بصوته الرتيب وهو يتابع المشهد

"سجل الأسماء، ثم خذهما إلى المغسلة لتجهيز الملابس."

ثم التفت نحو جاك بابتسامةٍ لامعة كمعدنٍ مصقول

"جاك باركر... أتساءل من تكون حقًا يا جاك باركر. باست، تأكد من تفريغ جيوبه."

ابتسم باست ابتسامةً غليظة، فيما انسل القسّ الأبيض عبر القاعة نحو الشرطي فرانكي ويليامز، الذي بدا متبرّمًا في انتظاره.. أخرج جاردنر محفظةً جلدية طويلة من جيب سترته الداخلي، وبدأ يعدّ منها أوراقًا نقدية دسّها في يد الشرطي باستخفاف وملل.

قال الفتى الجالس خلف المكتب، بصوتٍ وقحٍ أجشّ

"انتبه، يا صاحب الأنف السائل."

استدار جاك نحوه بسرعة، فرآه يعبث بقلمٍ بين أصابعه، وعلى وجهه ابتسامةٌ مائلة تُخفي بالكاد غضبًا دفينًا رآه جاك واضحًا ذلك الغليان الداخلي الذي لا يهدأ...

تابع الفتى بازدراء

"أيمكنه الكتابة؟"

رد جاك ساخرًا

"يا إلهي، لا أظن."

"إذًا ستوقّع عنه."

دفع نحوه ورقتين كبيرتين قائلاً بفتور

"اكتب اسمك في السطر الأعلى، ووقّع في الأسفل... عند علامة الـ X."

ثم استرخى في مقعده متكئًا بكسلٍ متعمّد، واضعًا القلم على شفتيه، في حركةٍ بدت لجاك مألوفة جدًا... نسخةٍ مكرّرة من قسّ الشمس نفسه.

كتب بخطٍ واضح جاك باركر، ثم خطّ في الأسفل توقيعًا عشوائيًا، بالكاد يشبه اسمه.

بعدها كتب فيليب جاك وولف، ووقّع بخطٍ أسوأ.

قال سينغر وهو يسحب الأوراق نحوه

"الآن أصبحتما تحت وصاية ولاية إنديانا لمدة ثلاثين يومًا... إلا إذا قررتما البقاء أكثر."

رفع جاك رأسه بتعجّب

"نقرّر؟ ماذا تعني نقرّر؟"

ارتسمت مسحةُ خُمرةٍ تحت خدي سينغر، وأمال رأسه بابتسامةٍ صغيرة مريبة

"يبدو أنك لا تعرف أن أكثر من ستين بالمئة من أولادنا هنا باختيارهم... نعم، ممكن... يمكنك أن تقرر البقاء."

حاول جاك أن يبقي وجهه جامدًا بلا انفعال.

لكن فم سينغر ارتعش فجأة، كأن صنّارةً علِقت في شفتيه.

قال ببطءٍ مهدّد

"المكان هنا ممتاز... وإذا سمعتك يومًا تقلل من شأنه، سأجعلك تندم بشدة.. هذا أفضل مكانٍ يمكن أن تكون فيه، مفهوم؟

ولتعلم أيضًا أنك لا تملك خيار، عليك أن تحترم دار نور الرب.. فهمت؟»

أومأ جاك برأسه.

"وماذا عن رفيقك؟ هل فهم هو أيضًا؟"

نظر جاك إلى وولف الذي كان يرمش ببطءٍ ويتنفس من فمه.

"أعتقد ذلك."

"جيد. ستتشاركان الغرفة، يبدأ اليوم في الخامسة صباحًا بالصلاة، ثم عمل الحقول حتى السابعة، يليه الفطور، نعود للحقول حتى الظهر، نتناول الغداء مع تلاوة من الكتاب

المقدّس الجميع يقرأ، فابدأ بالتفكير بما ستقرأه... ولا تجرؤ أن تختار شيئًا من الأناشيد، إلا إن كنت ترغب في أن تتذوّق معنى الانضباط الحقيقي.. بعد الغداء نعود للعمل.»

رفع عينيه الحادتين إلى جاك وتابع

"ولا تظن أنك تعمل مجانًا هنا.. ضمن اتفاقنا مع الولاية، كل فتى يحصل على أجرٍ عادلٍ بالساعة يُخصم من تكاليف بقائكم... كالملابس، والطعام، والكهرباء، والتدفئة، وما إلى ذلك، تحصل على خمسين سنتًا في الساعة، أي خمسة دولارات في اليوم، وثلاثين في الأسبوع، أما الأحد، فيُقضى كله في كنيسة النور، باستثناء ساعة واحدة نُقدّم فيها برنامج (ساعة إنجيل القس جاردنر)."

هدأت الحمرة من وجهه، فعاد جاك ليهزّ رأسه موافقًا بلا رغبة.

أردف سينغر بابتسامةٍ مشوبة بالتهكّم..

"وإن أحسنت التصرّف، وتحدثت مثل إنسانٍ حقيقي، وهو أمرٌ نادر.. فقد تنضم إلى طاقم الخارجين OS، لدينا فرقتان: واحدة تعمل في الشوارع تبيع الأناشيد والزهور وكتيّبات القس جاردنر، وأخرى في المطار، لدينا ثلاثون يومًا فقط لنحوّلكما من حثالة إلى مؤمنين صالحين، لنريكُما كم كانت حياتكما قذرة ومريضة قبل أن تصلوا إلى هنا... والبداية الآن، في هذه اللحظة بالذات.»

وقف «سينغر» وقد احمرّ وجهه

كورقة خريفٍ مشتعلة، ووضع أطراف أصابعه برفق فوق سطح مكتبه آمرًا بصرامة

"أفرغ جيوبك، حالًا"

تمتم «وولف» وكأنه يردد درسًا محفوظًا

"هنا والآن."

صرخ «سينغر» بغتةً، وقد علا صوته حتى ارتجّ المكتب

"اقلبها رأسًا على عقب! أريد أن أرى كل شيء!"

اقترب «باست» من «وولف»، بينما انساب القس «جاردنر المنير» بعد أن ودّع الضابط «فرانكي ويليامز» إلى سيارته بخطواته المتكلفة نحو «جاك».

قال «جاردنر» بصوتٍ كالحلاوة المسمومة، موجّهًا كلامه إلى «جاك»

"إن المقتنيات الشخصية تربط أولادنا بالماضي أكثر مما ينبغي، وقد وجدنا في هذا الإجراء وسيلة فعّالة لقطع تلك الروابط الهدّامة."

زمجر «سينغر» مجددًا، وقد بدا على وشك الانفجار

"أفرغ جيوبك، قلت لك!"

أخرج «جاك» من جيوبه بقايا ما تبقّى له من ليالي الطريق..

منديلًا أحمر أهدته له زوجة «إلبيرت بالماونتن» حين رأته يمسح أنفه بكمّه، ودفترَيْ كبريت، وعدة دولارات مع بعض العملات المتفرقة، مجموعها ستة دولارات واثنان وأربعون سنتًا ومفتاح الغرفة 407 من فندق «حدائق قصر الحمراء».

ثم أطبق أصابعه على ثلاثة أشياء قرّر الاحتفاظ بهم،

قال

"أظن أنك تريد حقيبتي أيضًا؟"

زمجر «سينغر» باحتقار

"بالطبع، أيها الحقير الصغير، نريد حقيبتك العفنة، لكن أولًا نريد ما تُخفيه في جيبك.. أخرجه فورًا!"

بترددٍ مؤلم، أخرج «جاك» ريشة العزف الخاصة بـ«سبيدي»، وبلّورة الكُروكر، والعملة الفضيّة الكبيرة، ووضعها جميعًا في المنديل.

قائلا بهدوء..

"إنها مجرد أشياء للحظ لا أكثر."

انتزع «سينغر» الريشة من المنديل ورفعها أمام عينيه

"ما هذا؟ أقصد، ما الذي أمامي؟"

"ريشة عزف."

"أحقًا؟" قال وهو يديرها بين أصابعه ويتفحّصها ثم شمّها،

لو أنه عضّها، لكان "جاك" قد لكمه على الفور.

سأله بازدراء

"ريشة عزف؟ أتقول الحقيقة؟"

أجاب «جاك» بصوتٍ خافت

"صديقٌ لي أعطاني إياها."

وفي تلك اللحظة اجتاحه شعور بالغربة والعزلة، كما لم يحدث له من قبل طوال أسابيع رحلته...

تذكّر «سنوبول» أمام المركز التجاري، الذي حدّق فيه بعيني «سبيـدي»، وكان بطريقةٍ لم يدركها «جاك»... هو نفسه «سبيـدي باركر».

ذلك الاسم الذي اتخذه «جاك» لنفسه منذ لحظات فقط.

قال «سينغر» كمن يحدّث نفسه

"أراهن أنه سرقها."

ثم ألقى الريشة في المنديل بجانب العملة والبلّورة قائلا

"والآن، الحقيبة."

نزع «جاك» الحقيبة عن كتفه وسلمها له، فأخذ «سينغر» ينقب فيها بدناءة لعدة دقائق، وكلما طال تفتيشه، ازداد اشمئزازه من قذارة الملابس القليلة فيها، وإحباطه من عدم عثوره على أي مخدرات.

(سبيـدي... أين أنت الآن؟)

قال «سينغر» باستياء

"لا يحمل شيئًا. أتظن أنه يجب أن نفتشه جسديًا؟"

هزّ «جاردنر» رأسه نافيًا

"دعنا نرى ما يمكن أن نتعلمه من السيد وولف."

اقترب «باست» حتى لامس كتف «وولف».

قال «سينغر»

"هاه؟"

تدخل «جاك»

"ليس في جيوبه شيء."

صاح «سينغر»

"أريد الجيوب فارغة! كلّها! على الطاولة!"

أخفض «وولف» ذقنه نحو صدره وأغمض عينيه بقوة.

قال له «جاك» بهدوء

"ليس في جيوبك شيء، أليس كذلك؟"

أومأ «وولف» ببطء.

هتف «سينغر» منتشيًا

"إنه يخفي شيئًا! الأحمق يخفي شيئًا! أخرج ما في جيوبك

على الطاولة، أيها الضخم الغبي." ثم صفق بيديه مرتين "أوه، هذا مذهل! لم يفتشه ويليامز، ولا "فيرتشايلد"! يا لهم من مغفلين!"

زمجر «باست» وقد قرب وجهه من «وولف»

"إن لم تُخرج ما في جيبك حالًا، سأمزق وجهك."

قال «جاك» بنبرة هادئة

"افعل ما يأمرك به يا وولف."

تأوه «وولف» ثم أخرج يده اليمنى المضمومة من جيب بنطالِه، وانحنى فوق المكتب، ومد يده، وفتح أصابعه.

سقطت ثلاث عيدان كبريت، وحجران صغيرتان صقلتهما المياه بألوانٍ وخطوطٍ جميلة.

وحين فتح يده اليسرى، تدحرج حجران أخريان بجانبهما.

هتف «سينغر»

"حبوب!"

قال «جاردنر» ببرودٍ قاطع

"لا تكن أحمق يا "ساني"."

تمتم «سينغر» بصوتٍ خفيض ولكن محتقن بالغضب، بينما كانوا يصعدون السلم إلى الطابق العلوي

"جعلتني أبدو كالأحمق يا "جاك"."

كانت الدرجات مغطاة بسجادٍ وردي باهتٍ مهترئ.. ففرف الطابق الأرضي وحدها حظيت بلمسة التجميل، أما سائر المنزل فبدا كئيبًا متداعيًا.

تابع «سينغر»

"ستندم، أعدك بذلك... ففي هذا المكان، لا أحد يجعل "ساني سينغر" يبدو غبيًا ويفلت بفعلته، أنا تقريبًا أدير هذا البيت يا أحمق... اللعنة!"

ودفع وجهه الناري الضيق نحو «جاك»

"خدعة عظيمة فعلتماها، أنت وذلك المعتوه وحجارته السخيفة.. لن تنساها أبدًا."

رد «جاك»

"لم أكن أعلم أن في جيوبه شيئًا."

توقف «سينغر» فجأة، وضاق وجهه واشتدّت ملامحه، وفهم «جاك» ما سيحدث قبل أن ترتفع يد «سينغر» وتهبط صفعةً حارقة على وجهه.

همس «وولف»

"جاكي؟"

قال «جاك»

"أنا بخير."

قال «سينغر»

"حين تؤذيني، أؤذيك ضعف ما فعلت.. وإن أحرجتني أمام القس "جاردنر"، سأؤذيك أربع مرات أكثر، فهمت؟"

أجاب «جاك» بجفاء

"أظنني فهمت.. أليس من المفترض أن نحصل على ملابس؟"

استدار «سينغر» بعنف وصعد الدرجات، وتوقف «جاك» لحظةً يراقب ظهره النحيل المشدود يصعد، مردّدًا في نفسه..

"أنت أيضًا... أنت و"أوزموند"... سيأتي يومكما."

ثم تبعه، وخلفه «وولف» بتثاقل.

في غرفةٍ طويلة مكدّسة بالصناديق، وقف «سينغر» عند الباب متململًا، بينما انهمك فتى طويل ذو وجهٍ بلا ملامح، وسلوك أشبه بالمنوّم، في البحث عن ثياب تناسبهما على الرفوف.

قال «سينغر» دون أن ينظر إليه، وبنبرة ضجرٍ مشبعة بالازدراء

"الأحذية أيضًا.. اجعله ينتعل حذاءً رسميًا وإلا فسيقضي أيامه في شقاء."

وأخيرًا، وجد الفتى في زاوية المخزن زوجًا من الأحذية السوداء الثقيلة، مقاس ثلاثة عشر، فألبسهما «جاك»

لـ«وولف».

ثم صعد بهم «سينغر» إلى الطابق الأعلى، حيث انكشفت الحقيقة العارية لبيت «نور الشمس».

ممرّ ضيق يمتد بطول السقف، تصطف على جانبيه أبواب نحيلة ذات نوافذ صغيرة على مستوى العين أشبه بطابقٍ من السجن.

توقف «سينغر» أمام أحد الأبواب وقال

"في اليوم الأول لا عمل.. تبدأون غدًا بالجدول الكامل، إلى أن يحين وقت الاعتراف عند الخامسة، ابقيا هنا واقرآ في الإنجيل أو ما شئتما.. والبسا ملابس "نور الشمس"، مفهوم؟"

سأله «جاك»

"أتعنى أنك ستغلق علينا الباب ثلاث ساعات؟"

انفجر «سينغر»

"تريدني أمسك بيدك أيضًا؟ اسمع، لو كنت هنا بمحض إرادتك، لسمحت لك بالتجول قليلًا، لكنك لست كذلك. الدولة أحالتك إلينا، وهذا يعني أنك على بعد خطوةٍ من السجن الحقيقي. ربما بعد شهر تصبح متطوعًا... إن كنت محظوظًا.. أما الآن، فادخل غرفتك وابدأ في التصرّف كإنسانٍ مخلوقٍ على صورة الله، لا كحيوان."

أدخل المفتاح في القفل بحدّة، وفتح الباب وأشار إليهما

"إلى الداخل، لدي عمل."

سأل «جاك»

"وما مصير اغراضنا"

تنهد «سينغر» بتصنعٍ مسرحي

"أتظننا نرغب في سرقة ما تملك أيها الصعلوك؟"

تماسك «جاك» بصعوبة كي لا يرد.

ثم أكمل «سينغر» أخيرًا

"حسنًا، سنحتفظ بها لك، كل شيء يوضع في ملف باسمك، في مكتب القس "جاردنر" في الأسفل، حتى نقودك، تظل هناك لحين الإفراج عنك. مفهوم؟ والآن إلى الداخل قبل أن أرفع ضدك تقرير عصيان أنا جاد."

دخل «جاك» و«وولف» الغرفة الصغيرة. ومع ارتطام الباب خلفهما، أضاء المصباح تلقائيًا، كاشفًا عن حجرة بلا نوافذ، فيها سرير حديدي ذو طابقين، ومغسلة صغيرة في الزاوية، وكرسي معدني، لا شيء غير ذلك.. على الجدران البيضاء بقع شريطٍ لاصقٍ مصفرّ تركها من سبقهم.

أدار «سينغر» المفتاح، وظهر وجهه المتوتر في النافذة الصغيرة بالباب. مردّدًا بابتسامةٍ ساخرة

"كونا ولدين طيبين.. ثم اختفى."

رفع «وولف» رأسه بصعوبة نحو السقف الذي يكاد يلامس

شعره، وقال

"لا، جاكي... لا يستطيع وولف البقاء هنا."

قال «جاك»

"الأفضل أن تجلس.. تريد السرير العلوي أم السفلي؟"

"ماذا؟"

"خذ السفلي واجلس.. نحن في ورطة يا وولف."

"وولف يعرف، جاكي.. وولف يعرف.. هذا مكانٌ سيّئ.. لا يمكننا البقاء."

"لماذا سيّئ؟ كيف عرفت؟"

جلس «وولف» على السرير السفلي، ألقى ثيابه الجديدة أرضًا، والتقط الكتاب والكتيبين الموضوعين على الفراش.

كان الكتاب إنجيلًا بغلافٍ أزرق يلمع كجلدٍ مصطنع، أما الكتيبان على سرير جاك فعناوينهما

(الطريق السامي إلى النعمة الأبدية، والله يحبك!)

قال «وولف» وهو يقلّب الكتيبات كمن يكتشف أشياء للمرة الأولى في حياته

"وولف يعرف... وأنت تعرف أيضًا، جاكي."

ثم رفع أحد الكتيبات، وأراه الغلاف الخلفي وعليه صورة بالأبيض والأسود لـ«جاردنر المنير»، شعره الجميل يرفّ في

النسيم، ذراعاه ممدودتان كقدّيسٍ منزّل.

قال «وولف» بصوتٍ خفيضٍ كأنه زئيرٌ مكتوم

"هو.. إنه يقتل، جاكي... بالسياط. هذا أحد أماكنه.. لا ينبغي لأي وولف أن يكون هنا.. ولا أنت أيضًا، يا جاك ساوير.. أبدًا... علينا أن نرحل من هنا، جاكي."

قال «جاك» بثباتٍ صامت

'سنخرج. أعدك، لكن ليس اليوم، ولا غدًا، إنما قريبًا."

تدلت قدما «وولف» الطويلتان خارج السرير، وردد بنبرةٍ غليظة

"قريبًا."

3

انتزع وولف وعد جاك له انتزاعًا...

كان «وولف» مذعورًا إلى حدٍّ رهيب، ولم يكن «جاك» متأكدًا لو أنه قد رأى «أوزموند» من قبل في الأراضي، رغم تأكده من أنه قد سمع عنه.

فسمعة «أوزموند» في الأراضي، لا سيما بين أفراد عائلة الذئاب، كانت أسوأ حتى من سمعة «مورغان».

لكن، رغم أن كليهما، «وولف» و«جاك»، تعرّفا إلى «أوزموند» في شخص «جاردنر المنير»، فإن الأخير لم يتعرّف عليهما... وهو ما فتح احتمالين لا ثالث لهما

إما أن «جاردنر» كان يتلاعب بهما فقط، متظاهرًا بالجهل، أو أنه توأمٌ نظير مثل والدة «جاك»، مرتبطٌ بكيانٍ في الأراضي على مستوى روحي عميق، من دون أن يعي تلك الصلة إلا في أعمق طبقاته النفسية.

وإن صحّ ذلك كما أعتقد «جاك» فبوسعهما أن يتحينا اللحظة المناسبة حقًا للهرب.

فأمامهما متسع من الوقت ليراقبا، ويتعلّما...

ارتدى «جاك» الملابس الجديدة الخشنة التي حكّت جلده، كانت الأحذية السوداء المربعة ثقيلة كأن كل واحدة منها تزن عدة أرطال، وتبدو وكأنها تصلح لأي قدمٍ دون تمييز..

وبصعوبةٍ أقنع «وولف» بارتداء زيّ «بيت نور الشمس».

ثم تمدّد الاثنان على السرير، واستمع «جاك» إلى أنفاس «وولف» تتثاقل شيئًا فشيئًا حتى تحولت إلى شخيرٍ عميق..

وبعد برهةٍ، غفا هو الآخر...

وفي أحلامه، كانت أمه في بؤرة مظلمة، تناديه بصوتٍ متهدّج

"ساعدني يا جاك... ساعدني."

الفصل الثاني والعشرون
العِظَة
1

في الخامسة من ذلك المساء، دوّى جرسٌ كهربائي في الردهة، صاخبًا طويلًا بلا نغمةٍ ولا يتوقف، وكأنه صرخة معدنية ممتدة.

قفز وولف من سريره السفلي، فاصطدمت رأسه بقوة في الإطار المعدني للسرير العلوي، ليرتج السرير على إثرها ويفيق جاك فورًا من غفوته القصيرة.

توقَّف الجرس بعد نحو خمس عشرة ثانية، لكن وولف لم يتوقَّف.

ترنَّح نحو زاوية الغرفة، يطوّق رأسه بذراعيه، كأنما يحاول أن يمنع انفجاره.

"مكان سيّئ، جاك!" صاح.. "مكان سيّئ فورًا! يجب أن نغادر! يجب أن نخرج الآن، وفورًا!"

ضربة عنيفة على الجدار، وصوتٌ أجشّ من الغرفة المجاورة مردِّدًا بانفعال..

"أخرسوا الغبي!"

تلاها ضحكة عالية كصهيل الحصان، حادة، بها مسحة

مفزعة أكثر من كونها فكاهية...

"أيها الأولاد لقد تسلل بينكم خيط شمس صغير ويبدوا أن العملاق الصارخ مستمتع به"

ثم تهللت الضحكة نفسها ثانيةً، تشبه صرخة مروّعة أكثر مما تشبه ضحكاً..

"سيّئ، جاك! وولف! جيسون! سيّئ! سيّئ، سيّئ..."

فُتحت الأبواب على طول الممر، وارتجّ المكان بصوت خطواتٍ كثيرة لأقدامٍ ترتدي أحذية دار نور الشمس الغليظة.

هبط جاك من السرير العلوي وهو يجاهد نفسه على الحركة.

وقد شعر كأنه منفصل عن الواقع... لا يقظ تمامًا، ولا نائم أيضًا.

التحرّك في الغرفة الصغيرة الكئيبة نحو وولف كان أشبه بالتحرّك داخل شراب لزج القوام كثيف في طقس أنعدم فيه الهواء.

كان منهكًا إلى درجةٍ تقطع الأنفاس... مرهقًا جدًا...

قال بصوتٍ مبحوح "وولف، توقّف."

أجاب وولف منتحبًا.. «لا أستطيع، جاكي!"

وما زالت ذراعاه تطبقان على رأسه بقوة.

قال جاك بحزم «يجب أن تقدر.. يجب علينا الخروج للمر

الآن»

"لا أقدر، جاكي... المكان سيّئ، رائحته سيّئة..."

ومن الردهة صاح أحدهم... فظنّ جاك أنه هيك باست

"وقت الاعتراف!"

فردّد آخر.. "وقت الاعتراف!"

وسرعان ما تحوّل النداء إلى هتافٍ جماعي غريب، كأنه هتاف جمهورٍ في مباراة كرة قدم

"وقت الاعتراف! وقت الاعتراف!"

همس جاك محاولًا السيطرة على نفسه..

"إذا أردنا الخروج من هنا سالمين، يجب أن نهدأ."

"لا يمكنني، جاكي... لا أقدر أن أكون هادئ... المكان... سيّئ..."

بعد لحظةٍ سيفتح أحدهم الباب... ربما باست أو سوني سنغر... وربما الاثنان معًا.

لم يكونا جاهزَين لـ«الاعتراف»، أياً كان هذا الطقس، ورغم أن القادمين الجدد إلى دار نور الشمس يُسمح لهم ببعض الأخطاء أثناء فترة «التأقلم»، فإن جاك أدرك أن فرصهم في الهرب ستكون أفضل إن اندمجا في الجماعة بأسرع ما يمكن...

لكن مع وولف، لم يكن ذلك بالأمر السهل....

"يا للمسيح، سامحني يا صديقي، فأنا من اقتدتك لهذا المكان..." فكّر جاك.

"لكن هذا هو حالنا الآن، وإن لم نستطع التحكم فيه، سيتحكم هو فينا.. فأعذر قسوتي معك من أجل مصلحتك."

وأضاف لنفسه بأسى.. "أتمنى أن أكون محقًا."

همس.. "وولف.. أتريد أن يضربني سنغر؟"

"لا، جاك، لا..."

"إذن يجب أن تخرج معي للممر» قال جاك، "تذكّر، كل تصرف ستفعله كفيل بأن يحدد مصير معاملة سنغر وباست لي.. كما ضربني سنغر سابقًا بسبب حجارتك التي جمعتها..»

قال وولف بصوتٍ منخفض هادئ.. "يمكن أن يُضرب هو الآخر"

لكن عينيه ضاقتا فجأة وتوهجتا بلونٍ برتقاليّ، ورأى جاك بريق أسنانه البيضاء خلف شفتيه...

لم يكن الأمر ابتسامة، بل كأن أنيابه قد نمت فجأة.

قال جاك بصرامة «إياك أن تفكر في فعل ذلك.. ستسوء الأمور أكثر..»

تهاوت ذراعا وولف من أعلى رأسه، وقال بصوتٍ مضطرب

"لا أعرف، جاك..."

"لكنك ستحاول؟" سأله جاك، ناظرًا بقلق تجاه الباب.

"سأحاول..." همس وولف بصوتٍ مرتجف، والدموع تلمع في عينيه.

2

كان من المفترض أن يغمر ضوء ما بعد الظهيرة ممرّ الطابق العلوي، لكن شيئًا ما حال دون ذلك.

بدت النوافذ في نهاية الممر كما لو أن حاجزًا زجاجيًا خفيًا قد أُسدل فوقها فسمح للأولاد برؤية العالم في الخارج، حيث تلمع الشمس الحقيقية، لكنه منع ضوؤها من الدخول.

كان الضوء يسقط على حواف النوافذ الفيكتورية الضيقة ليموت هناك، خامدًا بلا أثر...

وقف أربعون فتىً أمام عشرين بابًا، عشرة على كل جانب من جانبي الممر.

كان جاك ووولف آخر الواصلين بفارقٍ واضح، إلا أن أحدًا لم ينتبه لتأخرهما؛ إذ كان سنغر وباست وصبيان آخران قد وجدوا هدفًا جديدًا لتسلية ساديّتهم، فلم يُعنوا بتسجيل الحضور.

ضحيّتهم كان فتىً نحيل الصدر، يضع نظارةً سميكة، في الخامسة عشرة من عمره تقريبًا.

وقف في وضعٍ بائس يشبه الانتباه العسكري، وسرواله القماشي (الكاكي) متدلٍّ حول حذائه الأسود، لم يكن يرتدي سروالًا داخليًا.

سأله سنغر

"هل توقفت الآن؟"

"أنا..."

"اخرس!" صرخ أحد الصبيين المرافقين لـ سنغر وباست.

كان الأربعة يرتدون سراويل جينز زرقاء بدلًا من الكاكي، وكنزات عنقٍ مرتفعة بيضاء ناصعة.

وعرف جاك لاحقًا أن الصبي الذي صاح لتوّه يُدعى ووريك، أما الرابع السمين فكان يُدعى كيسي.

صرخ ووريك بصوتٍ حاد

"حين نريدك أن تتكلم، سنطلب منك ذلك! هل ما زلت تداعب نفسك، يا مورتون؟"

ارتجف مورتون ولم يجب.

عندها عوى كيسي كالمجنون

"أجِنبه!"

كان فتى بدينًا، يشبه في هيئته نسخة شريرة من شخصية تويدلدَوم(2).

قال مورتون بصوتٍ مرتجف

"لا..."

"ماذا؟ بصوتٍ أعلى!" صرخ سنغر.

"لا!" قالها هذه المرة بأنين...

قال سنغر متصنّعًا التفضّل، بنبرة من يمنح امتيازًا عظيمًا لمخلوقٍ لا يستحقه..

"إن استطعت التوقف لأسبوعٍ كامل، فستستعيد سروالك الداخلي، أيها القذر الصغير، والآن، ارفع سروالك."

انحنى مورتون وهو يشهق باكيًا، ورفع سرواله بيدين مرتجفتين.

ثم انصرف الأولاد صفًا نحو قاعة «الاعتراف»... فالعشاء ينتظر.

3

عُقدت جلسة الاعتراف في غرفة واسعة عارية الجدران، قبالة قاعة الطعام. تسللت روائح الفاصوليا المطبوخة والنقانق النفاذة، ورأى جاك النشوة التي انعكست على أنف وولف الذي أخذ يتحرك بإيقاع منتظم، ولأول مرة في ذلك اليوم، تلاشى التعبير الكئيب من عينيه، وبدا عليه الاهتمام..

كان جاك أكثر حذرًا من «الاعتراف» مما أظهره لوولف.. فأثناء استلقائه على سريره العلوي واضعا يداه خلف رأسه، رأى شيئًا أسود في الزاوية العليا من الغرفة، ظن للحظة أو اثنتين أنها خنفساء ميتة، أو قشرة صدفتها، ظن أنه لو اقترب ربما يرى شبكة العنكبوت التي علق بها الشيء.. لقد كانت حشرة، حسنًا، لكنها ليست من النوع العضوي بل إنه ميكروفونًا صغيرًا عتيق الطراز، مثبتًا في الحائط بمسامير ذات عروة وقد امتد سلك من خلفه عبر ثقب في الجص، لم يُبذل أي جهد حقيقي لإخفائه.. مجرد جزء من الخدمة يا رفاق لكي ينصت جاردنر المنير بشكل أفضل.

بعد رؤية الحشرة، والمشهد القصير القبيح مع مورتون في الردهة، توقع أن يكون الاعتراف موقفًا غاضب ومخيف سيصنعه الخصم، وربما حاول أحد أعضاء نور الشمس وقد يكون جاردنر نفسه، أو على الأرجح سوني سينجر أو هيكتور باست، إجباره على الاعتراف بتعاطيه المخدرات على الطريق، وباقتحامه أماكن في منتصف الليل وسرقتها أثناء

رحلته، وبصقه على كل رصيف وجده على الطريق، ومداعبته لنفسه بعد يوم شاق قضاه على الطريق... وإن لم يفعل أيًا من تلك الأشياء، لظلوا يلاحقونه حتى يعترف بها على أي حال.. سيحاولون تحطيمه.. ظن جاك أنه سيصمد تحت وطأة هذه المعاملة، لكنه لم يكن متأكدًا من قدرة وولف على ذلك.

لكن أكثر ما يُقلق في طقس الاعتراف هو الحماس الذي استقبله به الأولاد في الدار.. في الكادر الداخلي جلس الأولاد ذوو الياقات البيضاء العالية قرب مقدمة الغرفة، نظر جاك حوله فرأى الآخرين ينظرون نحو الباب المفتوح بترقبٍ أحمق.. ظنّ أنهم مثله ينتظرون عشاءً رائحته زكيةٌ جدًا، لا شك في ذلك، خاصةً بعد كل تلك الأسابيع التي قضوها في شراء الهامبرغر مع كمياتٍ كبيرةٍ من اللا شيء.. ثم دخل «جاردنر المنير" بخطاه الحثيثة، ورأى جاك تعابير الترقب تتغيّر إلى نظرات رضا.. يبدو أنهم لم يكونوا ينتظرون العشاء من البداية، بدا مورتون، الذي كان يرتعد خوفًا في الردهة العلوية وبنطاله متكتلًا حول كاحليه قبل خمس عشرة دقيقة فقط، في غاية السعادة!

نهض الأولاد، وظل وولف جالسًا، منخراه متّسعتان، تبدو عليه علامات الحيرة والخوف، حتى سحبه جاك من قميصه.

متمتمًا «افعل ما يفعلون يا وولف».

قال جاردنر باسمًا «اجلسوا يا أولاد.. اجلسوا من فضلكم»، جلسوا. كان جاردنر يرتدي سروال جينز أزرق باهتًا يعلوه

قميص حريري أبيض فاقع مفتوح الحلق، نظر إليهم مبتسمًا ابتسامة خفيفة.. والأولاد ينظرون إليه بخشوع، في معظم الأحيان، رأى جاك أحد الصبية بشعر بني مموج يصل إلى قمة حاجبيه، وذقن منسدلة، ويدين صغيرتين رقيقتين شاحبتين كخزف العم تومي يتنحى جانبًا ويضع كفه على فمه ليخفي ابتسامته الساخرة، فشعر جاك ببعض التشجيع.. يبدوا أنهم لم ينجحوا في غسل عقول الجميع بما يفعلونه هنا... لكن هذا لا يمنع من أنهم قد نجحوا مع الكثيرين كالرجل ذو الأسنان البارزة الذى أخذ ينظر إلى جاردنر المنير بإعجاب.

"هيا بنا نصلي.. يا إلهي، أتؤمنا؟»

فعل هيك.. صلى بسرعة وتلقائية، الأمر كان أشبه بالاستماع إلى ترنيمة "اتصل للصلاة»(3) التي سجلها شخص يعاني من عُسر القراءة...

بعد أن سأل الله أن يوفقهم في الأيام والأسابيع القادمة، وأن يغفر لهم ذنوبهم وأن يساعدهم على أن يصبحوا أشخاصًا أفضل، غنى هيك باست «من أجل يسوع» وجلس.

قال جاردنر «شكرًا لك يا هيك»، كان قد أتخذ لنفسه كرسيًا بلا مساند، وأداره للخلف، وجلس عليه كراعي بقر يركب الخيل في فيلم غربي من إخراج جون فورد.

يبدوا في أوج تألقه هذه الليلة؛ فقد كاد الجنون العقيم الذي ينكر نفسه والذي رآه جاك ذلك الصباح أن يختفي... قال

وارويك، وقد ارتسمت على وجهه ملامح تقية سخيفة.. "دعنا نتبادل اثنتي عشرة اعترافًا من فضلك.. لا أكثر.. هل ستقودنا يا آندي؟".

جلس وارويك مكان هيك، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تقية سخيفة.. مرددًا "شكرًا لك أيها القس جاردنر"، ثم نظر إلى الصبيين قائلاً «اعتراف».. من سيبدأ؟

سادت ضجة خفيفة... ثم بدأت الأيدي ترتفع. اثنان... ستة... تسعة.

قال واريك «روي أودرزفيلت».

وقف روي أودرزفيلت، فتى طويل القامة ذو بثرة بحجم ورم في نهاية أنفه، يلوي يديه المتورمتين أمامه.. معلنًا بصوت عالٍ صارخ «لقد سرقت عشرة دولارات من محفظة أمي العام الماضي!». تسللت يده المتسخة والجافة إلى وجهه، واستقرت على البثرة، وحركها بعنف. «أخذتها إلى ساحر الاحتمالات(4) وحولتها إلى أرباع ولعبت جميع هذه الألعاب المختلفة مثل باك مان ولايزر سترايك». حتى نفدت! كان هذا مالها الذي ادّخرته لفاتورة الغاز، ولهذا السبب أوقفوا التدفئة لفترة! رمش بنظره إليهم.. «ومرض أخي واضطر للذهاب إلى المستشفى في إنديانابوليس بسبب الالتهاب الرئوي! لأنني سرقت ذلك المال!»، ثم جلس روي أودرزفيلت مرددًا "هذا اعترافي".

سأل جاردنر المنير "هل يُغفر لروي؟" أجاب الأولاد بصوت واحد "يمكن أن يُغفر لروي".

"هل يمكن لأحد هنا أن يغفر له يا أولاد؟".

"لا أحد هنا."

"من يستطيع أن يغفر له؟".

"الله بقوة ابنه الوحيد، يسوع."

"هل تصلي ليسوع ليتوسط لك؟" سأل جاردنر روي أودرزفيلت.

"بالتأكيد سأفعل!".. صرخ روي أودرزفيلت بصوتٍ مُرتجف، ولمس البثرة مرةً أخرى.. رأى جاك أن روي أودرزفيلت يبكي.

"وفي المرة القادمة التي تأتي فيها أمك إلى هنا، هل ستخبرها أنك تعلم أنك أخطأت في حقها وحق أخيك الصغير وحق الله، وأنك نادمٌ على ما اقترفته من أخطاء كهذه كما كنتَ من قبل؟"

"بالتأكيد!"

أومأ جاردنر المنير إلى آندي وارويك.

"اعتراف،" صاح وارويك.

قبل انتهاء الاعتراف في الساعة السادسة، رفع الجميع تقريبًا، باستثناء جاك وولف، أيديهم، آملين أن يروي لهم بعض الذنوب.. اعترف العديد منهم بسرقة تافهة.. وتحدث آخرون

عن سرقة الخمور وشربها حتى تقيأوا، وبالطبع، كانت هناك قصصٌ كثيرة عن المخدرات.

نادى وارويك عليهم، لكنهم كانوا يعتمدون على جاردنر المنير للموافقة بينما كانوا يُخبرون... ويُخبرون... ويُخبرون.

فكر جاك بقلق.. "لقد جعلهم يُحبون خطاياهم". إنهم يحبونه، ويبتغون رضاه، وأعتقد أنهم لا ينالونه إلا إذا اعترفوا.. ربما حتى بعض هؤلاء الأوغاد يختلقون جرائمهم.

كانت الروائح المنبعثة من قاعة الطعام تشتد.. قرقرت معدة وولف بشدة وباستمرار بجانب جاك، في إحدى المرات، أثناء اعتراف أحد الصبية بدموعه بأنه علق مجلة بنتهاوس لينظر إلى تلك الصور البذيئة لما أسماه «نساءً فاتنات»، قرقرت معدة وولف بصوت عالٍ لدرجة أن جاك ضربه بمرفقه.

بعد الاعتراف الأخير في تلك الأمسية، ألقى جاردنر المنير دعاءً قصيرًا عذبًا، ثم وقف عند المدخل، بزيه غير الرسمي متألقًا في سرواله الجينز وقميصه الحريري الأبيض، بينما يخرج الصبية، وأثناء مرور جاك ووولف، أحاط جاك بيده.

"لقد قابلتك من قبل." طلبت عينا جاردنر المنير «اعترف»، وشعر جاك برغبة ملحة في فعل ذلك.

(أوه، نعم، نعرف بعضنا البعض، نعم. لقد جلدتني حتى أدميت ظهري.)

رد «لا».

قال جاردنر «أوه، نعم.. لقد التقيتُ بك من قبل.. في كاليفورنيا؟ في مين؟ في أوكلاهوما؟ أين؟"

اعترف.

رد جاك "لا أعرفك".

ضحك جاردنر، أدرك جاك فجأةً في داخله أن جاردنر، نور الشمس، أخذ يرقص ويرقص ويضرب بسوطه قائلاً.. "هكذا قال بيتر عندما طُلب منه تحديد هوية يسوع المسيح".. "لكن بيتر كذب، وأنتَ أيضًا، على ما أعتقد.. هل كان ذلك في تكساس يا جاك؟ في إل باسو؟ هل كان في القدس في حياة أخرى؟ على الجلجثة(5)، مكان الجمجمة؟»

أقول لك..

"أجل، أجل، أعرف، لقد التقينا للتو.." ضحك ضحكة أخرى.

رأى جاك أن وولف قد ابتعد عن جاردنر المنير قدر ما يسمح به المدخل، بفعل تلك الرائحة.. رائحة كولونيا الرجل المُخنقة والمُزعجة، ومن تحتها، رائحة الجنون.

"لا أنسى وجهًا أبدًا يا جاك.. لا أنسى وجهًا أو مكانًا أبدًا.. سأتذكر أين التقينا."

تنقلت عيناه بين جاك ووولف .. أنّ وولف قليلًا وتراجع، ثم عاد إلى جاك مرة أخرى.

"استمتع بعشائك يا جاك" قال.. «استمتع بعشائك يا

وولف.. حياتك الحقيقية في دار نور الشمس تبدأ غدًا.»

في منتصف الطريق إلى الدرج، استدار ونظر إلى الوراء.

"لا أنسى مكانًا أو وجهًا أبدًا يا جاك.. سأتذكر."

ببرود، فكر جاك، يا إلهي، أتمنى ألا يفعل.. ليس قبل أن أكون على بُعد حوالي ألفي ميل من هذا السجن اللعين...

اصطدم به شيء ما بقوة، انطلق جاك إلى القاعة وهو يحرك ذراعيه بجنون ليحافظ على توازنه.. ارتطمت رأسه بالأرضية الخرسانية العارية فرأى وابلًا متشابكًا من النجوم.

عندما تمكن من الجلوس، رأى سينجر وباست يقفان معًا مبتسمين.. وخلفهما كان كيسي، وقد انتفخت معدته خلف قميصه الأبيض ذي الياقة المدورة، ووولف ينظر إلى سينجر وباست، وشيء ما في وضعيته المتوترة أثار قلق جاك.

"لا يا وولف!" صاح بحدة.

انهار وولف.

"لا، تفضل أيها الغبي»، قال هيك باست ضاحكًا قليلًا.. «لا تستمع إليه.. هيا وجربني، إن أردت.. لطالما أحببت بعض الإحماء قبل العشاء.»

نظر سينجر إلى وولف قائلا «اترك الغبي وشأنه يا هيك.. إنه محض جسد.» ثم أومأ برأسه إلى جاك.. «ها هو الرأس.. ها هو الرأس الذي يجب أن نغيره.» ناظرًا إلى جاك، واضعًا

يديه على ركبتيه، كشخص بالغ ينحني ليقول كلمة أو كلمتين لطيفتين لطفل صغير جدًا. «وسنغير ذلك يا سيد جاك باركر. صدقني.»

قال جاك بتعمد «ابتعد عني أيها الأحمق المتنمر.»

ارتد سينجر كما لو أنه تلقى صفعة، وتصاعد احمرار وجهه من ياقته، حتى رقبته، ثم إلى وجهه.. تقدم هيك باست بنبرة غاضبة.

أمسك سينجر بذراع باست.؟ وقال وهو لا يزال ينظر إلى جاك «ليس الآن.. لاحقًا."

خطى جاك إليهما قائلاً بهدوء «انتبها لي»، ورغم أن هيكتور باست لم يُبدِ سوى نظرة ازدراء، إلا أن سوني سينجر بدا خائفًا تقريبًا.. للحظة، بدا وكأنه يرى شيئًا في وجه جاك سوير قويًا ومخيفًا في آن واحد.. شيئًا لم يكن موجودًا قبل شهرين تقريبًا، عندما ترك صبي أصغر منه بكثير بلدة أركاديا بيتش الساحلية الصغيرة خلفه وبدأ يسير غربًا.

4

ظن جاك أن العم تومي ربما كان سيصف العشاء بأنه من مطبخ غرانج هول الأمريكي(6)، دون قسوة... جلس الأولاد على طاولات طويلة، وقدّم لهم الطعام أربعة منهم، بملابس بيضاء نظيفة قاموا بارتدائها بعد فترة الاعتراف.

بعد صلاة أخرى، أُحضِر الطعام.. وُزِّعت أطباق زجاجية كبيرة مليئة بالفاصوليا المطهوة منزليًا على الطاولات الأربع، وأطباق ساخنة من النقانق الحمراء الرخيصة، وأوعية من قطع الأناناس المعلبة، والكثير من الحليب في علب كرتونية عادية مكتوب عليها «سلع مُتبرّع بها» و«لجنة منتجات الألبان في ولاية إنديانا».

تناول وولف الطعام بتركيز شديد، رأسه منخفض، وقطعة خبز في يده دائمًا ليستخدمها كدافع وممسحة، وبينما كان جاك يراقب، التهم خمسة نقانق وثلاث حصص من الفاصوليا الصلبة كالرصاص... وبينما كان يفكر في الغرفة الصغيرة ذات النافذة المغلقة، تساءل جاك عن حاجته إلى قناع غاز الليلة... افترض ذلك ليس أنه من المرجح أن يُمنح... متابعًا بحزن وولف وهو يُلقي حصة رابعة من الفاصوليا داخل طبقه.

بعد العشاء، نهض جميع الأولاد، واصطفوا في طوابير، ثم نظفوا الطاولات، بينما كان جاك يُخرج أطباقه، ورغيف خبز مُقطّع على يد وولف، وإبريقي حليب، إلى المطبخ، أبقى

عينيه مفتوحتين على مصراعيهما... لقد أوحت له الملصقات الصارخة على علب الحليب بفكرة.

لم يكن هذا المكان سجنًا، ولم يكن دار إشغال.. ربما كان مُصنّفًا كمدرسة داخلية أو ما شابه، وسيُلزم القانون نوعًا من مُفتّشي الولاية بمراقبته، سيكون المطبخ المكان الذي تقع عليه عين ولاية إنديانا في أغلب الأحيان... قضبان على نوافذ الطابق العلوي، حسنًا إنما قضبان على نوافذ المطبخ؟ لم يعتقد جاك ذلك... ستثير الكثير من التساؤلات.

قد يكون المطبخ نقطة انطلاق جيدة لمحاولة هروب، لذا درسه جاك بعناية.. بدا المكان أشبه بمطبخ الكافتيريا في مدرسته بكاليفورنيا.

الأرضية والجدران مُبلطة، والأحواض الكبيرة والطاولات من الفولاذ المقاوم للصدأ، الخزائن بحجم صناديق الخضراوات تقريبًا، على أحد الجدران، كانت غسالة أطباق قديمة تعمل بحزام ناقل، يعمل ثلاثة فتيان على هذه الآلة العتيقة القديمة تحت إشراف رجل يرتدي ملابس طباخ بيضاء، كان الرجل نحيفًا، شاحبًا، وله وجه صغير يشبه وجوه الجرذان... ملصقة بشفته العليا سيجارة غير مُفلترة، وهذا ما جعل جاك يُحدده كحليف مُحتمل.. شك في أن مطعم «جاردنر المنير" سيسمح لأي من أفراد عائلته بتدخين السجائر.

على الحائط، رأى شهادة مُؤطرة تُعلن أن هذا المطبخ العام

مُصنف على أنه مقبول وفقًا للمعايير التي وضعتها ولاية إنديانا والحكومة الأمريكية.

بلى، لم تكن هناك قضبان على النوافذ الزجاجية المُعتمة.

نظر الرجل الشبيه بالجرذان إلى جاك، ونزع سيجارته عن شفته السفلى، وألقى بها في أحد الأحواض.. «سمكة جديدة، أنت وصديقك، هاه؟» سأل.. «حسنًا، ستشيخان قريبًا فالأسماك تشيخ بسرعة هنا في دار نور الشمس، أليس كذلك يا سوني؟»

ابتسم بوقاحة لسوني سينجر.. كان من الواضح أن سينجر لا يعرف كيف يتعامل مع هذه الابتسامة؛ بدا مرتبكًا وغير واثق، مجرد طفل مرة أخرى.

"أنت تعلم أنه ليس من المفترض أن تتحدث مع الأولاد يا رودولف"، قال..

"يمكنك ببساطة أن تحشرها في مؤخرتك في أي وقت لا تستطيع فيه دحرجتها في الزقاق أو ركلها في الهواء يا صديقي"، قال رودولف، وهو يحرك عينيه بكسل فوق سينجر.. "أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟"

نظر إليه سينجر، بشفتان مرتجفتان في البداية، ثم لواهما، وضغطهما بقوة.

استدار فجأة.. «مصلى الليل!» صارخًا بغضب.. «يا جماعة الليل، هيا بنا، نظفوا الطاولات، ولنصعد إلى الردهة، لقد

تأخرنا! يا جماعة الليل!»

5

نزل الأولاد درجًا ضيقًا مُضاءً بمصابيح عارية مُحاطة بشبكة سلكية... جدرانها من الجص الرطب، ولم تعجب جاك الطريقة التي دارت بها عينا وولف عبر المكان...

بعدها كانت المفاجأة كنيسة القبو فلقد تحول الطابق السفلي والذي كان متسعًا لكنيسة، كان الهواء هنا جيدًا... ليس حارًا جدًا ولا باردًا جدًا، ومنعشًا/ استطاع جاك سماع همسات وحدات الحمل الحراري في مكان قريب.. كانت هناك خمسة مقاعد مُقسمة بممر مركزي، تؤدي إلى منصة عليها منبر وصليب خشبي بسيط مُعلّق على خلفية مخملية أرجوانية.

في مكان ما، غزف أورغن(7).

دخل الأولاد بهدوء إلى المقاعد.. كان الميكروفون الموجود على المنبر مزودًا بحاجز كبير ذي مظهر احترافي في نهايته، قضى جاك وقته في العديد من غرف الصوت في الاستوديو مع والدته، وكثيراً ما كان يجلس بصبر بجانبها يقرأ كتاباً أو ينجز واجباته المدرسية بينما كانت تُسجّل تسجيلات التلفزيون أو تُعيد تشغيل حوارات غير واضحة، وكان يعلم أن هذا النوع من الحاجز مُصمم لمنع مكبر الصوت من «فرقعة» الميكروفون.

استهجن رؤيته لكاميرتا فيديو في كنيسة دار رعاية دينية داخلية للأولاد المشاغبين على جانبي المنصة، واحدة لالتقاط

صورة "جاردنر المنير" اليمنى، والأخرى لالتقاط صورة "يساره".

لم تُشغّل أي منهما هذا المساء.. أسدلت ستائر أرجوانية ثقيلة، سليمة على الجدران من جهة اليمين، وعبر مستطيل زجاجي مُثبت على الجدار الأيسر استطاع جاك رؤية كيسي منحنياً فوق مسجل شرائط ذي مظهر احترافي للغاية، مُثبت على بكرة، بالقرب من يده اليمنى.

وبينما كان جاك يُراقب، أمسك كيسي بعلبتين من اللوحة ووضعهما على أذنيه.. رفع جاك رأسه فرأى عوارض خشبية صلبة ترتفع في سلسلة من ستة أقواس متواضعة. بينها لوح خشبي أبيض مثقوب... عازل للصوت.

بدا المكان أشبه بكنيسة صغيرة، لكنه كان مزيجًا فعالًا للغاية بين استوديو تلفزيوني وإذاعي. فجأةً، تذكر جاك جيمي سواغارت، وريكس همبارد، وجاك فان إمبي.

يا جماعة، ضعوا أيديكم على جهاز التلفزيون، وستشفون!

شعر فجأة برغبة في الصراخ من شدة الضحك...

انفتح باب صغير على يسار المنصة، وخرج منه "جاردنر المنير"، مرتديًا الأبيض من رأسه إلى أخمص قدميه، ورأى جاك تعابير تتراوح بين البهجة والإعجاب الصريح على وجوه العديد من الصبية، لكن جاك اضطر مجددًا إلى كبح جماح نفسه من نوبة ضحك جنونية حيث ذكّره مظهره الأبيض

وهو يقترب من المنصة بسلسلة من الإعلانات التجارية التي شاهدها في صغره.

اعتقد أن «جاردنر المنير" يشبه الرجل من إعلانات شركة "جلاد".. استدار وولف نحوه وهمس بصوت أجش «ما بك يا جاك؟ رائحتك غريبة حقًا.»

شخر(8) جاك بشدة في يده التي كانت تغطي فمه حتى نفخ مخاطًا عديم اللون على أصابعه...

أخذ جاردنر المنير، يقلب صفحات الكتاب المقدس الكبير على المنبر، بوجهه المتوهج بصحة جيدة، غارقًا في تأمل عميق على ما يبدو... رأى جاك وجه هيك باست المتجهم، ووجه سوني سينجر الضيق والمريب... فأفاق من سكرته على عجل.

في المقصورة الزجاجية، جلس كيسي، مراقبًا جاردنرّ بتيقظ، بينما رفع جاردنر وجهه الوسيم عن كتابه المقدس وركز عينيه الغائمتين الحالمتين والمجنونتين على جماعته، ضغط كيسي على المفتاح فبدأت بكرات مسجل الأشرطة الكبير تدور.

6

قال جاردنر المنير بصوته الخفيض عميق النغمة، وبنبرة رنانة كترنيمةٍ قديمة..

"لا تغر(9) من الأشرار، ولا تحسد عُمّال الإثم،

فإنهم مثل الحشيش سريعًا يُقطَعون، ومثل العُشب الأخضر يذبلون.

اتكل على الربّ واصنع الخير، اسكن الأرض...›

(شعر جاك سوير بقلبه ينقبض في صدره انقباضة شريرة مفاجئة)

"... وحقًا تُزرَق..

تلذّذ بالربّ فيعطيك سؤل قلبك.

سلّم طريقك للربّ واتكل عليه وهو يُجري.

كفّ عن الغضب، واترك السخط،

ولا تغر لتفعل شرًا.

فالأشرار يُقطعون،

وأمّا منتظرو الربّ فيَرِثون أرضه.»

أغلق جاردنر "الكتاب".

وقال بخشوعٍ مصطنع

"ليُضفِ الله بركته على تلاوة كلمته المقدّسة."

ثمّ نظر إلى يديه طويلًا، طويلًا جدًا.

في الغرفة الزجاجية المجاورة، دارت بكرات جهاز التسجيل في صمتٍ مطبق...

ثم رفع رأسه من جديد، وفي ذهن جاك دوّى فجأة صراخ ذلك الرجل نفسه... صراخٌ آخر، من عالمٍ آخر

"ليست بيرة كينغزلاند؟ أتقول لي إنك قلبت عربةً كاملة من بيرة كينغزلاند يا أحمق؟! لا تقل إنك فعلت هذا، ألاااااااااااااااااااااااه؟!"

حدّق جاردنر في وجوه الفتية أمامه، بنظرةٍ حادة متفحّصة.

وجوه مستديرة، نحيلة، مشوهة بالكدمات، متورّمة بحَبّ الشباب، وجوه ماكرة وأخرى بريئة، مفعمة بشبابٍ غِرٍّ حائر.

ثم قال

"هل تفهمون يا أولادي؟ أتدرون ما معنى المزمور السابع والثلاثين؟ أتعرفون هذه الأنشودة الجميلة، الجميلة جدًا؟"

أجابت وجوههم بالنفي دون صوت...

وجوهٌ ماكرة وبريئة، نديةٍ ومثقوبةٍ بالندوب، همست جميعها.. قل لنا... قل لنا...

وفجأة... وبصوتٍ مفاجئٍ صاعقٍ اخترق الميكروفون

صرخ جاردنر..

"إنها تعني لا تقلق!!!"

ارتدّ وولف إلى الوراء وهو يئنّ بخفوت.

"تعرفون ما معنى هذا، أليس كذلك؟ سمعتموها من قبل، أليس كذلك؟"

"أجل!" صاح أحدهم من الخلف.

"أووووه يااااه!" ردّ جاردنر صائحًا بفرحٍ طفولي.

"لا تقلق! ولا تذرف نقطة عرق! كلمات جميلة، أليس كذلك يا أولادي؟ كلمات رااااائعة، أووووووه يااااه!"

"أجل! يااااه!"

"المزمور يقول إنك لست بحاجةٍ للقلق من الأشرار! لا تتعرق! أوه ياه!

يقول إنك لست بحاجةٍ للقلق من عاملي الإثم! ولا أن تبذل جهدًا من أجلهم!

المزمور يقول إنك إن سرتَ مع الربّ وتكلمتَ بالربّ، فكل شيءٍ سيكون رااااائعًا! أفهمتم هذا يا فتيان؟ هل اصغيتم بآذانٍ واعية؟»

"أجل!"

"هللويا!" صرخ هيك باست، بابتسامةٍ سماوية.

"آمين!" قال فتى ذو عينٍ كسولة تتلصص من خلف نظارته السميكة.

تناول جاردنر الميكروفون بخفةٍ محترفة، فتحوّل المشهد في ذهن جاك إلى عرضٍ ليلي في كازينو لاس فيغاس.

راح جاردنر يمشي جيئةً وذهابًا بخطواتٍ سريعةٍ راقصة.

أحيانًا يؤدي حركة نصف راقصة بحذائه الأبيض اللامع، يتحوّل فيها إلى "ديزي غيليسبي" أو "جيري لي لويس" أو "جين فنسنت".

كان في حُمّى من الجاز الديني، حُمّى الشهادة لله.

"لا، لا تخاف! آه لاااا!

لا تخاف من ذاك الولد الذي يُريك صورًا قذرة!

ولا من ذاك الذي يقول إن سيجارةً واحدة لن تضرك، وإنك جبانٌ إن لم تُجرّبها!

آه لاااا! لأنك إن كنتَ مع الربّ، فستسير في عناية الربّ، أليس كذلك؟!»

"أجـــل!!!"

"أووووه ياااه! وإن كنت مع الربّ فستتحدث مع الربّ، أليس كذلك؟!"

"أجل!"

"لا أسمعكم! ماذا تقولون؟!»

'أجـــل!!!"

صرخوا حتى ارتجّت القاعة، وقد تمايل كثيرون منهم في خُمّى هستيرية.

بعضهم بدأ يبكي فعلًا.

"أخبروني يا فتيان... هل للأشرار مكانٌ هنا في دار نور الشمس؟ ها؟ ما رأيكم؟"

"لا يا سيدي!' صاح فتى نحيل بأسنانٍ بارزة.

"صحيح!" قال جاردنر وهو يعود إلى المنصّة.

أزاح سلك الميكروفون بلمسةٍ خبيرة وأعاده إلى موضعه.

'هذا هو الطريق.. لا مكان هنا للنمّامين الكاذبين، ولا لعُمّال الإثم! قولوا هللويا!"

"هللويا!" ردّوا جميعًا.

"آمين!" قال جاردنر.

"الربّ يقول في سفر إشعياء: إنك إن اتكلتَ على الربّ، فستسمو كالنسر، وتكون لك قوةُ عشرةٍ من الرجال!

وأقول لكم يا فتيان... إن دار نور الشمس هي عُشّ النسور! قولوا أوه ياه!»

"أووووه يااااه!"

ساد صمتٌ مفاجئ.

أمسك جاردنر بجانبي المنصّة، رأسه مطأطأ كأنه في صلاة، وشعره الأبيض المنسدل كأجنحةٍ مشذّبة.

وحين تكلّم ثانية، كان صوته واطئًا كهمسِ قاتم.

لم يرفع رأسه.. والفتية حبسوا أنفاسهم...

ثم قال..

"لكنّ لنا أعداء."

كادت الكلمة ألا تُسمع، لكن الميكروفون التقطها نقية.

فصدر عن الفتية أنينٌ خافت يشبه هسيس أوراق الخريف.

كان هيك باست يلتفت حوله بوجهٍ متوترٍ حامٍ، عيناه تدوران، حبّ الشباب في وجنتيه يتوهج بلونٍ دمويٍّ محموم.

ويصيح وجهه «أرني عدوًا واحدًا فقط... جرّب!»

رفع جاردنر رأسه أخيرًا، وبدت عيناه المجنونتان دامعتين.

"نعم، لنا أعداء."

"مرتين حاولت ولاية إنديانا أن تُغلق داري. أتدرون لماذا؟ لأنّ الإنسانيين الراديكاليين لا يحتملون فكرة وجودي هنا، أعلّمكم محبة يسوع ووطنكم. هذا يثير جنونهم!

لكن هل تريدون أن تعرفوا شيئًا؟

سِرًّا قديمًا عميقًا مظلمًا؟»

انحنوا جميعًا للأمام، أعينهم مثبتة عليه.

فقال هامسًا..

"نحن لا نثير غضبهم فقط... نحن نُخيفهم."

"هللويا!"

"أووه ياه!"

"آمين!"

وفي لحظةٍ خاطفة، قفز جاردنر إلى الميكروفون من جديد، وبدأ عرضه المجنون!

يصعد وينزل، يمينًا ويسارًا، بخطواتٍ راقصة كالمهرّجين في مطلع القرن الماضي.

يضخ الكلمات نحوهم، يضرب بقبضته الهواء ثم يرفعها إلى السماء حيث يجلس الله مستمعًا، كما تخيّل.

"نخيفهم! أوه ياه! نخيفهم حتى يرتشفوا كوكتيلًا آخر، أو يشمّوا كوكايين أكثر!

نخيفهم لأنهم، حتى وهم ينكرون الله، يشمّون رائحة البرّ تخرج منا، ومن خلالها يشمون الكبريت المتصاعد من جلودهم هم!

ولا يعجبهم ذلك أبدًا!

فيُرسلون مفتشين ليزرعوا القمامة في المطبخ، أو يُطلقوا

الصراصير في الدقيق!

ويشيعون الإشاعات القذرة بأننا نضرب أولادنا!

هل يُضرب أحدٌ هنا؟!»

"لاااا!" دوّى الردّ.

حتى "مورتون" صاح معهم، رغم الكدمة الطازجة التي بدأت تزرقّ على خده.

"أرسلوا إلينا صحفيين متذاكين من برامج الأخبار الراديكالية!' صاح جاردنر بازدراءٍ مفعمٍ بالدهشة.

"جاؤوا وقالوا: "من سنشوّه هذه المرة؟ لقد فعلناها مئةً وخمسين مرة، نحن خبراء في تلويث الأطهار! فقط دلّونا على الهدف وأعطونا كوكتيلًا أو لفافة حشيش!"

لكننا خدعناهم، أليس كذلك يا أولادي؟»

"نعم!" همهموا بعنفٍ جَمّ.

'لم يجدوا صبيًا واحدًا مكبّلًا في الإسطبل، أليس كذلك؟ ولا واحدًا في قميصٍ مجنون، ولا بأظافر مقتلعة!

كل ما وجدوه أولادًا قالوا إنهم ضُربوا، وقد ضُربوا فعلًا! نعم، وأنا أشهد أمام عرش الربّ ذاته أن العصا إن لم تُرفع، فالصبي سيفسد!

أتؤمنون بذلك؟ قولوا هللويا!»

"هللويا!"

"حتى مجلس التعليم في ولاية إنديانا، رغم كراهيته لي، اعترف بأن شريعتهم في هذا توافق شريعة الله.. إن لم تُؤدّب، فسدتَ!

لقد وجدوا أولادًا سعداء! أصحاء! أولادًا يسيرون مع الربّ ويتحدثون بالربّ! قولوا هللويا!»

"هللويا!"

"قولوا أووووه يااااه!"

"أووووه يااااه!"

عاد جاردنر إلى المنصّة، وقد بدأ صوته يهدأ من جديد..

"الربّ يحمي الذين يحبّونه.

ولن يسمح لزمرةٍ من مدمني المخدرات والملاحدة الشيوعيين أن يسلبوا هذا المأوى منكم، أنتم الفتيان المتعبين التائهين.

لكن... بعض الأولاد كذبوا.

كذبوا على الكاميرات.

سمعتُ أصواتهم، وإن لم يُظهروا وجوههم الجبانة، فقد عرفتها.. نعم، عرفتها..

حين تُطعم ولدًا، حين تضمّ رأسه إلى صدرك وهو يبكي

على أمّه في الليل، فأنت لا تنسى صوته أبدًا..

هؤلاء الأولاد رحلوا الآن..

الله قد يغفر لهم... أتمنى أن يفعل... لكن جاردنر المنير... مجرد بشر.»

خفض رأسه في مظهرٍ يوحي بالندم،

ثم رفعه فجأة، وعيناه تشتعلان نارًا.

"جاردنر لا يستطيع أن يغفر.

جاردنر أرسلهم إلى الطريق من جديد.

ألقوا في الأراضي البعيدة، وهناك لن يُطعَموا... هناك، حتى الأشجار قد تأكلهم كما تأكل الوحوش التي تسير في الليل!»

ساد صمتٌ مذعورٌ في القاعة.

حتى كايسي خلف الزجاج بدا شاحبًا كالأموات.

قال جاردنر بصوتٍ خافتٍ يقطّع الهواء..

"الكتاب يقول إن الله طرد قايين إلى شرق عدن، إلى أرض نود.

أن تُلقى على الطريق مثل ذلك، يا أولادي، هو الجحيم بعينه.

هنا، هنا في دار صن لايت، مأواكم الآمن.

لكن إن ضعفتم... إن كذبتم... فويلٌ لكم.

الجحيم ينتظر المرتدّين كما ينتظر الساقطين عمدًا..

تذكّروا، يا فتيان...

تذكّروا.

فلنُصلِّ.»

الفصل الثالث والعشرون

فِريد جانكلو

1

استغرق الأمر من جاك أقل من أسبوعٍ واحد ليُقرر أن الانتقال إلى «الأراضي» هو السبيل الوحيد الممكن للهروب من دار نور الشمس.

كان مستعدًا للمحاولة، لكنه أدرك أنه سيفعل أي شيء، ويتحمل أي خطر، فقط ليتجنب الانتقال من داخل الدار نفسها.

لم يكن هناك سببٌ ملموس لهذا الشعور... سوى ذلك الصوت الخافت في أعماق عقله، يهمس بأن ما هو سيئٌ هنا سيكون أسوأ هناك.

ربما كانت هذه الدار مكانًا فاسدًا في كل العوالم... كبقعةٍ عفنةٍ في تفاحةٍ امتدّ عفنها إلى القلب.

على أيّ حال، كانت دار نور الشمس سيئة بما يكفي، ولم تكن لدى جاك أدنى رغبة في رؤية نظيرها في الأراضي، إلا إذا اضطرّ لذلك.

لكن ربما هناك مخرج..

كان وولف وجاك وبقية الصبية الغير المحظوظين بما يكفي ليكونوا ضمن طاقم العمل بالخارج... وهذا يشمل معظمهم...

حيث يقضون أيامهم في ما يُسمّى بـ الحقل البعيد.

يبعد ميلًا ونصف تقريبًا عن الطريق، على حافة ممتلكات جاردنر، وهناك كانوا يقضون النهار في جمع الصخور.

لم يكن هناك عملٌ زراعيّ آخر في هذا الفصل من العام؛ فآخر المحاصيل جُنيت في منتصف أكتوبر.

لكن كما ذكرهم القس جاردنر كل صباحٍ أثناء القداس الصباحي، فإن الصخور يا أبنائي موسمها لا ينتهي أبدًا.

جلس جاك كل صباحٍ في مؤخرة إحدى شاحنتي المزرعة المتهالكتين، يراقب الحقل البعيد بعينيه المتوجستين، بينما جلس وولف بجانبه منكّس الرأس، كصبيٍّ يفيق من صداعٍ ثقيل بعد سُكر.

كان الخريف مطيرًا في الغرب الأوسط، وتحول الحقل إلى طينٍ لزجٍ كثيف، يغوص فيه الحذاء حتى الكاحل.

وقبل يومين فقط، تذمّر أحد الصبية في خفوتٍ قائلاً "هذا الحقل يبتلع الأحذية تمامًا."

"ماذا لو هربنا فحسب؟"

فكّر جاك للمرة الأربعين.

"ماذا لو صرخت في وولف "انطلق!" وبدأنا نركض بعزم قوتنا؟

إلى أين؟

الطرف الشمالي، حيث الأشجار والجدار الحجريّ... هناك تنتهي أرضه.

قد تكون هناك سياج.

سنتسلّقه، وإن لم نقدر فسيلقيني وولف من فوقه.

قد تكون أسلاكًا شائكة.

نتسلل من تحتها... أو...

أو ربما يمزقها وولف بيديه العاريتين».

كره جاك الفكرة، لكنه كان يعلم أن وولف قادر على ذلك... وإذا طلب منه، فسيلبّي.

ستُدمى يداه، لكن ما يُعانيه الآن كان أسوأ.

"ثم ماذا بعد ذلك؟

الجواب واضح: الانتقال.

ذلك ما تقوله الهمسات الداخلية.

إن تمكّنا فقط من تجاوز حدود أرض دار نور الشمس، سيكون لدينا حينها فرصةٌ حقيقية للنجاة.»

ولن يتمكّن سينغر وباست اللذان صار جاك يُسميهما في ذهنه التوأمين البلطجيين من مطاردتهما بالشاحنة؛

فأول شاحنة تحاول دخول الحقل البعيد قبل صقيع ديسمبر العميق ستغوص في الوحل حتى منتصف هيكلها.

سيكون سباقًا على الأقدام، لا أكثر..

عليه أن يحاول.

أفضل بكثير من المحاولة هنا، في قلب الدار.

ولم يكن فقط قلقه على وولف المتألم يدفعه،

بل أيضًا ذعره المتنامي على ليلي، التي تموت ببطءٍ في نيوهامبشير، بينما هو يهلل هنا بالإكراه.

انطلق... سواءً وُجد العصير السحري أم لم يوجد... لا بدّ أن نحاول.

لكن قبل أن يكون جاك مستعدًا تمامًا،

كان فِريد جانكلو قد حاول أولًا.

العقول العظيمة تسير في مجرى واحد،

آمين.

2

حدث الأمر فجأة... وبسرعةٍ مذهلة.

في لحظةٍ كان جاك يصغي إلى ثرثرة فِريد جانكلو الساخرة المعتادة، والتي تمتزج فيها السخرية بالظُرف،

وفي اللحظة التالية، كان فِريد يشقّ طريقه راكضًا نحو الشمال، عبر الحقل الموحل المعتم، متجهًا إلى الجدار الحجري.

حتى تلك اللحظة، بدا اليوم مملًا رتيبًا كسائر الأيام في دار نور الشمس.

الجو باردٌ وغائم، والريح تحمل رائحة المطر... وربما الثلج أيضًا.

رفع جاك رأسه ليريح ظهره المتألم، وليتأكد في الوقت ذاته من أن سوني سينغر ليس بالجوار.

كان سوني يستمتع بإزعاج جاك؛

إزعاجه لم يكن جسيمًا بقدر ما كان مستمرًا ومقززًا... يدوس على قدميه عمدًا، يدفعه على الدرج، ويقلب صحن طعامه ثلاث مراتٍ متتالية، حتى تعلّم جاك أن يحتضن صحنه بذراعه من الداخل، ويقبض عليه كما لو كان يمسك حياته بيده.

لم يكن جاك متأكدًا تمامًا لماذا لم يُنظّم سوني حملة ضربٍ

جماعية عليه.

ربما لأن القس جاردنر مهتمّ بالصبي الجديد.

كره جاك هذه الفكرة، بل أخافته... لكنها بدت منطقية.

سوني سينغر يؤجّل الهجوم لأن جاردنر أمره بذلك،

وذاك سببٌ إضافي للهرب في أقرب وقتٍ ممكن.

نظر جاك إلى يمينه؛

كان وولف على بُعد عشرين ياردة تقريبًا، يحفر بين الصخور وشَعره يتدلّى فوق وجهه.

وبالقرب منه كان هناك صبيّ هزيل كالعصا، ذو أسنانٍ بارزة... اسمه دونالد كيغن.

ابتسم له دوني ابتسامة إعجابٍ عريضة، كاشفًا صف الأسنان البارزة المذهل،

بينما سالت خيوط اللعاب من طرف لسانه المتدلّي.

أشاح جاك بوجهه سريعًا.

إلى يساره كان فِريد جانكلو الصبي ذو اليدين الضيقتين كخزف دِلفت، وشعرٍ يتراجع على الجبهة كشامة سوداء.

خلال الأسبوع الذي قضياه معًا في الدار، صار هو وجاك صديقين مقرّبين.

ابتسم فِريد بسخريته المعهودة.

"دوني واقع في حبك."

قال جاك بانزعاجٍ، والحمرة تتسلل إلى خديه

"اصمت يا رجل."

ضحك فِريد بخبثٍ مردّدًا

"أراهن أن دوني سيفعلها لو سمحت له.. أليس كذلك يا دوني؟"

ضحك دوني كيغن ضحكته العالية الخشنة،

من دون أن يدرك أدنى فكرة عما يتحدثان عنه.

قال جاك بضيقٍ متزايد

"أتمنى أن تتوقف عن هذا."

شعر بانزعاجٍ لم يعرف له مثيل.

"دوني واقع في حبك."

اللعنة على الأمر...

ربما كان المسكين دوني كيغن، بعقله البسيط، واقعًا في حبه حقًا...

وربما لم يكن الوحيد.

على نحوٍ غريب، خطرت في بال جاك صورة الرجل اللطيف الذي عرض عليه أن يعيده إلى منزله،

ثم اكتفى بإلقائه قرب مخرج المركز التجاري في زينسفيل.

ذلك الرجل رآها أولًا، فكر جاك.

مهما يكن هذا الشيء الجديد في داخلي... فقد رآه هو أولًا.

قال فِريد

"لقد أصبحت مشهورًا هنا يا جاك.

بل أعتقد حتى أن العجوز هيك باست نفسه يمكنه... لو طلبت منه."

احتقن وجه جاك من الغضب

"يا رجل، هذا مقرف... أنا أقصد..."

فجأة، أسقط فِريد الصخرة التي كان يعمل عليها ونهض واقفًا.

تلفّت حوله بسرعة... لم يكن أيّ من أصحاب القمصان البيضاء يراقبه، ثم التفت إلى جاك وقال بنبرةٍ مسرحية

"والآن يا عزيزتي، لقد كانت حفلةً مملة للغاية،

وأخشى أن عليّ المغادرة."

أطلق فِريد قبلةً هوائية نحوه، ثم أشرق وجهه فجأة بابتسامةٍ عجيبة الإشراق،

وفي اللحظة التالية كان يركض بكل ما أوتي من طولٍ وهزال، بخطواتٍ واسعة تشبه مشية اللقلق،

مندفعًا نحو الجدار الحجريّ في نهاية الحقل البعيد.

لقد باغت الحرّاس فعلًا... إلى حدٍّ ما.

كان بيدرسن يتحدث عن الفتيات مع وُورويك وصبيٍّ طويل الوجه يُدعى بيبودي،

أحد أفراد طاقم الخارج الذي أُعيد مؤقتًا إلى الدار.

أما هيك باست، فقد نال شرفًا عظيمًا بمرافقة القس جاردنر إلى مانسي في مهمةٍ ما.

تمكن فِريد من كسب انطلاقةٍ جيدة قبل أن يعلو الصياح المفاجئ

"هلموا! هلموا! هناك هارب!"

تجمّد جاك لحظةً وهو يحدّق بفِريد،

الذي صار يبعد ستّ صفوفٍ من الصخور، يركض بجنون.

ورغم أنه رأى خطته تُسرق من أمامه،

شعر فجأة بانتعاشٍ داخليّ، بفرحةٍ غريبة...

وفي قلبه تمنّى له كل الخير..

"اذهب! اذهب أيها اللعين الساخر!

اذهب، من أجل جايسون!»

قال دوني كيغن وهو يلهث بضحكةٍ صاخبة

"إنه فِريد جانكلو!"

ثم انفجرت ضحكته المدوية المجلجلة.

3

تجمّع الصبية تلك الليلة في القاعة المشتركة من أجل الاعترافات، كما جرت العادة،

لكن جلسة الاعتراف أُلغيت.

دخل آندي وورويك بخطواتٍ واثقة، أعلن الإلغاء بجفاءٍ قاطع، وأخبرهم أنهم يملكون ساعةً من «التآخي» قبل العشاء، ثم غادر بخطواته ذاتها.

ظنّ جاك أن وورويك بدا تحت طبقة سلطته المتخشّبة خائفًا.

وكان فِريد جانكلو غائبًا.

نظر جاك حول القاعة متأملًا بخفة وسخريةٍ كئيبة..

"إن كان هذا هو "التآخي فيما بيننا"، فكيف ستكون "ساعة الهدوء" لو طُلبت منهم؟"

جلسوا في أرجاء القاعة الطويلة الكبيرة، تسعةٌ وثلاثون فتى تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والسابعة عشرة، ينظرون إلى أيديهم، يعبثون بجروحهم، أو يعضّون أظافرهم بوجومٍ قاتم.

كان على وجوههم جميعًا مظهرٌ واحد كمدمنين حُرموا جرعتهم.

أرادوا أن يسمعوا الاعترافات؛ بل أكثر من ذلك، رغبوا في

أن يعترفوا بأنفسهم.

لم يذكر أحدٌ فِريد جانكلو.

كأن فِريد، بتهكّمه على عظات القس جاردنر ويديه الشاحبتين كخزف دِلفت، لم يوجد قط.

شعر جاك برغبةٍ جامحة في أن ينهض ويصرخ بهم، لكنه كبحها بصعوبةٍ بالغة، وراح يفكّر بأقصى ما استطاع من تركيزٍ في حياته كلها.

"إنه ليس هنا لأنهم قتلوه... كلّهم مجانين.

أتظنّ الجنون غير مُعدٍ؟ انظر فقط لما حدث في ذلك المكان المجنون في أمريكا الجنوبية حين أمرهم الرجل ذو النظارات العاكسة أن يشربوا العصير الأرجواني، فقالوا نعم يا سيدي، وشربوه.»

نظر جاك إلى الوجوه الكالحة المتعبة الفارغة، وفكّر كيف كانت ستتوهّج، كيف ستتّقد، لو أن «نور الشمس» جاردنر دخل القاعة الآن... لو دخلها في تلك اللحظة بالذات.

سيفعلونها، نعم، إن طلب منهم ذلك. سيشربون، ثم يمسكون بي وبؤولف، ويصبّونه في حلوقنا كذلك...

كان فِريد محقًا إنهم يرون شيئًا على وجهي، أو في وجهي، شيئًا دخلني هناك... في الأراضي.

وربما يحبّونني قليلًا... أظنّ هذا ما جعل هيك باست يقرع

جرسه... ذاك الكسلان ليس معتادًا أن يحبّ أيّ شيءٍ أو أيّ أحد.

نعم، ربما يحبّونني قليلًا... لكنهم يحبّونه هو أكثر بكثير.

سيفعلونها.. إنهم مجانين...

لقال له فِريد هذا، وها هو جاك، جالسٌ في القاعة المشتركة، مفترضًا أن فِريد قد قال ذلك فعلًا.

قال له فِريد إنه أُودِع «بدار نور الشمس» بقرارٍ من والديه مسيحيين متشددين، يركعون في غرفة المعيشة كلّما بدأ أحد مقدّمي برنامج نادي الـ٧٠٠ الصلاة.

لم يفهمه والداه قط، كأن فِريد قُطع من قماشٍ مختلف تمامًا...

ظنّاه طفلًا من نسل الشيطان إنسانيًا شيوعيًا راديكاليًا متنكّرًا.

وعندما هرب للمرة الرابعة وأمسكه الشرطي فرانكي ويليامز بنفسه، جاء والداه إلى دار نور الشمس حيث كان فِريد محتجزًا ووقعا في حبّ القس جاردنر من النظرة الأولى.

وجدَا فيه الحلّ لكل المشكلات التي سبّبها لهما ابنهما الذكيّ المتمرّد المزعج.

سيُهذّب جاردنر ابنهما على طريق الربّ.

سيُريه خطأه.

وسيُخلّصهما منه ويُبعده عن شوارع أندرسون.

قال فِريد لجاك

"شاهدَا التقرير عن دار نور الشمس في صنداي ريبورت.. أرسلَا لي بطاقة يقولان فيها إن الله سيعاقب الكذّابين والأنبياء الكذبة في بحيرة النار. كتبتُ لهما ردًّا رودولف في المطبخ هرّب الرسالة لأجلي.. دولف شخصٌ طيّب."

ثم توقّف قليلًا..

"أتدري ما تعريف فِربد جانكلو للرجل الطيب يا جاك؟"

"لا."

"هو من يبيع نفسه." قالها وضحك ضحكته الساخرة المجروحة.

"دولارين فقط مقابل خدمات البريد من دولف..

فكتبت لهما أقول: إذا كان الله يعاقب الكذّابين كما تقولان، فأتمنى أن يجد القس جاردنر لباسًا داخليًا من الأسبستوس في العالم الآخر، لأنه يكذب عمّا يجري هنا أسرع مما تركض الخيول..

كلّ ما عرضوه في صنداي ريبورت، الشائعات عن السترات المقيدة والصندوق الحديدي كان حقيقيًا.

لم يتمكنوا من إثباته، صحيح.. الرجل مجنون، لكنّه ذكيّ.

وإن أخطأت في تقدير هذا يا جاك، فستتألم بشدة، ومعك وولف الصغير الجسور أيضًا.»

رد جاك

"هؤلاء الصحفيون في صنداي ريبورت عادةً بارعون في كشف اللصوص.. أمي تقول ذلك دائمًا."

قال فِريد

"أوه، لقد خاف.. صار يصرخ بصوتٍ حاد.

هل شاهدت همفري بوغارت في تمرد كاين؟ كان هكذا تمامًا، أسبوعًا كاملًا قبل مجيئهم.

وحين وصلوا، تظاهر بالهدوء والتعقل، لكن الأسبوع الذي سبق كان جحيمًا حيًا.

كان (السيد آيس كريم) يتغوّط في سرواله من الخوف..

ذاك الأسبوع ركل بيني وودروف من أعلى السلالم إلى أسفلها من الطابق الثالث لأنه ضبطه ممسكًا بكوميكس سوبرمان.

بيني أغمي عليه ثلاث ساعات، ولم يعرف من هو أو أين هو حتى المساء.»

توقَّف فِريد لحظةً، ثم تابع..

"لقد عرف بقدومهم. تمامًا كما يعرف دائمًا متى سيجري

المفتّشون زيارةً مفاجئة من إدارة الولاية..

يخفي السترات في العليّة، ويتظاهر بأن الصندوق الحديدي مجفّف قشّ.»

ثم ضحك ضحكته الساخرة المجروحة مرةً أخرى..

"أتدري ماذا فعل والداي يا جاك؟ أرسلا نسخةً مصوّرة من رسالتي إلى القس جاردنر.

(لأجل مصلحتي الخاصة)، هكذا كتب أبي في رسالته التالية لي.

وتخيل ماذا حدث بعدها؟ صار دوري في الصندوق هدية من والديّ!»

ثم ضحك من جديد... تلك الضحكة المجروحة نفسها.

"أخبرك شيئًا آخر، يا جاك.

هو لم يكن يمزح في الصلاة الليلية.

الأولاد الذين تكلّموا مع فريق صنداي ريبورت اختفوا جميعًا من استطاع الوصول إليهم منهم، على الأقل.»

كما اختفى فِريد الآن، فكّر جاك وهو يراقب وولف عبر الغرفة.

ارتجف.

شعر ببرودةٍ في يديه لا تطاق.

"صديقك فيل الفتى الذئب الجسور.

هل بدأ وولف يبدو مشعرًا أكثر؟ بهذه السرعة؟

مستحيل... لكن ذلك قادم لا محالة كحركة المدّ تمامًا.

وبينما نحن جالسان هنا نقلق بشأن خطر الجلوس، أخبرني يا جاك..

كيف حال أمك؟ كيف حال «ليلي الحبيبة»، ملكة أفلام الدرجة الثانية؟

هل تفقد وزنها؟ هل تتألم؟

هل بدأت أخيرًا تشعر بذلك الوحش يأكلها بأسنانه الصغيرة النهمة بينما أنت هنا تنبت جذورًا في هذا السجن الغريب؟

هل مورغان يستعدّ ليلفّ البرق ويمنح السرطان يد المساعدة؟»

لقد صُدم جاك حين سمع عن السترات المقيدة،

ورغم أنه رأى الصندوق الحديدي ذلك الشيء القبيح الجاثم في فناء الدار الخلفي كأنه ثلاجة مهجورة لم يصدق أن جاردنر يضع الصبية فيه فعلًا.

لكن فِريد أقنعه تدريجيًا، بصوتٍ خافتٍ وهما يحصدان الصخور في الحقل البعيد.

قال فِريد

"عنده هنا نظام عظيم يا جاك... رخصة لطباعة المال..

برامجه الدينية ثُبَثّ في كل أنحاء الغرب الأوسط، وعلى الكيبل والتلفزيون المحلي في معظم البلاد.

ونحن جمهوره الأسير.

نبدو رائعين على الشاشة، ونغني كأننا جوقة الملائكة...

إلا حين يبدأ روي أودرسفِلت بعصر تلك البثرة فوق أنفه اللعين.

لديه (كيسي)، مخرج الإذاعة والتلفزيون المقرّب منه

كيسي يسجّل الصلوات الصباحية والليلية،

ثم يركّب الصوت والصورة ليجعل جاردنر يبدو كبيلي غراهام،

ونبدو نحن كجمهور ملعب يانكي في المباراة السابعة من نهائيات العالم.

وليس هذا كلّ شيء.

كيسي هو عبقري الدار.

ترى الحشرة في غرفتك؟ كيسي زرعها.

كلّ شيءٍ يتصل بغرفته الخاصة للمراقبة، والطريق الوحيد إليها يمرّ عبر مكتب جاردنر.

الأجهزة تُفعّل بالصوت، فلا تُهدر شرائط التسجيل.

أيّ شيءٍ مثير يحتفظ به جاردنر ليستمتع به لاحقًا.

سمعت أن كيسي وضع صندوقًا أزرق على هاتف جاردنر ليجري مكالماتٍ بعيدة مجانًا،

وأنا واثق أنه سرق خطًا من كابل القنوات المدفوعة المارّ أمام الدار.

تخيل (السيد آيس كريم) مستلقيًا بعد يومٍ طويل من بيع يسوع للجماهير، يشاهد فيلمين على سينماكس!

يعجبني هذا المشهد.

إنه أمريكيّ صرف، جاك... وفي إنديانا يحبّونه كما يحبّون كرة السلة الثانوية!»

بصق فِريد في التراب بعد أن بصق ما في حلقه، ثم تقلّص وجهه اشمئزازًا.

قال جاك

"أتمزح؟"

فأجابه فِريد بجدٌ متين

"فِريد جانكلو لا يمزح بشأن مهرّجي دار نور الشمس، يا جاك.

الرجل غني، ولا يصرّح بشيءٍ من دخله للضرائب.

مجلس التعليم المحلي خائفٌ منه إلى حدّ الموت...

هناك امرأةٌ من المجلس ترتعد كلّما رأته، كأنها تودّ أن تقي نفسها منه بإشارة العين الشريرة.

وكما قلت، هو يعرف دائمًا متى سيزورنا مفتّشو الدولة.

حينها ننظّف المكان من الأرض إلى السقف،

و(باست اللعين) يأخذ الستارات إلى العليّة،

ويملأ الصندوق بالقشّ.

وعندما يصلون، نكون جميعًا في الصفوف الدراسية.

كم صفًا حضرتَ منذ أتيت إلى نسخة إنديانا من (سفينة الحب)، يا جاك؟»

رد جاك

"ولا واحد."

فقال فِريد بفرحٍ لاذع..

"ولا واحد!"

ثم ضحك ضحكته الساخرة المجروحة مجددًا...

تلك الضحكة التي تقول.. «أتدري ماذا اكتشفت حين بلغت الثامنة؟

اكتشفت أن الحياة تمنحك صفعة ملكية،

وأن الأمور لن تتغير سريعًا... وربما لن تتغير أبدًا.

وإن كان هذا يحزنني، فله وجهٌ مضحك أيضًا..

أتفهمني يا حبة الجيلي؟»

4

نسجت أفكار جاك خيوطها على نحوٍ غائم، حين أمسكت أصابعُ خشنة بمؤخرة عنقه عند موضع العصب خلف الأذنين، ورفعته من فوق مقعده دفعةً واحدة لفته إلى سحابةٍ من النفس الآسن، ليجد نفسه في مواجهة وجهٍ أقرب إلى قمرٍ أغبر بلا حياة، وجه هيك باست.

قال هيك، وصوته ينضح بالغلظة..

"كنتْ والقسّ ما نزال في مونسي حين نقلوا صديقك الشاذ المشاكس إلى المستشفى."

أخذت أصابعه تضغط وتنبسط حول عنق جاك في إيقاعٍ مؤلم... تأوّه جاك، فابتسم هيك، وانفرجت شفتاه عن أنفاسٍ كريهةٍ أكثر من ذي قبل.

"القس تلقّى الخبر على جهازه اللاسلكي، كان شكل جانكلو كقطعة طعامٍ متفحمة في فرنٍ كهربائي، بعد خمسٍ وأربعين دقيقة من الاحتراق. سيستغرق وقتًا طويلًا قبل أن يعود كما كان."

فكّر جاك بمرارة.. «إنه لا يتحدث إليّ، بل إلى الجميع... يريد أن يوصل رسالة.. فريد مازال حيًا.»

قال جاك بصوتٍ متهدج لكنه واضح

"أنت كاذبٌ وضيع. فريد..."

صفعه هيك قبل أن يتمّ جملته فسقط جاك أرضًا، وتراجع الأولاد إلى الخلف، وضحك دوني كيغان ضحكةً رفيعةً حادةً، فيها مزيجٌ غريب من الدهشة والابتهاج.

ارتفع هدير الغضب في الغرفة.. رفع جاك رأسه مرتبكًا، والدماء تدوي في صدغيه.. التفت هيك، فرأى وولف واقفًا بجانب جاك، متصلّب الملامح، شفته العليا مشدودة، والضوء المنعكس على نظارته المستديرة يُلقي عليها بريقًا نارياً غريبًا.

قال هيك باستهزاءٍ وهو يبتسم..

"إذن الغبيّ قزّر أخيرًا أن يرقص؟ حسنًا! أنا أحبّ الرقص تعالَ يا صاحب الوجه الكئيب، هيا لنرقص!"

بدأ وولف يتقدّم نحوه ببطء، وهيك يتحرك لملاقاته.. تراجعت الكراسي على أرضية الغرفة الملساء(10) الباردة محدثةً صريرًا بينما انزاح الآخرون إلى الأطراف، تاركين لهما الساحة.

صرخ أحدهم من على الباب

"ما الذي يجري هنا؟!"

كان سوني سينغر.. لكنه فور أن رأى المشهد، ابتسم ابتسامةً خفيفة، أغلق الباب، واستند إليه، بذراعين متقاطعتين، ووجهه الداكن يشعّ بلهفةٍ غريبة.

صاح جاك

"وولف! احذر!"

أجابه وولف بصوتٍ خفيضٍ أجشّ كزئيرٍ مكتوم..

"سأحذر يا جاك."

زمجر هيك

"اقترب أيها الأحمق!"

ورمى لكمةً عنيفةً في الهواء، أصابت خدّ وولف على عظمة وجهه اليمنى، فترنّح خطوتين إلى الخلف، ضحك دوني ثانيةً، ضحكته تلك التي باتت إعلانًا للذهول أكثر من البهجة.

كانت اللكمة قوية، لكنها الوحيدة التي أصابت هدفها.. فحين تقدّم هيك مغترًا، رفع وولف ذراعه، معترضًا لكمته، وأمسك بقبضة خصمه.. كانت يد هيك كبيرة، لكن يد وولف كانت أضخم منها.

ابتلع قبضة هيك بين فكي قبضته، وأطبق عليها بقوةٍ رهيبةٍ حتى انبعث صوتُ العظام وهي تتصدع تحت الضغط.

انطفأت ابتسامة هيك، ثم تجمّد وجهه تمامًا قبل أن يصرخ صرخةً تخلع القلب.

قال وولف بصوتٍ غائرٍ كأنما يأتي من باطن الأرض

"ما كان لك أن تؤذي القطيع، أيها الحقير... لا أحد يؤذي القطيع."

ثم دوّى صوتُ العظام وهي تتحطم.

سقط هيك على ركبتيه يصرخ ويجهش بالبكاء، بينما ظلّ وولف متمسكًا بقبضته المهشّمة، سالت قطرات الدم من بين أصابع وولف على الأرض.

صرخ جاك

"وولف، كفى! توقف!"

نظر حوله فوجد سوني قد اختفى، والباب مفتوحًا على مصراعيه.. كان معظم الأولاد قد تراجعوا إلى الجدران، حملت وجوههم مزيجٌ من الرعب والذهول.. في وسط الغرفة ظل المشهد معلقًا.. هيك على ركبتيه، وذراعه المرفوعة مشدودة في قبضة وولف، والدم يسيل على الأرض كأن الغرفة نفسها تنزف.

اندفع الرجال إلى الداخل كايسي، وواروبك، وسوني الذي عاد ومعه جاردنر، يحمل حقيبةً سوداء صغيرة.

صرخ جاك..

"فورًا، وولف! توقف!"

قال وولف بهدوءٍ يحاكي الغياب

"حسنًا، يا جاك."

أفلت يد هيك.. فرأى جاك ما تبقى منها، شيئًا مشوّهًا كبتلات زهرة ممزقة.

أمسك الرجال وولف من الخلف، فدفعهم بذراعه، وارتطم

وارويك بالحائط.. صرخ أحدهم، وجاردنر يقول وهو يفتح حقيبته

"أمسكوه! أمسكوه باسم الرب!"

صرخ جاك من جديد

"لا، وولف! لا تفعل!"

لكن وولف كان يقاتل كوحشٍ جريح، إلى أن غرز جاردنر الإبرة في ذراعه، وهمس بصوتٍ باهت

"احمدوا الله... لقد أمسكناه."

صرخ وولف وهو يترنّح، ثم بدأ يسقط ببطءٍ بين أذرعهم.

وقف جاك مذهولًا، دموعه تغلي من الغضب، عاجزًا عن فعل شيء.. نظر إلى وولف، وإلى الدماء، وإلى العيون المذعورة حوله، فعرف أن شيئًا في نفسه قد انكسر إلى الأبد.

5

كان وولف لم يزل يصرخ داخل الصندوق حين اقتادوا جاك والفتيان إلى قداس الصباح.

كانت عينا القسّ جاردنر المنير تحدّقان في وجه جاك الشاحب المتوتّر بسخريةٍ جليّة، ثم قال ببطءٍ متعمّد

"ربّما حان الوقت، يا سيد باركر؟"

(وولف... إنها أمي... أمي...)

ظلّ وولف يصرخ حتى خرج الفتيان إلى العمل الميداني، بعد أن انقسموا إلى مجموعتين وساروا نحو الشاحنات.

وحين مرّ جاك قرب الصندوق، كان عليه أن يُجاهد كي لا يطبق يديه على أذنيه.

تلك الأصوات... تلك الزمجرات، وذلك النحيب المجنون...

وفجأةً، وجد سوني سينغر إلى جواره.. مردّدًا بنبرةٍ ناعمةٍ ملساء تخفي شيئًا شريرًا خلفها

"القسّ جاردنر في مكتبه، ينتظرك لتدلي باعترافك حالًا، يا وجه المخاط.. قال إنّه سيُخرج الأخرق من الصندوق في اللحظة التي تخبره فيها بما يريد أن يسمعه."

كان وولف لا يزال يصرخ ويعوي ويضرب الحديد بقبضتيه في نوبةٍ من الغضب والجنون.

(آه يا وولف... إنها أمي...)

همس جاك بصوتٍ خفيض مرتجف

"لا أستطيع أن أقول له ما يريد."

ثم التفت إلى سوني فجأة، وقد تدفقت في عينيه تلك القوة الغامضة القادمة من «الأراضي».

تراجع سوني خطوتين واسعتين، وجهه يملؤه الرعب والذهول، تعثر في قدميه واصطدم بجانب إحدى الشاحنات. ولولاها لسقط أرضًا.

مردّدًا بأنفاسٍ متلاحقةٍ واهنة

"حسنًا... حسنًا، انسَ الأمر."

ثم ارتسمت على وجهه تلك الغطرسة المألوفة من جديد، وقال وهو يحدّق فيه بعينين ضيّقتين..

"القسّ قال لي إنك لو رفضت، أخبرك بأن صديقك يصرخ من أجلك.. أتفهم؟"

قال جاك ببرودٍ قاتم

"أعلم لمن يصرخ."

مرّ بيدرسن بجانبهما وقال بصوتٍ أجشّ دون أن يلتفت

"إلى الشاحنة."

لكنّه، حين مرّ قرب سوني، لوى فمه باشمئزاز كمن يشمّ

رائحةً فاسدة.

حتى بعد أن تحرّكت الشاحنات وارتجّت الأرض بعجلاتها، ظلّ جاك يسمع صرخات وولف.

رغم أصوات المحرّكات التي مزقت الهواء، ظل صراخه يخترق كل شيء...

لقد اتصلت روحه بروح وولف، وصار يسمعه يصرخ حتى بعد أن بلغوا «الحقل البعيد».

ولم يخفف علمه بأن تلك الصرخات في رأسه فقط من عذابه قيد أنملة.

عند الظهيرة، خمد الصوت.

وعرف جاك فورًا، بيقينٍ كالسيف، أن جاردنر أمر بإخراجه من الصندوق، قبل أن يلفت صراخه الانتباه الخطأ.

بعد ما حدث لفِريد، لم يرد جاردنر لفت أيّ أنظارٍ بعد الآن.

حين عادوا وقت الغروب، وجدوا باب الصندوق مفتوحًا... والصندوق فارغًا.

في الأعلى، داخل الغرفة المشتركة، كان وولف ممدّدًا على السرير السفلي.

ابتسم حين دخل جاك، ابتسامةً شاحبةً تُشبه الموت.

قائلا بصوتٍ خافتٍ كأنّه آتٍ من بعيد..

"كيف حال رأسك يا جاك؟ الكدمة خفّت قليلًا.. وولف!"

ركض إليه جاك قائلًا

"وولف! هل أنت بخير؟"

قال وولف

"لقد صرخت، أليس كذلك؟ لم أستطع أن أمنع نفسي."

قال جاك، وصوته يغلي بالمرارة

"وولف، أنا آسف."

لكن وولف بدا غريبًا... شاحب أكثر من اللازم، كأن الضوء غادر وجهه..

"إنه يموت،" فكر جاك.

ثم صحّح لنفسه.. «لقد بدأ وولف يموت منذ أن قفزنا إلى هذا العالم هربًا من مورغان... لكنه الآن يموت بمعدل أسرع.»

كان شاحبًا، منهكًا، منكمشًا... لكن...

شعر جاك بقشعريرةٍ تزحف في دمه..

ذراعا وولف وساقاه لم تعودا عاريتين كما كانتا؛ غطّاهما وبرٌ ناعمٌ فضيّ، لم يكن موجودًا قبل ليلتين.

أحسّ برغبةٍ في أن يندفع نحو النافذة ليتفقد القمر... ليطمئن أنّه لم يُفقد سبعة عشر يومًا دفعةً واحدة.

قال وولف، بصوت أجشّ جافّ

"ليس وقت التحوّل يا جاكي... لكنني بدأت أتغيّر في ذلك المكان المظلم الكريه الذي وضعوني فيه.. وولف! أجل... لأنني كنت غاضبًا وخائفًا... لأنني كنت أصرخ وأعوي. الصراخ والعواء قد يؤديان إلى التحوّل وحدهما، إن استمرّ وولف بهما طويلًا."

ثم مرّر يده على شعر ساقيه قائلاً

"سيزول."

قال جاك، وصوته يرتجف بالدموع

"جاردنر وضع ثمنًا لإطلاق سراحك... لكنني لم أستطع أن أدفعه.. كنت أريد، لكن... وولف... أمي..."

ابتسم وولف ابتسامةً ميتةً حنون، مطمئنًا

"هشش يا جاكي... وولف يعرف... هنا، الآن."

ثم أمسك بيده، وظلت ابتسامته تترنح بين الحياة والموت.

الفصل الرابع والعشرون
جاك يُسمي الكواكب
1

أسبوعٌ آخر في «دار نور الشمس».. الحمد لله..

والقمر يزداد امتلاءً..

في صباح الاثنين، طلب القسّ جاردنر المنير من الفتيان أن يطأطئوا رؤوسهم ويشكروا الرب على «اهتداء أخيهم فرديناند جانكلو إلى المسيح».

قالها بابتسامةٍ مهيبةٍ تفيض نورًا مصطنعًا، مضيفًا بأن «فِريد اتخذ قرار خلاصه أثناء تعافيه في مستشفى «باركلاند»، بعد أن أجرى مكالمةً إلى والديه، قال لهما خلالها إنه يرغب أن يكون داعيةً للرب.

وقد صليا معًا في نهاية الخط وهم على بُعد الأميال، وجاء والداه ليأخذاه في اليوم نفسه.»

ميتٌ ومدفونٌ الآن تحت ثرى متجمدٍ في إحدى حقول إنديانا...

أو لعلّه هناك، في «الأراضي»، حيث لا تطأ أقدام شرطة الولاية أرضًا أبدًا.

في الثلاثاء، كان المطر شديد ومنعهم الصقيع من العمل

الميداني.

سُمح لمعظم الأولاد بالبقاء في غرفهم ليناموا أو يقرؤوا، لكن بالنسبة لجاك وولف، فقد بدأت معهما جولة المضايقات من جديد.

اخذ وولف ينقل حمولةً بعد أخرى من قمامة الحظيرة والمخازن إلى جانب الطريق تحت المطر المنهمر،

أما جاك، فقد كُلّف بتنظيف المراحيض.

ورغم أنهما وارويك وكايسي أرادوا أن يجعلوا من هذا عملاً مهينًا، فقد بدت الفكرة مضحكة في ذهن جاك،

إذ لم يسبق لهما أن شاهدا المراحيض بعد ليلةٍ طويلةٍ في الحانة الشهيرة «أوتلي تاب»، ليعرفا أن هذا المكان ليس بأسوأ مما هناك.

أسبوعٌ آخر في «بيت نور الشمس»... هل تقدر أن تقول يا للعظمة!

عاد هيك باست يوم الأربعاء، بذراعه اليمنى في جبيرةٍ تمتد حتى المرفق، ووجهه العريض الشاحب كالعجين، لا ينبض فيه سوى بُقعٍ حمراء صارخة من الحبوب.

قال بصوتٍ أجشّ متوتر

"الطبيب يقول إنني قد لا أستعيد قدرتي على استخدامها مجددًا... أنت وصديقك الأبله عليكم الكثير لتُحاسَبا عليه، يا

باركر."

أجابه جاك ببرودٍ مشوبٍ بالحذر

"هل تريد أن يحدث ليدك الأخرى الشيء نفسه؟"

لكنّه كان خائفًا...

ففي عينيه لم يرى رغبةً في الانتقام فحسب... بل نزعة إلى القتل.

رد هيك

"لستُ خائفًا منه.. سوني يقول إنهم نزعوا منه أغلب الشرّ في الصندوق... ويقول إنه سيفعل أي شيء كي لا يعود إلى هناك..

أما أنت..."

ثم اندفعت قبضته اليسرى فجأةً..

كانت حركته أخرق من المعتاد، لكن جاك، المذهول من شحوب وجهه المحتقن غضبًا، لم يتنبّه إليها إلا بعد أن اصطدمت شفتاه بقبضته،

تدفق منهما دمٍ ساخنٍ، وارتدّ هو إلى الحائط مترنّحًا.

انفتح باب الغرفة، وأطلّ بيلي آدامز.

صرخ هيك وهو يلهث

"أغلق الباب فورًا وإلا ستنال نصيبك!"

فسارع بيلي بإغلاقه مذعورًا.

تقدّم هيك بخطواتٍ ثقيلة، فابتعد جاك مترنّحًا عن الحائط، ورفع قبضتيه.

توقّف هيك وقال بتهكّمٍ ساخر

"تحبّ ذلك، أليس كذلك؟ أن تتشاجر مع رجلٍ لا يملك سوى يدٍ واحدة!"

واشتعلت الحمرة في وجهه.

انطلقت خطواتٌ سريعة في الممرّ العلوي تتجه نحو السلم.

قال هيك، وهو يرمق جاك بنظرةٍ حاقدةٍ قاتمة

"إنه سوني... انصرف الآن.

لكن تذكّر كلامي، سننال منك، أنت وذلك الأخرق معك...

القسّ جاردنر قال إننا أحرار في ذلك، ما لم تخبره بما يريد أن يسمعه.»

ثم ابتسم ابتسامةً خبيثة، وقال بنبرةٍ لاذعة..

"أرجوك، يا وجه المخاط... لا تخبره."

2

"لقد سُلب شيئًا من وولف داخل «الصندوق»، لا ريب في ذلك..." هكذا فكّر جاك.

مرّت ست ساعات منذ مواجهته لهيك باست في الممر.

وسوف يقرع جرس الاعتراف بعد قليل، غير أنّ وولف كان يغطّ في نومٍ عميق على السرير السفلي.

وفي الخارج، ظلّ المطر يقرع جدران «دار نور الشمس» بلا هوادة.

لم تكن القسوة وحدها سبب ما جرى، وجاك يعلم أنّ «الصندوق» لم يسلب منه كلّ شيء،

ولا «دار نور الشمس» بأسرها...

بل هذا العالم برمّته.

كان وولف، ببساطة، يذوب شوقًا إلى موطنه..

فقد معظم حيويّته، ولم يعد يبتسم إلا نادرًا، ولم يُسمع له ضحك منذ زمان...

وحين صرخ فيه وارويك أثناء الغداء لأنه يأكل بأصابعه، انكمش وولف كطفلٍ أُبغتَت روحه.

"يجب أن يكون قريبًا، يا جاكي... لأنني أموت.. وولف يحتضر."

قالها جاك في نفسه، وقلبه ينفطر بالأسى.

قال هيك باست إنه لا يخاف من وولف،

وبالفعل، لم يبقَ فيه ما يُخشى منه؛

إذ كان سحقه ليد هيك آخر فعلٍ قويٍّ قدر عليه...

دقت أجراس الاعتراف.

وفي تلك الليلة، بعد الاعتراف والعشاء والقدّاس،

عاد جاك ووولف إلى الغرفة، فوجدا سريريهما غارقين بالماء، تفوح منهما رائحة البول الخانقة.

تقدّم جاك نحو الباب وفتحه بعنف، فرأى سوني وواروِيك ومعهما ضخمٌ يُدعى فان زاندت واقفين في الممرّ يبتسمون بسخريةٍ باردة.

قال سوني بابتسامةٍ خبيثة

"يبدو أننا أخطأنا الغرفة، يا صاحب الوجه القذر. حسبناها المرحاض، لكثرة ما نرى فيه من قاذوراتٍ تشبهكما."

وانفجر فان زاندت ضاحكًا حتى كاد يختنق من شدّة الضحك.

حدّق جاك فيهم طويلًا بصمتٍ كالسيف، حتى خمد ضحك فان زاندت وتراجع.

قال الأخير بغِلظةٍ متوترة

"فيم تحدّق أيها الوغد؟ أتريد أن أحطّم أنفك؟"

أغلق جاك الباب في وجههم،

وألقى نظرة على الغرفة، فرأى وولف نائمًا في فراشه المبتلّ، بثيابه الثقيلة.

كانت لحيته قد نبتت قليلًا، لكن وجهه بدا شاحبًا، جلده مشدودٌ ولامع، كوجه مريضٍ أنهكته الحُمّى..

"دعه وشأنه إذن'، قالها في نفسه بفتورٍ متهالك، "إن كان متعبًا إلى هذا الحد، فليَنَم كما هو."

لكن صوتًا في أعماقه صاح فيه

"كلا! لن تتركه ينام في هذا الفراش المدنّس. لن تفعل!"

بخطًى مثقلة، تقدّم جاك نحوه، أيقظه برفق، وأعانه على النهوض من السرير المبتلّ.

نزع عنه ثيابه الرطبة، ثم تمدّدا متلاصقين على أرض الغرفة الباردة،

وناما متكوّرين على بعضهما كطفلين تائهين في ليلٍ موحش...

عند الفجر، انفتح الباب فجأة، ودخل سوني وهيك،

انتزعا جاك من الأرض بعنف، واقتاداه إلى قبو مكتب القسّ جاردنر المنير.

كان القسّ جاردنر جالسًا، وقد رفع قدميه على ركن مكتبه المصنوع من الخشب الفاخر.

كان في ثيابه الكاملة رغم ساعة الليل المتأخرة،

خلفه لوحةٌ تُصوّر المسيح وهو يمشي على مياه بحر الجليل،

وعلى يمينه نافذةٌ زجاجية تطلّ على الاستوديو المظلم حيث يعمل كايسي في صمته الغريب.

من حزامه تدلّت سلسلة ثقيلة تتدلّى منها مجموعة مفاتيح ضخمة،

كان يلهو بها في كفّه وهو يتحدّث بصوتٍ هادئٍ حمل عتابًا باردًا..

"لم تقدّم لنا اعترافًا واحدًا منذ جئت إلى هنا، يا جاك!

والاعتراف غذاءٌ للروح..

فبدونه لا خلاص..

وأنا لا أعني الاعتراف الوثني للكاثوليك،

بل الاعتراف بين الإنسان وإخوته ومخلّصه.»

قال جاك بثباتٍ متكلّف، رغم الخوف الذي ينهش صدره

"سأحتفظ باعترافي بيني وبين مخلّصي، إن كان هذا لا يزعجك."

لكن الغضب اجتاح وجه جاردنر، فصرخ بصوتٍ مزلزل

"بل يزعجني كثيرًا!"

وفجأةً، انفجر الألم في خاصرتي جاك،

فسقط على ركبتيه متلوّيًا من شدّته.

قال سوني بصوتٍ متغطرس

"تحدث مع القسّ جاردنر باحترام، أيها الحقير، فبعضنا هنا يعرف كيف يدافع عنه."

قال جاردنر بوقارٍ مصطنع

"باركك الله يا سوني على محبتك وثقتك."

ثم التفت إلى جاك مجددًا قائلاً

"انهض يا بُني."

تمسّك جاك بحافة المكتب ونهض متأوّهًا.

سأله القسّ بنبرةٍ ناعمةٍ كالسمّ

"ما اسمك الحقيقي؟"

أجابه «جاك باركر»

أومأ جاردنر إيماءةً خفيفة، ثم لمح جاك حركةً جانبية،

لكن الأوان كان قد فات

عاد الألم يشتعل في خاصرته،

فسقط مجددًا، واصطدم رأسه بحافة المكتب حيث الكدمة القديمة ما زالت تؤلمه..

صرخ جاردنر

"من أين أتيت، أيها الكاذب الوقح، يا نطفة الشيطان؟"

أجاب جاك بصوتٍ مبحوح

"من بنسلفانيا!"

وانفجر الألم في فخذه الأيسر كطعنة نار..

تكوّر على الأرض المفروشة بسجادٍ أبيض، يضمّ ركبتيه إلى صدره..

قال جاردنر بهدوءٍ آمر

"انهضوه."

رفعاه قسرًا حتى وقف مترنّحًا.

أخرج القسّ من جيب سترته ولاعة معدنية، أشعلها،

وارتفع اللهيب الأصفر الكبير يضطرب في الهواء.

قرّبها ببطءٍ من وجه جاك تسع بوصات... ستّ...

شمّ رائحة البنزين الحلوة اللاذعة،

اقتربت أكثر ثلاث بوصات، بوصة واحدة، بل نصفها...

تحوّلت الحرارة إلى ألمٍ حارق.

كانت عينا جاردنر تبرقان ببريقٍ غريبٍ مريض،

وشفتاه ترتجفان على حافة ابتسامةٍ مجنونة..

قال هيك بصوتٍ متحمّسٍ تفوح منه رائحة العفن

"نعم... افعلها!"

سأله جاردنر بصوتٍ حادٍّ خشن

"من أين أعرفك؟"

لهث جاك قائلًا

"لم أرك قطّ!"

اقترب اللهيب أكثر،

بدأت دموعه تسيل، وشعر جلده يحترق.

حاول التراجع، فدفعه سوني إلى الأمام.

صرخ جاردنر

"أين التقيت بك؟ إنها فرصتك الأخيرة!"

وصوتٌ داخله يصرخ في فزع

"أخبره، بحق الله، أخبره!"

قال جاك بصوتٍ متقطّع

"إن كنّا قد التقينا، فلا أذكر... ربما في كاليفورنيا..."

وانطفأت الولاعة فجأةً بصوتٍ حاد،

فأطلق جاك أنينًا طويلًا من الارتياح والاختناق.

قال جاردنر ببرود

"أعيدوه إلى غرفته."

اقتاداه نحو الباب،

وصوت القسّ يلاحقه كظلٍّ ثقيل

"لن يفيدك هذا يا جاك.. سأستخرج الحقيقة منك،

إن لم يكن الليلة، فغدًا... وإن لم يكن غدًا، فبعد غد..

لِمَ لا تيسّر الأمر على نفسك؟»

لم يُجب جاك.

ثم شعر بذراعه تُلوى خلف ظهره حتى كادت تخلع، فأنّ من الألم..

همس سوني في أذنه

"أخبره."

وللحظةٍ خاطفة، راوده أن يفعل

ليس لأن الألم فادح، بل لأن الاعتراف... خيرٌ للروح.

تذكّر فناءً موحلًا، ورجلًا آخر في جلدٍ آخر يطرح عليه السؤال نفسه،

وتذكّر أنه فكّر يومها «سأقول لك ما تشاء، فقط توقّف عن النظر إليّ بتلك العينين الهائمتين، أنا طفل، والأطفال

يخبرون... يخبرون كل شيء.»

ثم تردّد في ذهنه صوت أمّه الصارم يسأله

"هل ستكشف نفسك لذلك الرجل؟"

قال جاك بصوتٍ خافتٍ متهدّج

"لا أستطيع أن أخبرك بما لا أعرفه."

ابتسم جاردنر ابتسامةً ضيقةً جافة، وأمرهم ببرودٍ قاتم

"أعيدوه إلى غرفته."

3

أسبوعٌ آخر يمضي في «دار نور الشمس»... ألن تقولوا آمين، أيها الإخوة والأخوات؟ أسبوعٌ طويل... مرير آخر...

ظلّ جاك في المطبخ بعد أن أنهى الآخرون إفطارهم وغادروا، مدركًا تمامًا أنه يغامر بتلقي ضربٍ جديد أو مضايقاتٍ أشدّ... لكنّ ذلك، في هذه المرحلة، لم يعد يعني له شيئًا يُذكر. قبل ثلاث ساعات فقط، كاد القسّ جاردنر المنير أن يُحرق شفتيه بالنار؛ رأى ذلك في عيني الرجل المجنون، وشعر به في قلبه المختلّ. بعد واقعةٍ كهذه، لم يعد الخطر القادم من صفعةٍ أو ركلة يستحقّ حتى التفكير فيه.

بدت ثياب الطاهي رودولف البيضاء رماديةً كسماء نوفمبر الكئيبة خلف النوافذ.. ناداه جاك بصوتٍ خافت، فالتفت الرجل نحوه بعينين محتقنتين وقد انبعثت من فمه رائحة الويسكي الرخيص.

قال رودولف بصوتٍ أجشّ منهك..

"من الأفضل أن ترحل، أيها الجديد... إنهم يراقبونك جيدًا."

ردد جاك داخل نفسه «قل لي شيئًا لا أعرفه.»

ألقى نظرةً حذرة نحو آلة الجلي القديمة التي كانت تئنّ وتنفث بخارها الحار كتنّينٍ عجوز.. كان الصبية منهمكين في تحميل الأطباق داخلها، لا يبدون وكأنهم ينتبهون إليه أو إلى

رودولف، لكن جاك كان يعلم أن الظاهر خادع دائمًا في هذا المكان.. فالأخبار هنا تُحمَل كما تُحمَل النقود، والنميمة صارت العملة الوحيدة المتداولة في «دار نور الشمس».

قال جاك بصوتٍ خفيضٍ مستعجل..

"أحتاج أن أخرج من هنا... أنا وصديقي الكبير. كم تريد لتغضّ الطرف ونحن نعبر من الباب الخلفي؟"

ابتسم رودولف ابتسامةً شاحبة وقال بتهكّم..

"أكثر مما تملك يا صديقي، حتى لو استطعت أن تسترجع ما سلبوه منك يوم أدخلوك هذا الجحيم."

كانت كلماته قاسية، لكن في عينيه لمع بريق عطفٍ غائم.

نعم، بالطبع... لقد سلبوه كلّ شيء ريشة الغيتار، والدولار الفضي، وخرزة الكروكر الكبيرة، وستة دولارات نقدًا... كلّها محشورة الآن في ظرفٍ مغلق، يحتفظ به القسّ في مكتبه أسفل الدار.

لكن جاك أصرّ

"أنظر، يمكنني أن أكتب لك وصلًا."

قهقه رودولف ضاحكًا وقال

"وصل؟ من بين هذه العصابة من اللصوص ومدمني المخدرات؟ يا لها من نكتة! أبصق على وصلك اللعين يا فتى!"

عندها، أطلق جاك ما تجمّع في داخله من قوّة جديدة.. كان

يستطيع أن يُخفيها عادةً، أن يموّهها إلى حدٍّ ما، لكنه في تلك اللحظة أطلقها كاملة، فرأى رودولف يتراجع خطوتين إلى الوراء، في عينيه ذهول وارتباك.

قال جاك بهدوءٍ حازم

"وصلي سيكون موثوقًا... وأنت تعلم ذلك.. أعطني عنوانك، وسأرسل المال بالبريد. كم تطلب؟ فريد يانكلو قال إنك ترسل رسالة مقابل دولارين، فهل تكفي عشرة دولارات لتغضّ البصر بضع دقائق فقط؟"

أجاب رودولف بصوتٍ خافتٍ مفعمٍ بالحزن

"لا عشرة ولا عشرين ولا مئة، يا فتى."

تجمّدت أنفاس جاك؛ كان في نظرة رودولف حزنٌ عميقٌ مخيف، حزنٌ قال له دون كلمات كم هما عالقان هو وولف في هذا المكان الملعون.

تابع رودولف

"نعم، فعلتها من قبل... أحيانًا مقابل خمسة دولارات، وأحيانًا صدق أو لا تصدقوبالمجّان.. كنت سأفعلها مجانًا من أجل فريدي يانكلو، كان فتى طيبًا. هؤلاء الأوغاد..."

رفع قبضته المتورّمة الحمراء من أثر الماء والمنظفات واتكأ بها على الجدار المكسوّ بالبلاط الأخضر..

لمح موزتون، المتّهم بالاستمناء، يحدّق فيه، فزأر نحوه

بنظرةٍ مرعبة جعلت الفتى يصرف نظره فورًا.

قال جاك بيأسٍ خانق

"إذًا لماذا لا تساعدني؟"

ردّ رودولف

"لأنني خائف، يا فتى."

"ممّن؟ في تلك الليلة التي جئت فيها، حين حاول سوني مضايقتك"

قاطعَه بازدراء

"سوني سينغر؟ لا أخاف منه، ولا من باست مهما كان ضخمًا.. من ذاك أخاف."

قال جاك بصوتٍ مرتجف

"جاردنر؟"

أومأ رودولف بعينين مذعورتين

"إنه شيطانٌ من الجحيم نفسه.. سأخبرك بأمرٍ لم أبوح به لأحدٍ قطّ.. ذات أسبوعٍ تأخّر في إعطائي راتبي، فنزلت إلى مكتبه في القبو، عادةً لا أفعل، أكره النزول إلى هناك، لكنني كنت بحاجةٍ ماسّة إلى المال.. رأيته يمرّ إلى مكتبه بعينيّ، فظننت أنه هناك، طرقت الباب، فانفتح قليلاً لأنّه لم يكن مغلقًا بإحكام..

أتدري ماذا وجدت؟ لم يكن هناك أحد!»

كانت نبرة صوته تنخفض شيئًا فشيئًا حتى صار همسًا بالكاد يُسمع وسط صفير آلة الجليّ وأنينها المعدني، واتّسعت عيناه كعيني طفلٍ يروي كابوسًا.

تابع هامسًا

"ظننت أنه ربما في غرفة التسجيل الصغيرة، لكنه لم يكن هناك، ولم يدخل المصلى، لأنه لا يوجد بابٌ مباشر بينهما، نعم يوجد باب خارج مكتبه، لكنّه كان مغلقًا ومزلاجُه في الداخل.. فأين اختفى يا ترى؟ أين ذهب، يا فتى؟"

لم يجد جاك ما يقوله.. كان يعلم الجواب، لكن لسانه انعقد..

قال رودولف بصوتٍ مختنق بالرهبة

"أقسم أنه شيطانٌ نزل من الجحيم، نزل بمصعدٍ غريبٍ إلى مقرّه السفليّ.. كنت أودّ مساعدتك، حقًا، لكن لا أموال الدنيا، لا كنوز فورت نوكس نفسها، تجعلني أواجه رجل النور هذا. والآن... غادر قبل أن يفتقدوك."

لكنهم كانوا قد افتقدوه بالفعل..

إذ ما إن خرج جاك من المطبخ عبر الأبواب المتأرجحة، حتى باغته وارويك من الخلف، ضاربًا وسط ظهره بقبضتيه المشبوكتين كصخرةٍ واحدة.

ترنّح جاك للأمام في صالة الطعام الفارغة، فخرج كايسي

من العدم كشيطانِ العلبة، ومدّ قدمه أمامه.

تعثّر جاك وسقط أرضًا متشابك الأطراف بين الكراسي المعدنية.

نهض، وجهه متورّم من الغضب والمهانة، ودموعه تخنقه.

قال كايسي بسخريةٍ باردة

"ينبغي ألا تتأخر في إعادة الأطباق، يا صاحب الوجه القذر، وإلا قد تتأذى."

ابتسم وارويك ابتسامةً غليظة مردفًا «نعم... والآن اصعد.. الشاحنات بانتظارك.»

4

عند الرابعة فجرًا، أيقظوه واقتادوه من جديد إلى مكتب «جاردنر المنير».

رفع جاردنر عينيه عن الكتاب المقدّس كمن تفاجأ برؤيته ثم قال

"هل أنت مستعد للاعتراف يا جاك باركر؟"

رد جاك بصوتٍ واهن

"ليس عندي ما..."

لكن القدّاحة اشتعلت من جديد. ولهبها تراقص على بُعد شبرٍ من أنفه.

"اعترف. أين التقينا من قبل؟"

اقترب اللهيب أكثر..

"سأنتزعه منك يا جاك، شئت أم أبيت.. أين؟ أين؟"

صرخ جاك من شدّة الذعر

"زُحل!"

كان أول ما خطر بباله.

"أورانوس! عطارد! في حزام الكويكبات! آيو! غانيميد! الإله..."

لكن الألم انقضّ عليه بغتة، كثيفًا، رصاصيًا، مُمزِّقًا، إذ مدّ «هيكتور باست» يده السليمة بين ساقيه وقبض على خصيتيه بعنف.

قال «باست» بابتسامةٍ مشرقة كأنّه يصنع معروفًا

"ها قد نلت ما تستحق أيها المارق، يا من قُدّر لك الجحيم."

انهار جاك ببطء إلى الأرض، ينتحب.

انحنى «جاردنر المنير» نحوه بوجهٍ هادئ، يكاد يبدو مُقدّسًا! وقال بنبرةٍ وادعة

"في المرة القادمة، سيكون صديقك هو من يقف هنا مكانك، ولن أتردّد معه كما تردّدت معك.. فكّر في الأمر يا جاك... حتى الغد."

لكن جاك، وقد تساقطت دموعه، قرّر أنه في الغد لن يجد أحدًا منهما هنا.

إن لم يبقَ في العالم سوى الأراضي، فإليها إذًا ستكون الرحلة...

لو استطاع فقط أن يجد طريق العودة إليها...

الفصل الخامس والعشرين
جاك وولف في الجحيم
1

"كان عليهما أن ينتقلا من الطابق السفلي." ركّز جاك تفكيره على تلك النقطة، محاولًا أن يصرف ذهنه عن السؤال الأكثر فزعًا.. هل سيتمكّنان من الانتقال أصلًا؟

"لو كان الانتقال من الغرفة ممكنًا لكان الأمر أيسر،" فكر، "لكن تلك الحجرة البائسة التي يتقاسمها مع وولف تقع في الطابق الثالث، على ارتفاعٍ يزيد على الأربعين قدمًا."

ولم يكن جاك يعلم على وجه الدقّة كيف تتطابق جغرافية «الأراضي» وطبوغرافيتها مع جغرافية ولاية إنديانا، بالإضافة لأنّه لم يكن مستعدًّا للمخاطرة بما قد يودي بعنقيهما.

شرح لوولف ما سيفعلانه، ثم سأله

"هل تفهم ما أقوله؟"

أجاب وولف بفتورٍ وبنبرةٍ متعبة «نعم.»

قال جاك «أعدها عليّ على أيّ حال، يا صديقي.»

قال وولف، بصوتٍ خافت «بعد الفطور، أذهب إلى الحمّام المقابل للقاعة المشتركة، أدخل المقصورة الأولى وإن لم

يلاحظ أحد غيابي، ستلحق بي أنت، وهناك... نعود إلى الأراضي. أهذا صحيح، يا جاكي؟»

رد جاك «صحيح تمامًا.» ثم وضع يده على كتف وولف وضغطه برفقٍ متعاطف.. فابتسم وولف ابتسامةً واهنة، كأنها خيط ضوءٍ عليل.

تردد جاك لحظة، ثم قال بصوتٍ متهدّج

"آسف لأنني أوقعتك في هذا، إنه خطئي كله."

قال وولف بلطفٍ مفعمٍ بالحزن «لا يا جاك... سنجرّب هذا.. ربما...»

وبرقت في عينيه ومضةُ أملٍ ضئيلة، هشّة كنجمةٍ بعيدة.

همس جاك «نعم... ربما.»

2

لم يكن جاك يرغب في الإفطار؛ فالخوف والحماسة اعتصرا صدره، غير أنّه أدرك أنّ امتناعه عن الأكل قد يثير الريبة،

فبدأ يحشو فمه بالبيض والبطاطس التي كانت بطعم نشارة الخشب،

وتمكّن حتى من ابتلاع قطعةٍ دهنيةٍ من اللحم المقدّد.

صفا الطقس أخيرًا بعد أيام المطر..

وقد انسل الصقيع ليلًا، فبدت الصخور في الحقل البعيد كقطعٍ من خبث المعدن(11) المطمور في بلاستيكٍ متصلّب.

أعيدت الصحون إلى المطبخ،

وسُمح للفتيان بالعودة إلى القاعة المشتركة، بينما انشغل سوني سينغر وهيك باست وآندي وارويك بتسلّم جداولهم اليومية.

جلس الفتيان متحلّقين في وجومٍ صامتٍ، بوجوهٍ خاويةٍ كالأقنعة.

حمل بيدرسن نسخةً جديدة من مجلة «نور يسوع» التي تصدرها مؤسسة جاردنر،

يقلب صفحاتها بكسل، ويرفع بصره بين الحين والآخر ليتفقّد الأولاد بنظرةٍ مريبةٍ فاترة.

رفع وولف عينيه نحو جاك كمن يسأله دون كلام،

فأومأ له جاك إيماءةً خفيفةً بالكاد تُرى.

نهض وولف وغادر القاعة بخطواتٍ بطيئةٍ متثاقلة،

رمقه بيدرسن وهو يعبر الممرّ إلى الحمّام الطويل المقابل،

ثم أعاد نظره إلى مجلّته غير آبهٍ بما رأى.

عدّ جاك ببطءٍ حتى الستين،

ثم أجبر نفسه على العدّ مرةً أخرى حتى الستين ثانيةً أخرى.

كانتا أطول دقيقتين في حياته، خشى أن يعود سوني وهيك فيأمران الفتيان بالصعود إلى الشاحنات،

وأراد أن يصل إلى الحمّام قبل أن يحدث ذلك.

لكن بيدرسن لم يكن بالأبله،

ولو تبعه جاك سريعًا لأثار شكوكه لا محالة.

وأخيرًا نهض.

بدأ يعبر القاعة نحو الباب،

لكنّ المسافة بدت له طويلةً حدّ الاستحالة.

قدماه كأنهما محشوّتان بالرصاص،

والأرض تثقل خطاه كأنها ترفض أن تحمله،

والباب هناك، بعيدٌ يتلاشى، كأنه ينسحب إلى عمقٍ لا يُطال.

رفع بيدرسن عينيه من فوق المجلة وسأله بنبرةٍ لاذعة

"إلى أين تذهب، يا صاحب الوجه القذر؟"

رد جاك، ولسانه جافٌ كقطعة قماشٍ محترقة... لقد سمع من قبل أن الحلق يجف من شدة الخوف لكن اللسان!

"إلى الحمّام."

أشار بيدرسن نحو آخر الممرّ، حيث تنحدر السلالم المؤدية إلى الكنيسة والاستوديو ومكتب القسّ جاردنر، وقال ساخرًا

"سيصعدون بعد قليل، فالأفضل أن تصبر حتى تصل إلى الحقل البعيد وتسقيه بنفسك."

قال جاك بصوتٍ مرتجفٍ ينضح بالعجز

"أنا بحاجةٍ إلى التبرّز، حالًا."

زمّ بيدرسن شفتيه ضجرًا وقال وهو يعود إلى مجلّته

"إذن انصرف، ولا تقف تئنّ كالعجائز." وعاد أخيرًا إلى مطالعة الصفحات،

فعبر جاك الرواق بخطًى متوترةٍ متّزنة،

ثم دخل الحمّام.

3

اختار وولف المقصورة الخطأ .. كان في منتصف الصف تقريبًا، وحذاؤه الكبير ذو النعل السميك بارز بوضوحٍ أسفل الباب.

اندفع جاك إلى الداخل، كانت المقصورة ضيقة عليهما معًا، وأدرك بجلاءٍ نفاذ رائحة وولف القوية، رائحة حيوانٍ حيٍّ يكاد يُشمّ صوته.

قال جاك بصوتٍ خافت

"حسنًا، فلنجرّب."

قال وولف

"جاك... إنّي خائف."

ضحك جاك ضحكةً مرتعشة

"وأنا أيضًا خائف."

سأله وولف

"كيف نفعل ذلك؟"

قال جاك

"لا أدري... أمسك بيديّ." بدا له ذلك بدايةً مناسبة.

مدّ وولف يديه الكثيفتي الشعر كأنهما كفّان لحيوانٍ ضخمٍ أكثر منه إنسانًا... فأمسك جاك بهما، وشعر بقوةٍ غريبةٍ تتدفّق

منهما إليه.

لم تكن قوة وولف قد زالت، إذًا... لقد انحدرت فقط إلى الأعماق، كما تفعل الينابيع حين تختفي تحت الأرض في موسمٍ قائظٍ متوحّش.

أغمض جاك عينيه وقال بصوتٍ متهدّج..

"أريد أن أعود... أريد أن أعود يا وولف، ساعدني!"

تنفّس وولف بصوتٍ خافتٍ متهالك

"سأفعل... سأفعل إن استطعت، وولف!"

قال جاك

"هنا... والآن."

أجابه وولف

"هنا... والآن!"

ضغط جاك على يدي وولف أو كفّيه الحيوانيّتين بقوةٍ أشد.

كان يشمّ رائحة المطهّر اللايزول النفّاذة.. ومن مكانٍ ما، تناهى إليه صوتُ سيارةٍ تمرّ، ثم رنينُ هاتفٍ بعيد.

وفكّر في نفسه.. أنا أشرب العصير السحريّ الآن... في ذهني، أنا أشربه، أستطيع أن أشمّ رائحته الأرجوانية الكثيفة الجديدة، أستطيع أن أتذوّقها، أشعر بحلقي وهو ينغلق عليها...

وما إن امتلأ حلقه بذلك الطعم، حتى اهتزّ العالم تحتهما وحولهما كزورقٍ تائهٍ في موجٍ عاتٍ.

صرخ وولف

"جاكي! إنّه يعمل!"

أفزعته الصرخة، فاهتزّ تركيزه العنيف لحظةً، وظن فجأة أنه يخدع نفسه.. كمحاولة النوم عن طريق عد الخراف! وسرعان ما استقرّ العالم من جديد.

وعادت رائحة اللايزول تغمر أنفه، وسمع صوتًا باهتًا يردّ على الهاتف بنزق

"نعم... مرحبًا... من المتصل؟"

لا، ليس خدعة... ليس خدعة أبدًا... إنّه سحر.. سحرٌ حقيقي.. فعلتُه من قبل وأنا صغير، وسأفعله من جديد.. أخبرني سبيدي بذلك... كذلك المغنّي الأعمى سنوبول أيضًا... العصير السحري في ذهني!

شدّ عزيمته حتى آخر ذرةٍ فيه، واستنفر كل إرادةٍ في جسده وروحه...

فإذا بهما ينقلبان بسهولةٍ مذهلة، كلكمةٍ قُدّر لها أن تصطدم بصخرٍ صلد، فإذا بها تمسّ قشرةً من ورقٍ ملوّنٍ بالطلاء، فتغيب المقاومة كلّها، وينفذ الجسد بلا عائقٍ إلى العبور.

4

بدا الأمر لجاك الذي أغمض عينية بإحكام كما لو أن الأرض قد تهاوت فجأة تحت قدميه... ثم اختفت تمامًا..

فكّر بيأس

"اللعنة... سنسقط لا محالة."

لكنها لم تكن سقطةً حقيقية، بل انزلاقًا جانبيًا طفيفًا.. وبعد لحظة، كان هو و»وولف» واقفين بثباتٍ، لا على بلاط الحمّام الصلب، بل على ترابٍ عارٍ.

اندفعت إليهما رائحة كبريتٍ لاذعة، ممزوجةً برائحةٍ كريهة تشبه مياه الصرف الخام.. كانت رائحة الموت، جعلت جاك يظنّ أنّها نذير النهاية... نهاية الأمل كلّه...

قال وولف وهو يئنّ

"يا إلهي! ما تلك الرائحة؟ يا إلهي، تلك الرائحة! لا يمكننا البقاء هنا، يا جاكي، لا يمكن..."

انفتحت عينا جاك فجأة، وفي اللحظة نفسها أفلت وولف يديه واندفع إلى الأمام، ما زال مغمض العينين بإصرارٍ طفوليّ مرعب..

ورآه جاك... رأى أن بنطاله القطنيّ الفضفاض وقميصه المربّع قد اختفيا، وحلّ مكانهما بذلة العمل الزرقاء التي رآه بها أوّل مرّة، حين كان يرعى القطيع، أما نظّارة «جون لينون»

المستديرة فاختفت أيضًا.

ثم أدرك جاك، بذعرٍ، أن وولف يتخبّط نحو حافّة هاويةٍ لا تبعد عنه سوى أربعة أقدام!

صرخ جاك وهو يندفع نحوه..

"وولف! لا!"

أحاط خصره بشدّةٍ، لاهثًا

"وولف، لا تفعل!"

أنّ وولف بصوتٍ مبحوحٍ مرتجف

"جاكي... لا يمكننا البقاء... إنّه حُفرة، إحدى الحُفَرا مورغن صنع هذه الأماكن... سمعت أنه هو من صنعها، أستطيع أن أشمّها!"

قال جاك وهو يشدّه بعيدًا

"وولف! إنّها هاوية! ستسقط!"

فتح وولف عيناه فجأة، وتدلّى فكّه دهشةً حين أبصر الجرف الهائل الممتدّ عند قدميهما، وفي أعماقه الغائمة الراكدة كانت تومض نيرانٌ حمراء... كعيون ملتهبة.

"إنّها حفرة،" قال وولف بأنينٍ يائس..

"أوه، يا جاكي... إنّها الحفرة.. أفران القلب الأسود في الأسفل... القلب الأسود في مركز العالم! لا يمكننا البقاء، يا

جاكي، هذا هو الشرّ الأعظم نفسه!"

أول ما خطر ببال جاك، وهو يقف على حافة الجحيم، على حافة القلب الأسود للعالم، أن الجغرافيا في «الأقاليم» ليست هي نفسها جغرافيا «إنديانا».

لم يكن هناك ما يعادل هذا الجرف أو تلك الهاوية في «دار نور الشمس» الذي تركاه خلفهما.

أربعة أقدام فقط إلى اليمين... فكّر جاك في ذعرٍ زلزل وجده.

هذا كلّ ما يفصل بيننا وبين الموت.. لو أنّ وولف فعل ما قلت له فقط...

لو أنّ وولف أطاعه، لانتقلا من المقصورة الأولى هناك...

ولهبطا هنا، فوق حافة هذا الجرف مباشرة.

خارت قواه، وانحنت ركبتاه، فتعلّق بوولف، لا طلبًا للنجاة، بل تشبثًا بالواقع..

أمسكه وولف لا شعوريًا، عيناه تتوهّجان بلونٍ برتقاليٍّ ساكن، ووجهه مشوّهٌ بالرهبة والحزن..

ثم قال بصوتٍ خافتٍ مرتجف

"إنها حفرة يا جاكي."

بدت تشبه تمامًا منجم «المولبدينوم» المفتوح الذي زارته أمّه معه في كولورادو قبل ثلاثة أعوام، حين ذهبا إلى «فيل»

ليتزلّجا، لكن البرد كان قاسيًا في أحد الأيام، فاستقلاً حافلةً في جولةٍ إلى منجم «كونتننتال مينيرالز» خارج البلدة الصغيرة «سايدوينندر».

قالت له أمّه يومها وهي تحدّق من نافذة الحافلة المكسوّة بالجليد

"يبدو لي كجهنّم، جاكي.. أتمنّى لو يُغلقون كل تلك الأماكن... إنهم يستخرجون النار والدمار من جوف الأرض.. أجل، إنها جهنّم بعينها."

ارتفعت من أعماق الحفرة دوامات دخانٍ خانقة، كثيفةً كالأفاعي. جدرانها مشوبةً بعروقٍ سميكةٍ من معدنٍ أخضر سامٍّ.. بلغ عرضها نحو نصف ميل.

طريقٌ لولبيٌ يهبط على امتداد جدرانها الداخلية، ومن بعيد رأى جاك أشباحًا بشرية تتسلّق صعودًا وهبوطًا على ذلك الطريق.

كان سجنًا... سجنًا بحقّ، تمامًا كما كانت «دار نور الشمس» سجنًا.

وهؤلاء هم السجناء وحُرّاسهم.

السجناء كانوا عراة، موثوقين في أزواجٍ إلى عرباتٍ تشبه عربات الريكشا، محمّلةٍ بقطعٍ ضخمةٍ من ذلك الخام الأخضر الدهنيّ المريب.

وجوههم محفور عليها ألمٍ متحجّر، وجلودهم مغطّاةٌ

بالسخام، وأجسادهم تنزّ من قروحٍ حمراء فاغرة..

أما الحراس... فحين رآهم جاك، شعر بخدرٍ من الذهول والرعب.. لم يكونوا بشراً لم يشبهوا البشر في شيء.. كانوا مشوّهين، مقوّسي الظهور، أيديهم كمخالب، وآذانهم حادّة كآذان «مستر سبوك».

يا إلهي، إنهم غرغويليات!

تذكّر جاك تلك الكائنات الحجرية المرعبة التي تتدلّى من كاتدرائيات فرنسا...

كانت أمّه تملك كتابًا عنها، وكادا يزوران كل كاتدرائية في البلاد لولا أنه أصيب بكابوس وبال عندما حلم بها في فراشه.

هل جاءت تلك الكائنات من هنا؟ هل رآها أحد من العصور الوسطى حين انقلب مثلنا إلى هذا العالم؟ فظنّ أنه شاهد الجحيم؟

لكن ما يراه الآن لم يكن رؤيا.

كانت الغرغويليات تمسك سياطًا، وعلى وقع هدير العربات وصوت الصخور وهي تتفتت تحت حرارةٍ حارقةٍ لا تهدأ، سمع جاك صفير السياط وهي تضرب وتئنّ.

رأى فريقًا من الرجال على مقربةٍ من قمة الطريق الحلزوني، رؤوسهم منحنية، عروق أعناقهم مشدودة كالحبال، وأجسادهم ترتجف من الإرهاق.

تقدّم الحارس الذي يشرف عليهم مخلوقٌ ملتفٌ بقطعةٍ مهلهلةٍ على ساقيه، يغطي عموده الفقري شعرٌ خشنٌ متفرّق...

ورفع سوطه وهو يصرخ بلغةٍ صريرها يخترق الرأس كمسامير فضّية.

كان السوط نفسه مزيّنًا بخرزٍ فضيٍّ كالذي رآه جاك على سوط «أوزموند».

وفي طرفة عينٍ، شقّ السوط ذراع أحد السجناء، وأحال عنق الآخر إلى شرائط ممزّقة من اللحم.

ارتفع صراخهما في الهواء، واندفعا إلى الأمام يدفعان العربة، والدم يلمع بلونٍ قانٍ قاتم وسط الضباب الأصفر.

واصل المخلوق صراخه المجنون، وذراعه المغطّاة بطبقاتٍ رماديةٍ من الجلد الصلب تتلوّى وهو يلوّح بالسوط فوق رؤوسهم.

ثم بجهدٍ أخيرٍ متشنّج، جرّا العربة إلى القمّة، فسقط أحدهما على ركبتيه، ودفعه اندفاع العربة إلى الأمام حتى دُحرجت عجلةٌ فوق ظهره.

سمع جاك صوت تحطم عموده الفقري...

صوتًا واضحًا كطلقةٍ بدء سباقٍ رياضيّ.

زمجر المخلوق غضبًا، وتهاوت العربة، فانقلبت وفرغت حمولتها على الأرض المتشقّقة اليابسة في قمة الحفرة.

قفز الحارس فوق السجين المنكسر بخطوتين، ورفع سوطه ليهوي به...

لكن الرجل المحتضر أدار رأسه في تلك اللحظة، والتقت عيناه بعيني جاك سوير.

كان فِريد جانكلو.

ورآه وولف أيضًا.

تلمّسا بعضهما في ذعرٍ غريزيٍّ...

وانقلبا عائدَين.

5

ها هما قد عادا عالقان في مكانٍ ضيّق مغلق - كابينة حمّام في الحقيقة- و«جاك» بالكاد يتنفس لأن ذراعي «وولف» تطوقانه بعناقٍ ساحق، إحدى قدميه مبلّلة تمامًا،والتي أدرك في لحظة أنه رفعها للخلف ووضعها داخل المرحاض.

يا للروعة... أشياء كهذه لا تحدث أبدًا لكونان البربري، فكّر جاك في أسى...

"جاك لا، جاك لا، كانت الحفرة، يا جاك لا!..."

"كفّ عن هذا، وولف! كفّ، لقد عدنا!"

"لا، لا، نـ.."

ثم صمت «وولف»، فتح عينيه ببطءٍ متسائلاً بصوتٍ خافت..

"عدنا؟"

"نعم، بكل تأكيد، عدنا للتو.. والآن أفلِتني، أنت تكسر أضلعي، وبالمناسبة، قدمي عالقة في المر..."

لكن الباب الفاصل بين الحمّام والممرّ انفتح فجأةً بانفجارٍ مدوٍّ، وارتطم بالحائط المكسوّ بالبلاط بقوةٍ حطّمت الزجاج المصنفر.

اندفع باب الكابينة منفرجًا، ودخل «آندي وورويك»، الذي ألقى عليهما نظرةً واحدة ثم تفوّه بثلاث كلماتٍ مشبعةٍ

بالغضب والاحتقار

"عليكم اللعنة أيها الشواذ!"

أمسك «ووريك» بـ«وولف» المذهول من قميصه المربّع وسحبه بعنفٍ إلى الخارج.. علق سروال «وولف» في غطاء معدني فوق موزّع ورق الحمّام، فاقتُلِع الجهاز كله من الحائط وطار في الهواء، بينما تدحرجت لفة الورق على الأرض وظلت تتدحرج بلا نهاية...

دفعه «ووريك» نحو الأحواض فارتطم جسده بها في مستوي جعل الألم يعصف بمفاصله.. سقط «وولف» على الأرض ممسكًا بنفسه من شدّة الوجع.

استدار «ووريك» إلى «جاك»، وفي تلك اللحظة ظهر «سوني سينغر» عند باب الكشك، مدّ يده وأمسك «جاك» من ياقة قميصه.

"حسنًا، أيها الشاذّ..." بدأ "سوني"، ولم يُكمل..

فمنذ اللحظة التي شوق فيها هو وولولف إلى هذا المكان، لم يتوقّف «سوني» عن إزعاج «جاك» ومضايقته.

"سوني سينغر" ذو الوجه القاتم الماكر، الذي يحاول أن يتشبّه "جاردنر المنير" بأقصى قدر ممككن.

"سوني سينغر" الذي ابتكر الإهانة اللطيفة 'وجه المخاط'.

"سوني سينغر" الذي كانت فكرته بالتأكيد أن يتبوّلوا في

أسرّتهم.

حينها، دفع «جاك» بقبضته اليمنى للأمام لا بعنفٍ أعمى على طريقة «هيك باست»، بل بقوةٍ هادئة من المرفق فأصاب أنفه تمامًا... سمع صوت تَكسّرٍ واضح، وشعر «جاك» بلحظة رضاٍ خالصة، كأنها سكينة سماوية.

"ها قد نلتها!" صاح جاك. أخرج قدمه من المرحاض، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، ثم أرسل فكرته إلى "وولف" بكل ما استطاع من قوة..

"لسنا في حالٍ سيئة يا وولف أنت حطّمت يد نذل، وأنا حطّمت أنف نذلٍ آخر."

ترنّح «سوني» إلى الوراء وهو يصرخ، والدم يتفجّر من بين أصابعه.

خرج «جاك» من الكابينة، رافعًا قبضتيه كمتدرّبٍ يقلّد وضعية «جون ل. سوليفان» الشهيرة.

قائلاً»أخبرتك أن تحذر مني، يا سوني. والآن سأعلّمك كيف تقول هللويا.»

صرخ «سوني» «هيك! آندي! كايسي! أحدٌ ما!»

فقال جاك ساخرًا «يبدو أنك خائف يا سوني، لا أدري لماذا...»

ثم سقط شيء كأنه حمولة طوبٍ كاملة على مؤخرة عنقه،

فدُفع إلى الأمام بقوةٍ ارتطمت بمرآةٍ فوق الأحواض، لو كانت زجاجًا لتحطّمت وجرحته بشدة، لكنها كانت فولاذًا مصقولًا، إذ لا انتحار في بيت نور الشمس.

رفع «جاك» ذراعه فخفّف قليلاً من وقع الضربة، واستدار مترنّحًا، فرأى «هيك باست» يبتسم له ابتسامةً غليظة.. لقد ضربه بالجبيرة الموضوعة على يده اليمنى.

وحين نظر إليه «جاك»، انبثق في داخله إدراكٌ فاجع كطعنةٍ باردة..

"أنت... كنت أنت!"

قال «هيك» مبتسمًا بخبث

"آلمتنى اللعينة، لكن الأمر يستحقّ، يا وجه المخاط."

ثم تقدّم نحوه بخطواتٍ وئيدة.

"كنت أنت! كنتَ أنت الواقف فوق فِريد في ذلك العالم الآخر، تجلده حتى الموت.. كنت أنت، يا توأمه الحجري... يا غرغويليّه!"

اجتاحت «جاك» موجة غضبٍ لافحة كاللهيب، غضبٌ حارقٌ مخزٍ

وحين اقترب «هيك»، اتكأ «جاك» إلى المغسلة، قابضًا على حافتها بكلتا يديه، ثم ركله بكلتا قدميه في آنٍ واحد.

أصابته الركلة في صدره مباشرة، فارتدّ إلى الخلف متعثرًا

وسقط داخل الكابينة المفتوحة.

ترك الحذاء المبتلّ بماء المرحاض أثرًا مائيًا واضحًا على بلوزته البيضاء.

جلس «هيك» في المرحاض الذي تندفع منه المياه بقوة، وقد ارتطم الجبس بالبورسلين محدثًا طنينًا مكتومًا.

بدأ الآخرون يقتحمون الحمّام، و«وولف» يحاول النهوض، شعره يتدلّى على وجهه.. تقدّم «سوني» نحوه، يده لا تزال تضغط على أنفه النازف، لكن واضح أنه ينوي ركله.

قال «جاك» بنبرةٍ خافتة

"جرب المساس به يا سوني..."

فتراجع «سوني» فورًا بخوفٍ حيواني.

أمسك «جاك» بذراع «وولف» وساعده على الوقوف.

ومن خلال ضباب وعيه، لاحظ أن «وولف» قد عاد مشعِرًا أكثر من ذي قبل..

إنه ينهار تحت هذا الضغط... هذا كله يوقظ الذئب بداخله... يا إلهي، هذا لن ينتهي أبدًا، أبدًا...

تراجع الاثنان نحو مؤخرة الحمّام و«وورويك»، و«كايسي»، و«بيدرسن»، و«بيبودي»، و«سينغر» يتقدّمون نحوهما..

خرج «هيك باست» من الكشك الذي دفعه إليه «جاك»، وهناك لاحظ الأخير أمرًا آخر

لقد انقلبا من الكشك الرابع في الصفّ... لكن «هيك» خرج الآن من الخامس.

إذن تحرّكنا في العالم الآخر بما يكفي للعودة إلى كشكٍ آخر.

صرخ «سوني» بأنفه المسدود

"كانا يفعلان اللواط هناك! المتخلّف والولد الجميل! وورويك وأنا قبضنا عليهماا وسروالهما نازلان!"

اصطدم ظهر «جاك» بالبلاط البارد.. لا مهرب بعد الآن.

أفلت ذراع «وولف»، الذي هوى مترنّحًا، ورفع قبضتيه.

قال متحديًا

"هيّا... من الأول؟"

سأله «بيدرسن»

"ستواجهنا كلّنا؟"

"لو اضطررت، نعم،" أجابه جاك. "ما الخطة؟ أن تضعوني في الجبس باسم يسوع؟ هيّا!"

تردّدَ خفيف على وجه «بيدرسن»، وانقباض خوفٍ صريح على ملامح «كايسي».

توقفا... بل توقّف الجميع لحظة.

شعر «جاك» بأملٍ طائشٍ يشتعل في صدره.

كانوا ينظرون إليه كما ينظر الرجال إلى كلبٍ مسعور... قد

يمكنهم السيطرة عليه، لكنّه قد يعضّ أحدهم عضّةً قاتلة أولًا.

"تنحّوا يا أولاد."

صوتٌ رخيمٌ قويّ، جعلهم يبتعدون بسرعة، وملامح الارتياح تتجلى على وجوههم.

إنه القسّ «جاردنر».

القسّ «جاردنر» الذي يعرف كيف «يتعامل مع هذه الأمور».

اقترب من الصبيّين المحاصَرين، وقد ارتدى هذا الصباح سروالًا فحميًا وقميصًا أبيض من الساتان، بأكمامٍ فضفاضةٍ تشبه أكمام الشعراء الرومانسيين.

وفي يده حقيبة الحقن السوداء.

نظر إلى «جاك» وتنهد قائلًا

"أتدري ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الشذوذ، يا جاك؟"

كشّر «جاك» عن أسنانه له.

أومأ «جاردنر» بأسى، كما لو كان ذلك ما توقّعه بالضبط.

"كل الأولاد خطاة،" قال بصوتٍ وديعٍ حزين. "هذه حقيقة بديهية."

فتح الحقيبة، كانت الإبرة تلمع تحت الضوء.

ثم تابع، بنبرةٍ فيها أسفٌ متصنّع

"لكنّي أظنّ أنكما ارتكبتما أمرًا أسوأ من اللواط... شيئًا أكبر

من المعصية، أليس كذلك؟"

تبادل «سوني سينغر» و«هيك باست» نظرةً قلقة مرتابة.

قال القسّ وهو يملأ الحقنة من قارورة صغيرة سلّمها له «وورويك»

"أعتقد أن بعض هذا الشرّ... هذه الانحرافات... ذنبي أنا أيضًا.. لم أؤمن يومًا بإجبار أولادي على الاعتراف، لكن بلا اعتراف لا يمكن اتخاذ قرارٍ للمسيح، وبدون قرارِ المسيح، ينمو الشرّ.. لذا، ورغم أسفي العميق، أرى أن وقت الطلب انتهى، وحان وقت المطالبة باسم الله.

بيدرسن، بيبودي، ووريك، كايسي... أمسكوهما!»

اندفع الأولاد نحوهم كالكلاب المدرّبة.

وجّه «جاك» لكمةً قوية إلى «بيبودي»، ثم أمسكوا بذراعيه وثبّتوه.

صرخ «سوني» بأنفه المسدود

"دعني أضربه! أريد أن أضربه!"

فتبسّم «جاردنر» وقال بهدوءٍ أبويٍّ مريب

"ليس الآن يا سوني.. ربما لاحقًا.. سنصلّي من أجل هذا الأمر، أليس كذلك؟"

قال «سوني» وقد اشتعلت عيناه ببريقٍ محموم

"أجل... سأصلّي من أجل ذلك طول اليوم."

حينها، كمن يخرج من سباتٍ طويل، تأوّه «وولف» ونهض بعينين زائغتين. رأى «جاك» مقيّدًا، ورأى الإبرة تلمع في يد القسّ، فانتزع ذراع «بيدرسن» عن «جاك» كأنها ذراع طفل.

وهدَر من صدره زئيرٌ هائل

"لاااا! أفلِتوه!"

تحرّك «جاردنر» بخفّةٍ مذهلة إلى جانبه الأعمى، تمامًا كما فعل «أوزموند» حين انقضّ على العرّاب في الإسطبل الموحل.

لمعت الإبرة ثم غاصت في جسده.

استدار «وولف» صارخًا كما لو لُسع من نارٍ، رفع يده ليضرب، لكن «جاردنر» تفاداه بخفةٍ مدروسة.

الأولاد الذين كانوا يراقبون المشهد بعجزٍ فاتر بدأوا يفرّون نحو الباب في ذعرٍ حقيقي.. لم يريدوا أن يجمعهم أي شأنٍ مع «وولف» الغاضب.

"أفلِتوه! دَع... دَغه... دَغه..."

"وولف!"

"جاك... جاكي..."

نظر «وولف» إليه بعينين تتقلّبان بين العسليّ والبرتقاليّ، ثم الأحمر العكر.

مدّ يديه الكثيفتي الشعر نحوه، قبل أن يأتي «هيك باست» من خلفه ويضربه ضربةً واحدة أسقطته أرضًا.

"وولف! وولف!" صرخ "جاك" بعينين دامعتين غاضبتين. "إن قتلته، يا ابن الملاعيين..."

"شششش، يا سيد جاك باركر،" همس "جاردنر" في أذنه، وشعر "جاك" بوخزة الإبرة في ذراعه العليا.

"اهدأ الآن... سنُدخل القليل من نور الشمس إلى روحك.. وبعدها نرى إن كنت ستحبّ جرّ العربة المملوءة على الطريق الحلزوني...

رددوا معي.. هللويا؟»

تلك الكلمة كانت آخر ما سمعه وهو يغرق في عتمة الغياب..

"هللويا... هللويا... هللويا..."

الفصل السادس والعشرون
وولف في الصندوق
1

استيقظ «جاك» قبل أن يدركوا أنه استيقظ بوقتٍ طويل، لكن وعيه بما هو عليه، وبما حدث، وبما آل إليه أمره الآن... لم يتبدّ فجأة، بل تسرّب إليه على مهلٍ، درجةً بعد درجة، كما يفيق جنديٌ نجا لتوّه من قصفٍ مدفعيٍّ طويلٍ وضارٍ.

كان ساعده يؤلمه في الموضع الذي غرز فيه «جاردنر» الإبرة.

ورأسه ينبض بألمٍ شديدٍ حتى خُيّل إليه أن عينيه تخفقان مع كل دقّة.

عطِش كالنار...

ثم صعد خطوةً أخرى في سلّم وعيه حين حاول أن يلمس موضع الألم في ذراعه اليمنى بيده اليسرى فلم يستطع.

والسبب في أنه لم يستطع هو أن ذراعيه كانتا ملفوفتين حول جسده بطريقةٍ غريبة.

شمّ رائحة قماشٍ عتيقٍ متعفّن، كأنها رائحة خيمة كشافةٍ قديمة منسية في علّيةٍ مظلمة منذ سنين.

عندها فقط.. رغم أنه كان يحدّق أمامه بعينين نصف

مغمضتين منذ عشر دقائق أدرك ما يرتديه.

كان يرتدي قميص المجانين.

(لو كان "فِريد" هنا، لاكتشف ذلك أسرع يا "جاكي"،)

قالها في نفسه، وكان لتذكّره «فِريد» أثرٌ غريب، جعل فكره ينقشع قليلًا وسط الصداع الطاحن.

تحرّك قليلًا، فاندفعت ومضات الألم داخل رأسه، واشتدّ خفق ساعده حتى انبعث منه أنينٌ خافت لم يستطع كبته.

قال «هيك باست»

"إنه يصحو."

فأجابه «جاردنر المنير» ببرود

"كلا، ليس بعد.. لقد أعطيته جرعةً كفيلة بشلّ تمساحٍ بالغ.. لن يستيقظ قبل التاسعة مساءً على الأقل.. إنه فقط... يحلم قليلًا..

هيك، أريدك أن تصعد وتسمع اعترافات الأولاد الليلة.. أخبرهم أنه لا صلاة مسائية اليوم؛ عندي طائرةٌ سأستقبلها، وذلك مجرد بدايةٍ لليلةٍ طويلة على الأرجح..

أما أنت يا سوني، فابقَ وساعدني في العمل على السجلات.»

قال «هيك» متردّدًا

"لكن بدا لي أنه يستيقظ حقًا."

فقال «نور الشمس» بحدةٍ محسوبة

"اذهب يا هيك. ودَع (بوبي بيبودي) يتفقد (وولف)."

قهقه «سوني» بخبثٍ مكتوم وقال

"يبدو أنه لا يحبّ مكانه هناك كثيرًا، أليس كذلك؟"

آه يا «وولف»... لقد أعادوك إلى الصندوق،

فكّر «جاك» بحرقةٍ مكتومة،

(آسف يا صديقي... ذنبي أنا... كل هذا ذنبي...)

ثم سمع صوت «جاردنر المنير» يقول بنبرةٍ هادئةٍ تشي بالإيمان المشوّه

"الهالكون لا يكترثون كثيرًا بآلات الخلاص...

وحين تبدأ الشياطين في داخلهم بالموت، يخرجون صارخين."

ثم أضاف بصرامةٍ دينية

"اذهب الآن، يا هيك."

"نعم، يا سيدي، القس جاردنر."

سمع «جاك» وقع خطواته الثقيلة وهو يغادر،

لكنه لم يجرؤ بعد على رفع رأسه.

2

محشورًا في الصندوق الحديدي الخشن، الملحوم والمثبت بالمسامير يدويًا، كضحية دُفنت قبل أوانها في تابوت من حديد، أمضى وولف نهاره يعوي من الألم، يضرب جدران الصندوق بقبضتيه حتى سالت دمائه، ويركل بقدميه بابه المزدوج الإغلاق عند القدمين أشبه بباب فرنٍ حديدي حتى ارتدّت موجات الألم صاعدة في ساقيه واشتدّ وجع خاصرته.

كان يعلم أنه لن يُفلِت بضرباته، ولا بصرخاته، ولا برجائه، تمامًا كما يعلم أنهم لن يرحموه لمجرد أنه يصرخ طلبًا للخلاص.

ومع ذلك، لم يستطع التوقّف.

فالذئاب وكل ما في دمه يصرخ بأنه منهم... تكره الأسر أكثر من الموت نفسه.

ترددت صرخاته في أرجاء دار «نور الشمس»، وامتدت إلى الحقول القريبة، ممزقة السكون كأنها عواء القدر.

والصبية الذين سمعوها تبادلوا النظرات في وجلٍ وصمتوا.

قال روي أودرسفِلت بصوتٍ خفيض مرتجف لمورتون

"لقد رأيته هذا الصباح في الحمّام، وقد بدا غاضبًا جدًا".

فسأله مورتون متردّدًا

"هل كانا يفعلان ما قاله سوني؟"

ارتفع عواء جديد من الصندوق الحديدي القصير، فالتفتا إليه فجأة.

نعم روي بحماسةٍ مضطربة

"نعم، بل وأكثر! لم أرَ جيدًا لأني قصير، لكن بَسْتَر أوتس كان في المقدمة، وقال إن ذلك الغبيّ الكبير له غُضو بحجم خرطوم إطفاء الحرائق في أكرون! هكذا قال".

فقال مورتون مذهولًا، وقد انقبض وجهه

"يا إلهي!"

ثم صمت لحظة، يفكر في نفسه، وفي ما يفتقده من رجولةٍ كاملة.

عوى وولف طوال اليوم، حتى مالت الشمس إلى المغيب، ثم سكن فجأة.

وكان صمته أُثقل من صراخه، فاستبدّ القلق بالصبية، تبادلوا النظرات المضطربة، وتزايدت التماعات الخوف في عيونهم الشاحبة.

وفي باحة الدار الخلفية، وقف الصندوق الحديدي القصير، بطول ستة أقدام وارتفاع ثلاثة، أشبه بتابوتٍ من حديد، ما عدا فتحة صغيرة مربعة في جانبه الغربي، غطّتها شبكة من فولاذٍ سميك.

"ما الذي يحدث هناك؟"

تردّد السؤال في رؤوسهم كما يتردّد الصدى في الفراغ...

حتى ساعة الاعتراف، التي كانت عادةً تمحو من أذهانهم كل شيء، لم تستطع أن تشتّت أفكارهم.

كانت أعينهم تتّجه نحو النافذة الوحيدة، رغم أنها لا تطل على الفناء حيث ذاك الصندوق.

"ما الذي يحدث هناك؟"

وكان القس هيكتور باست يشعر أن عقول الصبية بعيدة عنه، فاستبدّ به الضيق، غير أنه لم يدرِ كيف يعيدهم إلى التركيز.

كان الجو مشحونًا بإحساس غريب، انتظارٌ بارد، توترٌ خفي، ورعبٌ لا يُرى.

"ما الذي يحدث هناك؟"

والجواب كان بسيطًا، على نحوٍ مرعب.

وولف «كان يذهب مع القمر».

شعر بذلك حين بدأت بقعة الشمس المتسللة من فتحة التهوية ترتفع أعلى فأعلى، وحين تحوّل الضوء إلى لونٍ نحاسيٍ مائل إلى الحمرة.

لم يحن الوقت بعد فالقمر لم يكتمل وكان الذهاب معه الآن مؤلمًا..

ومع ذلك، سيحدث، كما يحدث دائمًا لكل ذئبٍ من بني

جنسه حين يُحاصر طويلاً ويُقهر فوق طاقته، في موسمه أو في غير موسمه.

لقد قاوم وولف طويلاً، فقط لأن جاكي أراد ذلك..

خاض من أجله بطولاتٍ خارقة في هذا العالم، بطولات لم يكن جاك ليدرك منها إلا أطيافًا باهتة، ولم يكن ليستوعب عمقها ولا عظمتها.

أما الآن، وقد شارف الموت، فقد صار الذهاب مع القمر خلاصه الأخير..

في وقت بدا موته محتملًا، بل جليلًا، يكاد يكون طقسًا مقدّسًا، وقدرًا منسوجًا من إرادةٍ سماوية.

فانطلق وولف إلى مصيره بطمأنينةٍ عجيبة، وسكينةٍ مهيبة، وفرحٍ خافتٍ كفرح المخلّص حين يُرفع عنه الألم.

كان رائعًا أن يكفّ عن المقاومة أخيرًا.

ثم انفغر فمه...

وامتلأ بأسنانٍ غائرة، متوحشة.

3

بعد أن غادر هيك، عادت الأصوات المألوفة إلى المكتب خشخشة خفيفة لكراسٍ تُحرّك، ورنينٌ ناعم لمفاتيح تتدلّى من حزام جاردنر، وصوت باب خزانة ملفات يُفتح ثم يُغلق.

"آبلسن. مئتان وأربعون دولارًا وستة وثلاثون سنتًا."

تتابعت أصوات الأزرار وهي تُضغط، كان بيتر آبلسن أحد فتيان قسم OS مثل جميع أولئك الفتيان، ذكيًا، لبقًا، ولا يعاني من أي عيبٍ جسدي.. لم يره جاك سوى مراتٍ قليلة، لكنه ظنّه يشبه شخصية دوندي، ذلك الطفل المشرد ذو العينين الكبيرتين في القصص المصوّرة.

"كلارك. اثنان وستون دولارًا وسبعة عشر سنتًا."

ضُغطت المفاتيح من جديد، واهتزّت الآلة حين ضغط سوني زرّ المجموع.

قال سوني متعجبًا «هذا انخفاضٌ حقيقي في الإيراد.»

فأجابه جاردنر «سأتحدث إليه، لا تقلق.. والآن، من فضلك، لا تثرثر معي يا سوني.. السيد سلوت سيصل إلى مانسي في العاشرة والربع، والطريق طويل.. لا أريد أن أتأخر.»

"آسف، أيها القس جاردنر."

قال جاردنر شيئًا لم يسمعه جاك. فما إن سمع اسم سلوت حتى شعر بصدمةٍ تجتاحه ومع ذلك، لم يكن مندهشًا تمامًا..

جزءٌ منه كان يتوقَّع هذا، كأن الأمر مسطور منذ البداية.

لقد كان جاردنر مرتابًا منذ اللحظة الأولى.. لعلّه لم يُرِد أن يزعج رئيسه بتفاصيل تافهة، أو ربما لم يشأ الاعتراف بأنه لم يتمكّن من انتزاع الحقيقة من جاك دون مساعدة، لكن في النهاية، اتصل... ولكن أين؟ في الشرق؟ أم الغرب؟ كان جاك لينفق أيّ شيء في تلك اللحظة ليعرف هل كان مورغان في لوس أنجلوس؟ أم في نيوهامبشر؟

"مرحبًا، سيد سلوت.. آمل ألا أزعجك، لكن الشرطة المحلية أحضرت إليّ فتى في الواقع فتيين غير أنّ أحدهما فقط هو من يثير اهتمامي.. أشعر أنني أعرفه... أو ربما... آه، ربما نفسي الأخرى هي التي تعرفه.. يقول إن اسمه جاك باركر، لكن... ماذا؟ تريدني أن أصفه؟ حسنًا..."

ومن هناك، اشتعلت الشرارة.

"لا تثرثر معي يا سوني.. السيد سلوت يصل إلى مانسي في العاشرة والربع..."

الوقت كان ينفد.

"قلتُ لك أن تعود إلى المنزل يا جاك... لكن فات الأوان الآن."

"كل الأولاد أشرار.. تلك بديهية."

رفع جاك رأسه قليلًا ونظر عبر الغرفة.. كان جاردنر وسوني يجلسان معًا في الجهة المقابلة من المكتب في الطابق

السفلي.. سوني يضغط مفاتيح آلة الجمع بينما يُملي عليه جاردنر الأرقام واحدًا تلو الآخر، كل رقمٍ يتبع اسمًا من أسماء موظفي الفرع الخارجي، مرتّبًا أبجديًا بعناية.

أمام جاردنر كانت هناك دفتر حسابات، وصندوق فولاذي طويل، وكومة غير مرتّبة من المظاريف.

رفع جاردنر أحد تلك المظاريف ليقرأ المبلغ المكتوب على وجهه، فتمكّن جاك من رؤية الخلفية رسمٌ لطفلين سعيدين، يحمل كلٌّ منهما إنجيلاً، يقفزان على الطريق نحو كنيسة وهما متشابكا الأيدي وتحتهما عبارة «سأكون شعاع شمسٍ من أجل يسوع.»

"تِمكِن. مئة وستة دولارات كاملة."

وضع الظرف في الصندوق الفولاذي مع البقية المسجّلة.

قال سوني «أظنه عاد يختلس من جديد.»

رد جاردنر بهدوء «الله يرى الحقيقة، لكنه ينتظر.. فيكتور بخير.. والآن اصمت ولثْنِهِ هذا قبل السادسة.»

واصل سوني الضغط على المفاتيح.

كانت صورة «يسوع وهو يمشي على الماء» قد دُفعت إلى الخارج، كاشفةً عن خزنةٍ وراءها.. وكانت الخزنة مفتوحة.

رأى جاك على مكتب جاردنر أشياء أخرى مثيرة للاهتمام مظروفين أحدهما مكتوب عليه جاك باركر، والآخر فيليب

جاك وولف، وإلى جانبهما حقيبته القديمة.

أما الشيء الثالث فكان مجموعة مفاتيح جاردنر.

ومن المفاتيح، تحركت عيناه نحو الباب المقفل في الجهة اليسرى من الغرفة ذلك المخرج الخاص المؤدي إلى الخارج، كما كان يعلم. لو أن هناك وسيلةً فقط...

"يَلِن. اثنان وستون دولارًا وتسعة عشر سنتًا."

تنهد جاردنر، ووضع الظرف الأخير في الصندوق الفولاذي الطويل، ثم أغلق دفتره.

قال بابتسامة غامضة «يبدو أن هيك كان محقًا.. أعتقد أن صديقنا العزيز السيد جاك باركر قد استيقظ.»

نهض من مكانه، دار حول المكتب، وتقدّم نحو جاك.. كانت عيناه المضطربتان تلمعان بجنون.. مدّ يده إلى جيبه وأخرج ولاعة.. شعر جاك بالذعر يندفع في صدره حين رآها.

قال الرجل بصوتٍ رخيمٍ مفعمٍ بالخبث «لكن اسمك الحقيقي ليس باركر، أليس كذلك يا فتى العزيز؟ اسمك الحقيقي هو سوير، أليس كذلك؟ آه نعم، سوير.. وهناك شخص مهتم بك جدًا سيصل قريبًا، قريبًا جدًا.. وسنخبره أشياء شيقة للغاية، أليس كذلك؟»

قهقه جاردنر بخفوت، وفتح غطاء ولاعته المعدني، كاشفًا عن العجلة المسوّدة والفتيل المتفحّم.

ثم همس بصوتٍ متلذذٍ كمن يستمتع ببطء العذاب

"الاعتراف مفيدٌ للروح..."

وأشعل النار.

4

طخّ!

"ما كان ذلك؟" سأل رودولف، رافعًا رأسه عن صفّ الأفران المزدوجة. فوجد العشاء الذي كان عبارة عن خمسة عشر شطيرة ديكٍ روميٍّ كبيرة يسير على ما يرام.

"ما كان ماذا؟" قال جورج إرووينسون.

وعند الحوض، حيث كان يقشّر البطاطس، أطلق دوني كيغان ضحكته الغبية المجلجلة، ضحكةً أجشةَ الصوت تُثير الأعصاب.

"لم أسمع شيئًا"، رد إرووينسون.

فقهقه دوني ثانية، ضحكةً أقرب إلى النهيق منها إلى الضحك.

نظر إليه رودولف في ضجرٍ قائلاً

"أتراك ستقشّر تلك البطاطس حتى لا يبقى منها شيء، أيها الأحمق؟"

ضحك دوني من جديد، ضحكةً بلهاء قصيرةً خاليةً من المعنى.

طخّ!

"ها قد سمعتَه هذه المرّة، أليس كذلك؟"

لكن إروينسون اكتفى بهزّ رأسه.

وفجأةً تسلّل الخوف إلى قلب رودولف. كان مصدر تلك الأصوات من الـ«صندوق» الذي قيل لهم إنه مجرّد مخزنٍ لتجفيف التبن.. يا له من هراء! ذلك الفتى الضخم كان في الداخل، الفتى الذي قالوا إنهم أمسَكوه صباحًا في جريمةٍ مخزية مع رفيقه، والذي حاول أن يرشيه بالأمس فحسب.. قيل أيضًا إنه أظهر شراسةً قبل أن يرديه باست بضربةً واحدة... وبعضهم قال إنه لم يكتفِ بكسر يد باست، بل سحقها سحقًا. كذبٌ بالطبع، لا بد أنه كذب، ولكن...

طخّ!

التفت إروينسون هذه المرة.. وفجأة قرّر رودولف أنه بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الذهاب إلى الحمّام.. بل إلى حمّام الطابق الثالث بالذات.. وربما سيمكث هناك ساعتين... أو ثلاثًا.

كان يشعر بأنّ أمرًا أسودَ جدًا يوشك أن يقع.

طخّ ... طخّ!

"لتذهب فطائر الديك الرومي إلى الجحيم."

خلع رودولف مئزره وألقاه على الطاولة فوق سمك القدّ المملّح الذي كان يجهّزه لعشاء الغد، ثم اندفع خارج الغرفة.

"إلى أين تذهب؟" سأل إروينسون بصوتٍ مرتفعٍ متوتّرٍ ارتجف في نهايته.. أمّا دوني كيغان، فقد واصل تقشير البطاطس بعصبية، يقشّر الواحدة تلو الأخرى حتى تصغر

من حجم كرة القدم إلى حجم كرة الغولف، وشعره الدهنيّ المتدلّي يغطي وجهه.

طخّ! طخّ! طخّ ... طخّ ... طخّ!

لم يُجب رودولف عن السؤال، وبحلول اللحظة التي وصل فيها إلى سلّم الطابق الثاني شبه راكض. الأوقات قاسية في إنديانا، والعمل نادرًا، لكن جاردنر يدفع نقدًا.

ومع ذلك، أخذ رودولف يتساءل إن لم يحن الوقتُ بعدُ لترك وظيفته ليسمع صوتًا ينادي..

"أخرجوني من هنا."

طَخّ!

انكسر المزلاج العلوي لباب الصندوق الحديدي ذي الطراز القديم. وانفرجت، لبرهةٍ قصيرة، فجوةٌ معتمة بين الجدار والباب.

سكنَ كلُّ شيءٍ لحظةً... ثم..

طَخّ!

صرّ المزلاج السفلي ومال حتى أوشك على الانحناء.

طَخّ!

ثم تحطّم.

أصدر الباب صريرًا مبحوحًا إثر فتح مفاصله الثقيلة المصنوعة يدويًا، خرجت منه قدمان ضخمتان، مكسوتتان بشَعرٍ كثيفٍ خشن، باطنهما للأعلى، وقد غاصت مخالبُهما الطويلة في التراب.

بدأ وولف يشقُّ طريقه إلى الخارج.

6

تأرجحت النار ذهابًا وإيابًا أمام عيني جاك؛ وأخذت تروح وتجيء فبدى «جاردنر المنير» مزيجًا بين مُنوِّم مغناطيسي على خشبة المسرح، وممثلٍ من زمنٍ قديمٍ يؤدي دور العالِم العظيم في أحد أفلام السهرة المتأخرة.. ربما (بول موني) وكان المشهد مضحكًا... لو لم يكن جاك مرعوبًا إلى هذا الحد، لضحك فعلًا.. وربما ضحك، في جميع الأحوال!

قال جاردنر بصوتٍ هادئ مشوب بالتهديد

"الآن لدي بعض الأسئلة لك، وستجيب عنها.. كان بإمكان السيد مورغان أن ينتزع الإجابات منك بنفسه... أوه، بسهولةٍ وبلا شك! لكنني أفضل ألا أتعبه.. إذن... منذ متى وأنت قادر على الانتقال؟"

"لا أفهم ما تعنيه."

"منذ متى وأنت قادر على الانتقال إلى الأراضي الأخرى؟"

"لا أعلم عمَّ تتحدث."

اقترب اللهيب أكثر.

"أين الزنجي؟"

"مَن؟"

"الزنجي، الزنجي!" صرخ جاردنر. "باركر، باركوس، أياً كان ما يسمي به نفسه! أين هو؟"

"لا أعرف عمّن تتحدث."

"سوني! آندي!" صرخ جاردنر. "فكا قيد يده اليسرى، أمسكوا بها."

انحنى وورِوك فوق كتف جاك وفعل شيئًا ما، وبعد لحظات كانوا قد انتزعوا يد جاك من خلف ظهره. أخذت يدُه تنبض شاعرًا بوخز الإبر، أثناء استعادتها الحياة.. حاول جاك المقاومة، لكن دون جدوى.. أمسكوا بيده وشدّوها أمام جاردنر.

"افتحوا أصابعه."

جذب سوني إصبعي الخنصر والبنصر في اتجاه، فيما جذب وورِوك السبابة والوسطى في الاتجاه الآخر، وفي اللحظة التالية، كان جاردنر يضع لهب الولاعة على الجلد الرقيق بين أصابعه، عند قاعدة ذلك الحرف «V" الذي صنعوه.. كان الألم مروّعًا، وكأن صاعقة اجتاحت ذراعه اليسرى، ثم انتشرت في كامل جسده.. ارتفع دخانٌ خفيف، برائحة حريق عذبة.. كانت رائحة جسده هو الذي يحترق...

وبعد أبدٍ من العذاب، أبعد جاردنر الولاعة وأغلقها بفرقعة خفيفة، وقد كست قطرات العرق اللامعة جبينه، وتلاحقت أنفاسه،

ثم قال وهو يلهث

"إن الشياطين تصرخ قبل أن تخرج... نعم، نعم، تفعل ذلك..

أليس كذلك يا أولاد؟"

رد ووروِك «نعم، الحمد لله.»

وأضاف سوني «لقد دققتَ المسمار.»

ابتسم جاردنر ابتسامةً متشنجة وقال «أجل، أعرف ذلك.. أجل، أعرف.. أنا أعرف أسرار الأولاد... وأسرار الشياطين.» ثم أطلق ضحكةً خافتة متقطعة، وانحنى حتى صار وجهه على بُعد إنشٍ واحد من وجه جاك، تسلّل عطره الكثيف المُسكر إلى أنف جاك، وكان على فظاعته أهون من رائحة لحمه المحترق.

مردّدًا بنبرةٍ متلذذة

"والآن يا جاك... منذ متى وأنت تنتقل؟ أين الزنجي؟ كم تعرف أمك؟ من أخبرته؟ وماذا قال لك الزنجي؟ سنبدأ بهذا."

رد جاك بصوتٍ مبحوح

"لا أعلم عمّ تتحدث."

ابتسم جاردنر ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانه كلها وقال

"أيها الأولاد، سنُدخل نور الشمس إلى روح هذا الفتى، شئنا أم أبينا.. أعيدوا تقييد يده اليسرى، وفكّوا اليمنى."

فتح جاردنر ولاعته من جديد، وأمسكها بيده، بينما استقر إبهامه بخفةٍ على عجلة الإشعال، متأهبًا...

7

مازال جورج إيروينسون ودوني كيغان في المطبخ.

قال جورج بقلقٍ واضح

"هناك أحد بالخارج."

لم يُجب دوني.. كان قد انتهى من تقشير البطاطس، ووقف الآن بجانب الأفران طلبًا للدفء، لم يكن يدري ماذا يفعل بعد.. كان يعلم أن الاعتراف يُقام في نهاية الممر، هناك.. حيث يريد أن يكون... لأن الاعتراف مكانٌ آمن، بينما في هذا المطبخ شعر بتوترٍ شديدٍ لا يُحتمل... لكن «رودولف» لم يأذن لهم بالمغادرة بعد، فالأفضل إذن أن يبقى هنا.

قال جورج ثانيةً

"سمعتُ أحدًا."

علت ضحكة دوني البلهاء التي أقرب إلى نهيق الحمار نظرًا لصوته الأجش..

فقال جورج متأففًا

"يا يسوع... ضحكتك قلبت معدتي.. عندي مجلة (كابتن أمريكا) جديدة أسفل المرتبة، إذا تسللت خارجًا لترى ما يحدث سأسمح لك بقرائتها."

هزّ دوني رأسه نافيًا، وأطلق ضحكته النهيقية من جديد!

نظر جورج نحو الباب..

أصوات...

خدشٌ!

نعم، كان صوت خدشٍ على الباب. ككلبٍ يطلب أن يُفتح له.. جروٌ تائه... بلا مأوى.

لكن أيُّ جروٍ تائهٍ هذا الذي يخدش عند أعلى الباب، والبابُ نفسه لا يقل عن سبعة أقدام ارتفاعًا؟

اقترب جورج من النافذة ونظر إلى الخارج... لم يرَ شيئًا في تلك العتمة. كان «الصندوق» هناك... مجرد ظلٍ أعمق وسط ظلالٍ أخرى.

ثم تحرّك نحو الباب...

8

صرخ جاك صرخةً هائلةً اخترقت الهواء، حتى ظن أن حنجرته ستتمزق من شدّتها!

لقد انضم إليهم الآن (كيسي) أيضًا، ببطنه المتدلية الضخمة التي تتأرجح مع كل حركة، وكان ذلك من حسن حظهم... إذ أصبحوا ثلاثة رجال كيسي وواريك وسوني سينغر يكافحون لإحكام قبضتهم على ذراع جاك وإبقاء يده فوق اللهب!

وحين سحب جاردنر الولاعة هذه المرة، كانت قد تركت على جانب يد جاك بقعةً سوداء متقرّحة، تتفجّر منها فقاعات صغيرة، بحجم قطعة نقدٍ فضية.

نهض جاردنر عن كرسيه، وتوجّه إلى مكتبه، وأخذ المظروف المعهود باسم «جاك باركر»، ثم عاد به، أخرج منه قطعة صغيرة مثلثة الشكل.

سأل وهو يرفعها أمام عيني جاك

"ما هذا؟"

رد جاك بصوتٍ مبحوح، يتقطّع من الألم الذي يحرق يديه

"ريشة غيتار..."

"وما هي في الأراضي الأخرى؟"

"لا أفهم ما تعنيه."

أخرج جاردنر شيئًا آخر من المظروف كرة زجاجية صغيرة وسأل بحدة

"وهذا؟"

"إنها بلّورة... ألا ترى؟"

"هل هي لعبةٌ أيضًا في الأراضي الأخرى؟"

"أنا لا..."

"هل هي مرآة؟"

"أعرف..."

"هل هي دوّامة تختفي حين تدور بسرعة؟"

"عمّ..."

صرخ جاردنر بغضبٍ هستيري، ووجهه يشتعل حُمرةً

"بل تعرف! تعرف، أيها النغل اللعين! الجرو الممسوخ من جهنم!"

"تتحدث!"

صفعه جاردنر بقسوةٍ عبر وجهه، صفعةً دوّت في الغرفة.

ثم أخرج من المظروف قطعة نقدٍ فضية... ولمعت عيناه ببريقٍ غريب

"وهذه؟"

قال جاك متنهّدًا

"قطعة حظٍ من عمّتي هيلين."

"وماذا تكون في الأراضي الأخرى؟"

"صندوق كورن فليكس."

رفع جاردنر الولاعة من جديد، وقال بنبرةٍ حادة

"فرصتك الأخيرة يا فتى."

رد جاك بسخريةٍ يائسة

"تتحوّل إلى آلة فيبرفون وتعزف إيقاعًا جنونيًا."

قال جاردنر ببرود

"أمسكوا يده اليمنى من جديد."

تململ جاك في مقاومةٍ يائسة، لكنهم في النهاية أمسكوا بها... وأخرِجت يده عنوة.

9

في الفرن، كانت فطائر الديك الرومي قد بدأت تحترق.

أما جورج إروِنسون، فظل واقفًا عند الباب قرابة خمس دقائق، يحاول أن يستجمع شجاعته ليفتحه.. ذلك الصوت الخافت، صوت الخدش، لم يُسمَع ثانية.

قال جورج متصنّع الحماسة

"سأريك أنه لا داعي للخوف أيها الجبان! من يستقوى بالرب، لا يعرف الخوف أبدًا!"

وبهذه العبارة الرنانة، فتح الباب بعنف.

كان يقف عند العتبة شيءٌ ضخمٌ كثيف الشعر، غارقٌ في الظلال، تتوهّج عيناه الحمراوان من فجوتين عميقتين.

تابعت عينا جورج حركة أحد مخالبه وهو ترتفع في عتمة الخريف وتهوي مزمجرة...

تجلت مخالبه اللامعة بطول ست بوصات في ضوء المطبخ، وشقّت عنق جورج إروِنسون، فطار رأسه متدحرجًا عبر الغرفة، تنسكب منه الدماء الساخنة، حتى اصطدم بحذاء دوني كيغان... الذي أخذ يضحك... يضحك بجنونٍ هستيريٍّ لا يشبه ضحك البشر!

قفز وولف إلى داخل المطبخ، مستندًا إلى أطرافه الأربعة، مرّ بجانب دوني كيغان دون أن يلتفت إليه، ثم اندفع نحو

الرواق.

10

"وولف! وولف! فورًا... هنا بالضبط!"

كان ذلك صوت وولف في ذهنه، بلا ريب، لكنّه أعمق، أغنى، وأكثر إيعازًا مما سمعه جاك من قبل.. شاقًا ضباب الألم في ذهنه كأنه سكين سويدي رفيع.

فكر.. «وولف يعدوا تحت ضوء القمر.. جلب هذا التفكير خليطًا من الانتصار والحزن.»

حدق جاردنر المنير إلى الأعلى، بعينان تضيقان بتوجس.. في تلك اللحظة بدا إلى حدّ بعيد وكأنّه وحشٌ... شمّ الخطر آتيًا تحمله الريح.

"أيها القس؟" سأل سوني.. كان سوني يلهث قليلًا، وبؤبؤا عينيه كبرتا حتى بدتا كبيرتين جدًا.. لقد استمتع بنفسه، فكر جاك.. "إذا بدأت أتكلم الآن، ستصيب سوني خيبة أمل."

"سمعت شيئًا،" قال جاردنر.. "كيسي. اذهب وتحقق من المطبخ وغرفة الضيافة."

"حاضر." انطلق كيسي.

التفت جاردنر إلى جاك «سأضطر للمغادرة إلى مانسي قريبًا،» ثم أكمل، «وعندما ألتقي بالسيد مورغان، أريد أن أزوده ببعض المعلومات فورًا.. لذا من الأفضل أن تتكلّم معي، يا جاك. وفّر على نفسك المزيد من الألم.»

نظر جاك إليه، راجيًا ألا يظهر نبضُ قلبه القاطع كطرقةٍ صاخبة على وجهه أو كنبضة أسرع وأوضح في عنقه.. إذا كان وولف خارج الصندوق...

رفع جاردنر الريشة التي أعطاها له سبيدي بيد، والقطعة النقدية التي أعطاها له الكابتن فارن باليد الأُخرى. «ما هذان؟»

قال جاك، وضحك ضحكًا هستيريًا متوحشًا «عندما انتقل، تتحوّلان إلى خصيتي سلحفاة.»

دما وجه جاردنر غضبًا.

"اعيدوا شدّ ذراعيه من جديد،" أمر لسوني وآندي.. "شدّوا ذراعيه ثم اسحبوا سروال هذا الوغد الملعون لنرَ ماذا يحدث عندما نسخّن خصيتيه."

11

كان (هيك باست) يشعر بملالٍ قاتلٍ من طقوس الاعتراف.. لقد سمع كل شيءٍ من قبل... تلك الذنوب التافهة السطحية كطرود بريدية أتت بلا جهد يُذكر.

"سرقت نقودًا من حقيبة أمي"،

"كنت أدخّن الحشيش في فناء المدرسة"،

"وضعنا الغِراء في كيس ورقي واستنشقناه"،

'فعلت كذا، وفعلت كذا..."

تفاهات أطفال.. لا إثارة فيها.. لا شيء يُنسيه الوجع النابض في يده الممزقة...

كان (هيك) يتمنى أن يكون في الطابق السفلي، يعمل على ذلك الصبي (سوير).. وبعده يمكن أن يبدأوا مع ذاك الأحمق الضخم الذي باغته بطريقةٍ ما، ودمّر يده اليمنى الجيدة.

آه، العمل على ذاك المعتوه سيكون متعة حقيقية... ويفضّل أن تكون بزوجٍ من قواطع البراغي.

في تلك اللحظة، كان فتى يُدعى (فيرنون سكاردا) يواصل اعترافه برتابة

"...وجدنا المفاتيح، أتفهم قصدي؟ فقال لي "هيا لنجول بهذه الخردة"، هكذا قال.. لكنني علمت أن هذا خاطئ، وأخبرته.. فقال لي "أنت جبان" فقلت له "أنا لست جبان" رد

"أرني ذلك" فأخبرته أنني لن أفعلها فرد...."

"يا للمسيح!" فكر هيك بانزعاجٍ شديد.

كانت يده تصرخ من الألم، وحبوبه المسكّنه في غرفته بالأعلى.

على الجانب الآخر من القاعة، رأى (بيبودي) يتثاءب ثَاؤبًا عريضًا حتى كادت عظامه تتحطم.

تابع (فيرنون)

"ففعلناها، ثم قال لي..."

وفجأة، انفتح الباب بانفجارٍ عنيفٍ مزّق مفصلة من المفصلات!

صدم الجدار، ارتدّ، ثم صدم فتى اسمه (توم كاسيدي) فطرحه أرضًا وثبتّه هناك.

قفز شيءٌ إلى داخل القاعة...

في اللحظة الأولى، ظن (هيك باست) أنه أكبر كلبٍ رآه في حياته اللعينة!

صرخ الأولاد، واندفعوا من مقاعدهم... ثم تجمّدوا في أماكنهم، عيونهم متسعة بدهشةٍ لا تُصدّق، وهم يرون الوحش الرماديّ الأسود (وولف) يقف منتصبًا، بقايا بنطاله القطني الممزق وقميصه المربّع لا تزال متدلّية عنه.

حدّق (فيرنون سكاردا) فيه، بعينين جاحظتين، وفم

مفتوح لا ينطق.

زمجر (وولف)، وجالت عيناه المتقدتان في المكان، بينما الأولاد يتراجعون عنه برعب.

ركض (بيدرسن) نحو الباب، لكن (وولف) الذي كاد رأسه أن يلامس السقف تحرّك بسرعةٍ وانسيابية مدهشة.

رفع ذراعه السميكة كعارضة حظيرة، وشقّت مخالبه مجرىً عميقًا في ظهر (بيدرسن).

في لحظةٍ خاطفة، ظهر عموده الفقري للعيان... بدا كأنه سلك كهربائي أحمر ممدود!

تطاير الدم على الجدران.

ترنّح (بيدرسن) خطوةً واحدة إلى الردهة، ثم انهار أرضًا.

استدار (وولف) مجددًا...

وثبت عيناه المثقدتان على (هيك باست).

نهض هذا الأخير فجأةً على ساقين خائرتين، يحدّق في هذا الكائن كثيف الشعر، مثقد العينين، مدركًا من يكون... أو على الأقل، من كان.

في تلك اللحظة، كان (هيك باست) مستعدًا أن ينفق أي شيء في العالم... فقط من أجل أن يعود ويشعر بالملل من جديد.

12

جلس جاك مجددًا على الكرسي، ويداه المحروقتان النابضتان بالألم مشدودتان خلف ظهره إذ أحكم سوني شدّ السترة الواقية بإحكامٍ قاسٍ، ثم فكّ أزرار بنطاله القطني ودفعه إلى الأسفل.

قال جاردنر المنير، وهو يرفع قدّاحته المعدنية أمام وجهه ليراها جاك بوضوح «الآن، استمع إليّ جيدًا يا جاك... سأبدأ من جديد في طرح الأسئلة.. وإن لم تُجب عنها بإخلاصٍ وصدق، فلتطمئن أنك لن تُبتلى أبدًا بتجربة تلك الخطيئة التي تُغري الرجال!»

قهقه سوني سينغر ضاحكًا بجنون عند سماع هذا، وقد عاد ذلك البريق الكالح المريض إلى عينيه... ذلك الوميض الذي يجمع بين الشهوة والفساد... كان يحدّق في وجه جاك بنهمٍ مريض، كجائعٍ أمام وليمة لحمٍ نيئ.. «القس جاردنر! القس جاردنر!»

أتى صوت كيسي، يحمل نبرة فزعٍ حقيقية.. ففتح جاك عينيه مجددًا «هناك جلبة غريبة في الأعلى!»

قال جاردنر ببرودٍ قاسٍ «لا أريد أن يُزعجني أحد الآن.»

قال كيسي «إن (دوني كيغان) يضحك كالمجنون في المطبخ! و...»

قاطعه سوني بحدة، وهو يرمقه بنظرة وعيد «قال إنه لا يريد أن يُزعجَه أحد، ألم تسمعه؟»

لكن كيسي، وقد غلب عليه الذعر، تابع غير آبه «ويبدو أن هناك شغبًا في غرفة الاستراحة! صراخ... وصيحات! ويبدو أن...»

وفجأة دوّى في رأس جاك صوت هائل، غامر بالقوة والحياة، كصاعقةٍ تنفجر في داخله «جاكي! أين أنت؟»

"وولف! وولف! فورًا!"

تابع كيسي بصوتٍ متقطعٍ مرتجف «... يبدو أن هناك قطيع كلابٍ أو شيءٍ طليقٍ في الأعلى!»

كان جاردنر ينظر إليه بعينين ضيقتين، وشفتيه مطبقتين في خطٍ رفيعٍ مكظوم.

عاد الصوت إلى عقل جاك ثانية «مكتب جاردنر! في الأسفل! حيث كنّا من قبل!»

"في الأسفل يا جاكي؟"

"السلالم، يا وولف! إلى الأسفل، السلالم!"

"فورًا!"

ثم اختفى الصوت من ذهنه تمامًا.

ومن الأعلى سمع جاك ارتطامًا عنيفًا أعقبه صراخٌ حاد.

قال كيسي مرتجفًا، وقد شحب وجهه الموزّد حتى البياض «القس جاردنر؟ ما الأمر؟ ما الذي...»

صرخ فيه جاردنر بحدةٍ مرعبة «اخرس!»

تراجع كيسي كمن تلقّى صفعةً على وجهه، عيناه متسعتان، ووجنتاه ترتجفان في ذهولٍ وإهانة.

تخطّاه جاردنر بخطواتٍ متوترة، وتوجّه إلى الخزنة، فتحها وأخرج منها مسدسًا ضخمًا وأدخله في حزامه.

وللمرة الأولى، بدا جاردنر المنير خائفًا... ومضطربًا.

من الطابق العلوي سُمِع صوت تحطّمِ مكتوم، أعقبه صراخٌ مبحوح.

ارتفعت أنظار سينغر وورويك وكيسي نحو السقف في فزعٍ صامت؛ كانوا كلاجئين في ملجأ قنابل، يصغون إلى صفيرٍ متزايدٍ فوق رؤوسهم.

التفت جاردنر إلى جاك، فطلعت على وجهه ابتسامة مشوّهة... ارتفع طرفا فمه كأن خيوطًا خفية تشدّهما، خيوطًا يتحكّم فيها دُميةُ مسرحٍ رديئةُ الأداء.

قال «سيأتي إلى هنا... أليس كذلك؟»

ثم هزّ رأسه كمن تلقّى الجواب بالفعل، وأضاف «نعم، سيأتي...

لكنني لا أظن أنه سيغادر.»

13

قفز (وولف) فجأة!

تمكّن (هيك باست) بالكاد من رفع يده اليمنى المغلّفة بالجبيرة أمام عنقه...

انفجارٌ من الألم الحارق، وصوتُ تكسّرٍ حادّ، تبعته سحابةٌ صغيرة من غبار الجبس، إذ انغرست أنياب (وولف) في الجبيرة وفي ما تبقّى من اليد داخلها فانتزعها تمامًا!

حدّق (هيك) بغباءٍ في موضع يده التي لم تعد موجودة... كان الدم يتفجّر من معصمه، يغمر قميصه الأبيض برقعٍ حمراء ساخنةٍ من الدفء والوجع.

توسّل بصوتٍ متهدّجٍ مرتعش:

"أرجوك... أرجوك، أرجوك، لا..."

بصق (وولف) ما تبقّى من اليد، ثم اندفع برأسه إلى الأمام بسرعة أفعى تنقضّ على فريستها.

شعر (هيك باست) بوخز غامض في عنقه، قبل أن يُمزّق حنجرته تمزيقًا... ثم لم يَعُد يشعر بشيء.

14

ما إن اندفع بيبودي خارج غرفة الاستراحة، حتى انزلقت قدمه في دم بيدرسن... وسقط على ركبةٍ واحدة، ثم نهض مترنّحًا، يركض بأقصى ما يستطيع، وهو يتقيأ على نفسه في كل خطوة.

الأطفال يركضون في كل اتجاه... صرخاتٌ حادة... وجوهٌ مذهولة، تتخبط في فوضى مرعبة.

لكن ذعر بيبودي لم يكن قد اكتمل بعد... لا يزال يحتفظ ببقايا عقلٍ يذكّره بما عليه فعله في «الظروف القصوى» وإن لم يتخيّل أحدٌ في حياته ظرفًا بهذا الجنون.

كان يظن أن القس جاردنر المنير، حين تحدّث عن «الظروف القصوى»، كان يقصد طفلًا يفقد صوابه ويطعن آخر... لا هذا الجحيم الذي يبتلع المكان الآن.

خلف الصالة التي يُستقبل فيها الفتيان الجدد عند دخولهم «دار نور الشمس»، كانت هناك غرفة صغيرة في الأعلى، لا يدخلها إلا أولئك الذين يسميهم جاردنر «مساعديه الطلاب».

أغلق بيبودي الباب خلفه بإحكام... التقط الهاتف بيد مرتجفة، واتصل برقم الطوارئ.

لحظة صمتٍ مرت كدهر، ثم جاءه صوت فرانكي ويليامز من الطرف الآخر.

قال بيبودي وهو يلهث

"بيبودي... من دار نور الشمس.

عليك أن تأتي إلى هنا فورًا، ومعك كل شرطي يمكنك أن تجده، أيها الضابط ويليامز..

إنه الجحيم..."

توقّف فجأة.

خارج الغرفة، دوّى عواءٌ طويل ممزق للأعصاب، أعقبه تحطّم خشبٍ كأن الجدران نفسها تنهار.

ثم زمجرةٌ وحشية... ثم صمتٌ ثقيل.

أكمل بصوتٍ مبحوحٍ متقطع

"...حقًا لقد استعر الجحيم هنا."

سأله ويليامز بنفاد صبر

"أي جحيم هذا؟ هات القس جاردنر!"

قال بيبودي

"لا أعرف أين هو... لكنه سيريدك أن تأتي فورًا.. هناك قتلى... أطفال قتلى!"

"ماذا؟!"

"فقط تعال!" صاح بيبودي، "تعال ومعك رجالٌ كثيرون... وبنادق كثيرة!"

صرخة أخرى.

ثم ارتطام ثقيل... صوت سقوط شيء ضخم... ربما خزانة المدخل العتيقة.

قال بيبودي بذعرٍ هستيري

"رشاشات إن استطعت العثور عليها!"

رنّةٌ زجاجية حادّة دوّت في الممر... الثريا الكبرى في القاعة سقطت.

ارتجف بيبودي..

بدت له الأصوات كأن ذلك الوحش يقتلع المكان بيديه العاريتين.

"اللعنة... أحضروا قنبلة نووية إن استطعتم!" تمتم وهو يجهش بالبكاء.

"ما الذي..."

لكن بيبودي أغلق الخط قبل أن يُكمل ويليامز سؤاله.

زحف تحت المكتب... دسّ رأسه بين ذراعيه...

وراح يتمتم بصلواتٍ متلاحقة مرتعشة، يتشبث برجاءٍ واحدٍ أخير

أن يكون هذا كلّه حلمًا...

بل ألعن كابوسٍ عرفه في حياته.

15

اندفع وولف في ممر الطابق الأول، بين غرفة الاستراحة والباب الأمامي، يعصف بجنونٍ جامح.

توقَّف لحظةً ليقلب خزانة المدخل العتيقة رأسًا على عقب، ثم قفز بخفةٍ مذهلة، وتمدّد ليمسك بالثريا المعلقة،

تدلّى منها كـ(طرزان)، يتأرجح ذهابًا وإيابًا، حتى اقتُلعت من السقف بعنف، وتناثرت كريّاتها البلورية في الممر، كأن السماء نفسها أمطرت شظايا ضوء.

في الأسفل

كان (جاكي) في الجانب السفلي...

لكن أيّ جانبٍ كان ذلك؟

هناك فتى، لم يعد يحتمل التوتّر القاتل في صمته، دفع باب الخزانة التي يختبئ فيها واندفع نحو الدرج.

خطفه وولف من الهواء، وألقاه بطول الممر دفعةً واحدة.

ارتطم جسده بالباب المؤدي إلى المطبخ ارتطامًا مروّعًا... تهشّمت العظام، وسقط متكوم في سكون على الأرض.

رأس وولف يدور... الهواء مثقلٌ برائحة الدم الطازج، عابقة، مسكرة.

شَعره يتهدّل في خصلٍ متلبدةٍ بالدماء، تلتصق بفكّه وأنفه.

يحاول التماسك... أن يُفكّر... لكن التفكير بات عسيرًا... عسيرًا.

كان عليه أن يجد جاكي... بسرعة، قبل أن يفقد قدرته على التفكير تمامًا.

عاد يعدو نحو المطبخ، من حيث دخل أول مرة، عائدًا إلى سيره على أربع الحركة هكذا أسرع، أسهل، أكثر انسيابًا...

وفجأة، عند مروره بباب مغلق، تذكّر.

المكان الضيق.

كان النزول إليه كالنزول إلى قبرٍ رطب.

الرائحة... ثقيلة... حارة... تخنق الحلق...

الجانب السفلي..

خلف هذا الباب...

فورًا!

صرخ «جاااكي!»

لكن كلّ ما سمعه الفتيان المختبئون في زوايا الطابقين، كان عواءً صاعدًا ظافِرًا، يمزّق سكون الدار.

رفع ذراعيه الهائلتين كأنهما كبشان من لحمٍ وعضلٍ محكم وضرب الباب.

انفجر لنصفين وتطايرت شظايا الخشب، تناثرت إلى أسفل

الدرج.

شقّ وولف طريقه وسط الأنقاض، ودخل...

نعم، هذا هو المكان الضيّق، كأنما حنجرةٌ ابتلعته.

هذا هو الطريق إلى الجحيم السفلي... حيث كان «الرجل الأبيض» يقصّ أكاذيبه، و(جاك) و(وولف الأضعف) مضطرّان إلى الإصغاء.

جاك هناك الآن..

أنف وولف التقط رائحته بوضوح..

لكن كانت هناك رائحةٌ أخرى...

الرجل الأبيض... والبارود.

احذر...

نعم، الـ«الذئاب» يعرفون الحذر.

قد يركضون ويمزّقون ويقتلون،

لكن حين يحين وقت الحذر... فإنهم يعرفونه حقّ المعرفة.

هبط الدرج على أربع... صامتًا كدخانٍ دهين...

عيناه تشتعلان حمرةً كأضواء سيارة في ليلٍ دامس.

16

ازداد توتر جاردنر المنير تدريجيًا؛ بدا لجاك كرجلٍ دخل حيز الانهيار العصبي.. دارت عيناه بارتجاج في ثلاث نقاط.. نحو الاستوديو حيث كان كيسي يستمع لجاك بذهول، ثم نحو الباب المغلق الذي يطل على الرواق.

توقفت معظم الأصوات القادمة من الطابق العلوي منذ وقتٍ ليس بقصير.

الآن انطلق سوني سينغر نحو الباب. «سأصعد لأرى ما...»

"أنت لست ذاهبًا إلى أي مكان! عد إلى هنا!"

ارتجف سوني كما لو أن جاردنر قد ضربه.

"ما بك يا قس جاردنر المنير؟" سأل جاك. "تبدو متوترًا قليلًا."

صفعه سوني بحدةٍ ناهزًا. «أحفظ لسانك، يا وجه المخاض! راقب ما تقول!»

"أنت تبدو متوتّرًا أيضًا، يا سوني. وأنت أيضًا، يا وورِوك. وكيسي هناك"

"اخرسوه!" صاح جاردنر فجأة.. "ألا تستطيعون فعل شيء؟ هل يجب أن أفعل كل شيء بنفسي هنا؟"

صفع سوني جاك مرةً أخرى، أقوى هذه المرّة.. بدأ أنف جاك ينزف، لكنه ابتسم.. كان وولف قريبًا الآن... ووولف كان

حذرًا.. بدأ جاك يحدوه أمل مجنون أنهم قد يخرجون من هذا على قيد الحياة.

انتصب كيسي فجأةً ثم نزع الغُلب عن رأسه وطرق مفتاح الاتصال الداخلي.

"القس جاردنر! أسمع صفارات إنذار في الخارج على الميكروفونات!"

اتسعت عينًا جاردنر اللتان الآن بدتا كبيرتين جدًا ونظر إلى كيسي.

"ماذا؟ كم عددها؟ كم تبعد؟"

"يبدو أنها كثيرة،" قال كيسي. "ليست قريبة بعد. لكنهم قادمون إلى هنا لا شك في ذلك."

انفجرت أعصاب جاردنر في تلك اللحظة؛ رأى جاك ذلك يحدث.. جلس الرجل متردّدًا لحظة، ثم مسح فمه بنعومة بجانب يده.

ليس مجرد ما حدث في الأعلى، ولا مجرد الصفارات أيضًا.. هو يعرف أن وولف قريب أيضًا.. بطريقةٍ ما يشمه... ولا يحبه. وولف، قد تكون لدينا فرصة! ربما حقًا!

ناول جاردنر المسدس إلى سوني سينغر.. «ليس لدي وقت لأتعامل مع الشرطة، أو أي فوضى قد تكون هناك في الأعلى، الآن،» ثم أكمل.. «الأهم هو مورغان سلوت.. سأتوجه إلى مانسي أنت وآندي سترافقانني، يا سوني. أبق هذا المسدس

موجّهًا إلى صديقنا جاك هنا بينما أخرج السيارة من المرأب.. عندما تسمعوا بوق السيارة، اخرجوا.»

"ماذا عن كيسي؟" تمتم آندي ووروِك بغمغمةٍ متمتمة.

"نعم، نعم، حسنًا، كيسي أيضًا،" وافق جاردنر فورًا، وفكر جاك إنه يهجركم، أيها الحمقى الأغبياء.. إنه يهجركم، فمن الواضح أنه كان يمكنه أن يضع لوحة إعلانية في شارع الغروب يعلن فيها ذلك، وأفكاركم بالية إلى درجةٍ أنكم لن تدروا.. كنتم ستجلسون هنا لعشر سنين تنتظرون تلك النفخة إن بقي الطعام وورق المرحاض!

نهض جاردنر، جلس سوني سينغر، غائص الوجه ببهاء أهمية جديدة، خلف مكتبه موجهًا المسدس إلى جاك.. «إذا ظهر صديقُه المتخلف،» قال جاردنر، «أطلق النار عليه.»

"كيف يمكن أن يظهر؟" سأل سوني. "إنه في الصندوق."

"لا يهم،" قال جاردنر.. "إنه شرير، كلاهما شريران، تلك بداهة، فبديهي، إذا ظهر المتخلف، أطلقوا عليه النار، أطلقوا النار عليهما."

تلمّس حلقة مفاتيحه واختار مفتاح «عندما تسمعون البوق،» قالها ثم فتح الباب وخرج.

اجتهد جاك أن يلتقط صوت الصفارات لكنه لم يسمع شيئًا..

أغلِق الباب خلف جاردنر المنير.

17

الوقت يتمطّى... يتمطّى حتى يكاد ينفجر.

دقيقةٌ تشبه دقيقتين، ودقيقتان تمتدان إلى عشر، وأربع كأنهم ساعةٌ كاملة!

الثلاثة الذين تركهم «جاردنر» مع جاك تجمّدوا في أماكنهم، كتماثيل حجرية باغتها الرعب في منتصف اللعبة.

جلس «سوني» خلف مكتب «جاردنر المنير»، يحدّق بثباتٍ زائف نحو جاك، فوهة المسدس مصوّبة إلى وجهه.. وفي عينيه خليط من الهيبة والنشوة، كمن يتذوّق للمرة الأولى سلطةً انتظرها طويلًا.

وقف «آندي وورويك» عند الباب المؤدّي إلى الردهة، يجوب الأرض بعينيه المرتابتين، بينما جلس «كيسي» داخل المقصورة الزجاجية المضيئة، واضعًا السماعتين على أذنيه، يحدّق عبر الزجاج في ظلمة الكنيسة، لا يرى شيئًا... فقط يُصغي.

قال جاك فجأة، بصوتٍ هادئٍ على نحوٍ أربك حتى نفسه..

"أنتم تعرفون أنه لن يأخذكم معه، أليس كذلك؟"

قال «سوني» بحدةٍ مرتجفة..

"اخرس أيها الوقح!"

ابتسم جاك بسخريةٍ هادئة

"لا تحبس أنفاسك في انتظار بوقه... ستزرق كمدًا قبل أن تسمعه."

زمجر «سوني»

"آندي، إن فتح فمه ثانية، اكسر أنفه!"

قال جاك

"افعلها.. اكسر أنفي، آندي. أو أطلق النار عليّ، يا سوني، لن يغيّر ذلك شيئًا.. الشرطة قادمة، وجاردنر هرب، وسيجدونكم أنتم الثلاثة واقفين فوق جثةٍ في قميصٍ للمجانين..."

ثم أضاف بابتسامةٍ باردة

"...جثةٍ بأنفٍ مكسور."

صاح «سوني» غاضبًا

"اضربه!"

اقترب «ووريك» من جاك بخطواتٍ مترددة.. كان جاك جالسًا على الكرسي، ساقاه عاريتان، والقميص اللعين مشدود حول صدره.

رفع جاك رأسه إليه، بثباتٍ مدهش

"هيا يا آندي، اضربني.. لن أتحرك.. هدفٌ واضح... سهل."

قبض «ووريك» يده بقوة، ثم تردّد.. ومضت في عينيه لمحةٌ من التردد والريبة.

رمق جاك الساعة الرقمية فوق المكتب، ثم قال

"أربع دقائق، يا آندي.. كم يحتاج الرجل ليُخرج سيارته من المرآب؟ خصوصًا وهو يهرب؟"

قفز «سوني» من مكانه، التفَّ حول المكتب، واندفع نحو جاك، وجهه محتقنٌ من الغضب، قبضتاه مشدودتان، لكن «وورويك» اعترضه بذراعه.. وقد بدا الارتباك واضحًا على وجهه الكبير.

قال بتردد

"انتظر."

صرخ «سوني»

"لن أستمع إليه! لن..."

قاطعه جاك ببرودٍ ساخر

"لماذا لا تسأل كيسي عن صفارات الإنذار؟ إلى أي مدى اقتربت؟"

ازدادت حيرة «وورويك» عمقًا..

"لقد تركتكم، ألا تدركون؟ تركتكم تواجهون الجحيم وحدكم. الوضع ينهار هنا، وهو شعر بذلك، فهرب، من الأصوات في الأعلى..."

لم يكمل.

صفع «سوني» جاك بقوة، ارتدّ رأس جاك إلى الجانب، ثم عاد ببطء، والابتسامة لا تزال على فمه.

"...إنها فوضى حقيقية يا سوني... وفوضى قذرة."

شهق «سوني» مهدّدًا

"اصمت وإلا قتلتك!"

مرت دقيقة أخرى، والساعة الرقمية تغيّر أرقامها كأنها تعدّ خطاياهم واحدةً تلو الأخرى.

قال جاك

"خمس دقائق الآن."

قال «ووريك» بصوتٍ مترددٍ يحمل نبرة الذعر

"سوني... لنُخرجه من هذا القميص."

صرخ «سوني» في وجهه

"لا!"

كانت صرخته حادةً مرتعشة، تحمل في أعماقها خوفًا طفوليًا خالصًا.

قال «ووريك» بارتباكٍ متسارع

"أنت تعرف ما قاله القس، حين جاء رجال التلفزيون... لا أحد يجب أن يرى القمصان. لن يفهموا!"

طقطقة!

المذياع الداخلي ينبض بالحياة فجأة.

جاء صوت «كيسي» مذعورًا من خلف الزجاج

"سوني! آندي! الصفارات أقرب! اللعنة! ماذا نفعل؟!"

صاح «وورويك»، ووجهه قد شحب كجدارٍ قديم إلا من بقعتين حمراوين على وجنتيه

"أطلِق سراحه الآن!"

"القس قال..."

قاطعته صرخةٌ مبحوحة من «وورويك»

"لا يهمني ما قاله! سيُقبض علينا يا سوني! سيُقبض علينا!"

وفي داخل جاك دوّى صدى صفاراتٍ بعيدة... ربما كانت حقيقية، وربما لم تكن سوى صدى أملٍ يائسٍ يختلط بالجنون.

تأرجحت عينا «سوني» بين جاك والمسدس والباب، مضطربًا كحيوانٍ محاصر، ثم رفع المسدس نصف رفعةٍ مرتجفة للحظةٍ ظنّ جاك أنه سيطلق النار حقًا.

لكنّ الوقت كان قد تجاوز الست دقائق...

ولا بوقٌ دوّى من الخارج ليعلن أن «نور الشمس» صعد إلى سيارته نحو «مانسي».

قال «سوني» أخيرًا، بصوتٍ يقطر حقدًا وانهزامًا

"فكّ قيده يا آندي. لا أريد حتى لمسه.. إنه نجس... وشاذّ."

تراجع إلى المكتب بخطواتٍ متوترة، فيما بدأ «ووريك» يفكّ الأربطة بأصابع مرتجفة..

قال وهو يلهث

"لا تقل شيئًا... أقسم أني سأقتلك إن تكلّمت!"

تحرّرت ذراعه اليمنى... ثم اليسرى.

سقطتا على فخذيه بلا حياة.. الدم يعود ببطءٍ إلى أطرافه كوخز النمل الحيّ..

نزع «ووريك» القميص القذر لونه بلون الطين اليابس، وأربطته كأحشاءٍ ميتة... وتقلص وجهه باشمئزاز، ثم اندفع نحو خزانة «جاردنر» ليدسّه داخلها.

قال «سوني» بصوتٍ حادٍّ مشوبٍ بالاشمئزاز

"ارفع سروالك! أظنّك تعرف أني لا أطيق النظر إليك."

رفع جاك سرواله بارتباكٍ ثقيل.

طقطقة!

من جديد، دوّى صوت «كيسي» من المذياع، أكثر هلعًا هذه المرة

"سوني! آندي! أسمع شيئًا!"

صرخ «سوني»

"هل وصلوا؟ هل ينعطفون إلى المدخل؟!"

ردّ «كيسي»

"لا! من الكنيسة! لا أرى شيئًا، لكني أسمع..."

ثم دوّى تحطّم زجاجٍ عنيف،

اندفع «وولف» من ظلمة الكنيسة كبرقٍ مسعور،

واقتحم الاستوديو في عاصفة من الزجاج والدم!

18

تضخمت صرخات كيسي، وهو يندفع مبتعدًا عن لوحة التحكّم فوق كرسيّه ذي العجلات، في مكبّرات الصوت تضخّمًا مروّعًا، حتى بدت كأنها نُواحٌ من جوف الجحيم.

في داخل الأستوديو، دوّت عاصفة خاطفة من الزجاج المتناثر، هبط وولف على أربع قوائم فوق لوحة التحكّم المائلة، متدلّيًا منها نصف زاحفٍ ونصف منزلق، وعيناه تقدحان شررًا عاتيًا.

أصابعه الطويلة ذات المخالب الحادّة لامست الأزرار والمقابض في جنون، فاشتغلت الأجهزة كيفما اتّفق.. وبدأ جهاز التسجيل الضخم يدور، يلهث بالشريط فوق بكراته المعدنية.

"...الشيوعيّون!"

دوّى صوت جاردنر المنير من مكبّر الصوت بأقصى شدّته، مكتسحًا صرخات كيسي، ومناشدات وورويك اليائسة «أطلق النار يا سوني! أطلق! أطلق!»

لكن صوت جاردنر لم يكن وحده، بل جاء من خلفه لحنٌ جهنّميّ من أصوات صفّارات الشرطة، وهي تقترب من مبنى «دار نور الشمس».

صرخ الصوت في جنونٍ إذاعيّ «سيقولون لكم إن لا

بأس من تلك الكتب القذرة! سيقولون إن لا ضرر في أن يُمنَع الدعاء في المدارس العامّة! سيقولون إن لا بأس بأن يكون في الكونغرس ستّة عشر نائبًا، وحاكمان، كلّهم شواذّ معترفون! سيقولون لكم...»

اندفع كيسي بكرسيّه إلى الخلف حتى اصطدم بالجدار الزجاجي الفاصل بين الأستوديو ومكتب جاردنر.

استدار رأسه، وفي لحظةٍ خاطفة، أبصروا جميعًا عينيه المنتفختين رعبًا وألمه الهستيريّ.

ثم قفز وولف من حافّة اللوحة، ضاربًا رأسه في بطن كيسي... مزّقها بأسنانه، راحت يلتهمه بفكاه في سرعة آلةٍ تقطيع قصب السكر.. ارتفع رذاذ الدم، لطّخ الزجاج، بينما جسد كيسي ينتفض ويختلج.

"أطلق النار، يا سوني! أطلق على اللعين!" صرخ وورويك.

لكن سوني تمعّن وجه جاك، وقال بابتسامةٍ متوتّرة وقد أشرق على وجهه اكتشافٌ خبيث

"بل أظنّني سأطلق عليه هو..."

وفي تلك اللحظة، ظلّ صوت جاردنر يزمجر من المذياع، ممزوجًا بالصفّارات وصخب السيارات «اليوم قادم يا أولادي! يومٌ عظيم! وحينذاك سيعلم الشيوعيّون الكفَرة أن لا صخرة ستحميهم، ولا شجرة ميتة ستظلّلهم! قولوا هللويا!»

زمجر وولف ومزق، وجاردنر المنير يهذي عن الشيوعيّين

والملحدين ومروّجي المخدّرات، فيما صفّارات الشرطة تقترب، وأبواب السيارات تُصفق، وصوتٌ من الخارج يأمر بالهدوء لأن «الولد خائف».

رفع سوني المسدس، فبدت فوهته كفم نفقٍ أسود.

وفجأة، انفجر الجدار الزجاجي بين المكتب والأستوديو بانفجارٍ مزمجر. اقتحم المكان جسدٌ كثيف الشعر رماديٌ داكن، وجهه ممزّق، ودماء تسيل من قدميه، دوّى صوته في أرجاء الغرفة، صوتًا بشريًا يكاد يكون من عالمٍ آخر.

وانبثق في ذهن جاك خاطرٌ هائلٌ، كأنه صدى منبعه السماء «لن تمسّ القطيع بسوء!»

صرخ جاك «وولف! احذر! لديه س...»

لكن سوني ضغط الزناد مرتين، وارتجّ المكان بصوتٍ يصمّ الآذان.

لم تكن الطلقات موجّهة نحو وولف، بل إلى جاك.. غير أنّ وولف اندفع في تلك اللحظة بينهما، فاخترقت الرصاصتان جسده، وانفجرت دماءه في الهواء.

رأى جاك الفتحات الدموية الواسعة تتمزّق في جانبه، وشعر بإحدى الرصاصتين تمرّ قرب وجهه.

صرخ «وولف!»

تعثّر وولف في قفزته، وارتطم بالحائط، مخلّفًا لطخةً من

الدم وصورةً سقطت للقس جاردنر بقبّعته الحمراء.

قهقه سوني في جنونٍ وهو يصوّب المسدّس من جديد، وأطلق النار. اخترقت الرصاصة ذراع وولف، تناثرت منها الغُصيّ البيضاء من العظم.

دوى صوت وولف الجريح في الغرفة، عواءً مزيج من الألم والغضب، يعلو على ضجيج التسجيل اللاهث.

ثم دوّى في عقل جاك صوتٌ داخليٌ متقطّع «جاكي... يا جاكي... يؤلمني... هذا يؤلمني...»

اندفع جاك إلى مكتب جاردنر، قبض على ساعة رقمية فوق الطاولة كانت أول ما طالته يده.

صرخ وورويك «سوني! انتبه!»

لكن وولف، وقد صار جذعه كتلةً من الدم المتخثّر، وثب على وورويك. تشابكا، وتمايلا كأنهما يرقصان رقصة الموت. «...في بحيرة النار إلى الأبد! لأن الكتاب يقول...»

رفع جاك الساعة وضرب بها رأس سوني بكل ما بقي في جسده من قوّة.. تحطّم البلاستيك، وتوهّجت الأرقام على الشاشة عشوائيًا.

دار سوني مترنّحًا، محاولًا رفع المسدّس، لكن جاك عاجله بضربة ثانية أفقدته نصف أسنانه، فارتسمت على وجهه ابتسامة مرعبة كمهرّجٍ في كابوس.

ضغط الزناد في فوضى، فانطلقت رصاصة بين قدميه.

ارتدّ إلى الحائط، يترنّح، يبتسم بفمٍ دمويّ، ويرفع المسدس من جديد.

"إلى الجحيم..."

لكن وولف كان قد رمى وورويك بكل قوّته، فاصطدم الأخير بظهر سوني في اللحظة ذاتها.. انطلقت الرصاصة إلى السقف، اخترقت أحد أشرطة التسجيل، وسكت صوت جاردنر أخيرًا.. وارتفع طنينٌ عميقٌ من مكبّرات الصوت، كأن المبنى نفسه يحتضر..

مترنّحًا، مزمجرًا، تقدّم وولف،

وجّه سوني فوهة المسدس نحوه وضغط الزناد..

نقرة جافة..

تجمّد وجهه، وقال بصوتٍ خافتٍ مرتجف «لا...»

ضغط ثانية... وثالثة... بلا طلقات.

ثم رمى السلاح محاولًا الفرار حول المكتب.

ارتدّ المسدس على رأس وولف، فوثب هذا.. بآخر ما تبقّى بداخله من قوّة الوحش.. فوق المكتب الكبير، مذرذرًا الأوراق والأشياء، واندفع نحو سوني، أمسك ذراعه.

"لاااا!" صرخ سوني، محاولًا التفاوض وهو يختنق

"لا، لا تفعل! ستعود إلى الصندوق! أنا رجلٌ مهمّ هنا! أنا... أناااااااا...!"

ثم دوّى صوتٌ تمزّقٍ رهيب، كصوتِ طفلٍ متحمّسٍ ينتزع فخذ الديك الروميّ من عوده..

وفي لحظةٍ واحدة، كانت ذراع سوني بين يدي وولف..

ترنّح سوني مبتعدًا، نافورة من الدم تفجرت من كتفه، وبدا عظمٌ أبيضُ يلمع من بين اللحم الممزّق..

أدار جاك وجهه، وانهال عليه الغثيان،

غامت الدنيا من حوله بلونٍ رماديٍّ ثقيل...

19

حين التفت من جديد، كان «وولف» يتمايل وسط المذبحة التي كانت قبل قليل مكتب «جاردنر المنير». عيناه تتأرجحان بضوءٍ أصفر باهت، كشمعتين محتضرتين تلتقطان أنفاسهما الأخيرة.. وشيءٌ غريبٌ يحدث لوجهه، لذراعيه وساقيه... كان يعود ليصير «وولف» من جديد.

رأى «جاك» ذلك، ثم أدرك تمامًا ما يعنيه...

الأساطير القديمة كذبت حين قالت إن الرصاص الفضي وحده قادر على قتل المستذئب، لكنها لم تكذب في كل شيء... كان «وولف» يعود إلى طبيعته لأنه يحتضر.

صرخ «جاك»

"وولف، لا!"

واندفع ليقف على قدميه.

قطع نصف الطريق نحوه، فانزلق في بركة من الدم، وركع على إحدى ركبتيه، ثم نهض مجددًا.

"لا!"

قال «وولف» بصوتٍ أجشّ، عميق، لا يكاد يتجاوز الهمهمة... لكنه مفهوم

"جاكي..."

وعلى نحوٍ لا يُصدق، حاول أن يبتسم.

في تلك اللحظة، كان «واريك» قد فتح باب مكتب «جاردنر»، يتراجع ببطء صاعدًا الدرج، بعينين جاحظتين تملؤهما الصدمة.

صرخ «جاك»

"انطلق! هيا، اخرج من هنا!"

هرب «آندي واريك» كأرنبٍ مرتعب.

ثم دوّى صوتٌ من جهاز الاتصال الداخلي، صوت «فرانكي ويليامز»، يخترق أزيز الصدى الكهربائي، مرتعشًا بين الفزع وحمّى الذهول

"يا للمسيح! انظروا إلى هذا! كأن أحدهم جُنّ تمامًا وهاجم بساطور لحم! بعضكم تفقدوا المطبخ!"

"جاكي..."

تهاوى «وولف» كالشجرة حين تسقط بصمتٍ ثقيل.

جثا «جاك» إلى جواره، وأدار جسده.

كان الشعر يذوب عن وجه «وولف» بسرعةٍ خارقة، كأن الزمن نفسه يتسارع أمامه.

وعادت عيناه إلى لونهما العسليّ الدافئ.

بدا وجهه منهكًا على نحوٍ يُفطر القلب.

قال بصوتٍ متهدّج

"جاكي..."

ثم رفع يده المضرجة بالدم ولمس بها خدّه.

"أطلق... النار؟ عليك؟ هل...؟"

قال «جاك»، وهو يحتضن رأسه كمن يحتضن آخر ما تبقى من عالمه

"لا، وولف... لم يصبني. لم يمسّني أبدًا."

أغمض «وولف» عينيه للحظة، ثم فتحهما ببطء، وارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة حلوة، غريبة في وجهٍ يتلاشى، وقال ببطءٍ شديد، يلفظ كل كلمة كأنها آخر ما يملك من أنفاسه

"لقد... أبقيتُ... على... قطيعي... آمنًا."

قال «جاك»، وقد سالت دموعه بحرقةٍ أدمت عينيه

"نعم، فعلت يا وولف... فعلت، أيها الطيب القديم."

ابتسم «وولف» ابتسامة واهنة وقال

"جاكي... الطيّب."

قال «جاك»، بصوتٍ يرتعش ما بين الرجاء واليأس

"وولف، سأصعد الآن... هناك شرطة... وسيارة إسعاف..."

فجأة، وبآخر ما بقي فيه من قوة، قال «وولف»

"لا! أنتَ... اذهب..."

"لن أتركك يا وولف! لن أتركك!"

كانت الأضواء تتراقص أمام عينيه، تتضاعف وتتشابك.

أحاط رأس «وولف» بكلتا يديه المحترقتين وهو يهمس بيأسٍ بائس

"لن أتركك، وولف، لا يمكنني..."

همس «وولف» وقد خفت صوته كأنما يأتي من بُعدٍ بعيد

"وولف... لا يريد أن يعيش في هذا العالم... رائحته... سيئة جدًا..."

قال «جاك» مرتجفًا

"وولف... اسمعني، وولف!"

لكن «وولف» مدّ يديه وأمسك بيديه برفقٍ عجيب، وكان «جاك» يشعر بأن الشعر يذوب من راحتيه... إحساسٌ مروّع، كأن الحياة نفسها تنسحب من بين أصابعه.

قال «وولف» بهدوءٍ شفيفٍ كنسمةٍ تحتضر

"أحبك، يا جاكي."

ردّ «جاك» بصوتٍ مخنوق

"وأنا أحبك، وولف... هنا... والآن."

ابتسم «وولف»

"أعود، يا جاكي... أستطيع أن أشعر بذلك... أعود..."

وفجأة، شعر «جاك» أن يديه لم تعودا تمسكان بجسدٍ حقيقي، بل بشيءٍ خفيفٍ كالدخان... كأنه يغدو زغب بذرةٍ طائرة... أو وهمًا شفيفًا يتبدد في الضوء...

صرخ «جاك»

"وولف!"

جاءه صوتٌ واهٍ، منطفئ كآخر خيطٍ من حياة

"أعود إلى البيت..."

"وولف، لا!"

شعر بقلبه يتلوي في صدره، كمن يُكسر ببطءٍ لا يُطاق.

بلى، القلوب يمكن أن تنكسر، وهو الآن يشعر بذلك حقًا.

"وولف، عد! أحبك!"

لكن ما بين ذراعيه كان يخفّ شيئًا فشيئًا، حتى صار ضوءًا... ثم خيالًا... ثم لا شيء... كحلمٍ يتبخر مع أول شمس.

"وداعًا..."

صار «وولف» كالزجاج يبهت، يذوب... حتى اختفى تمامًا.

صرخ «جاك»

"وولف!"

وجاءه آخر ما تبقّى من صوته، واهنًا كأنما يأتي من وراء

الزمن

"... أحبك يا ج..."

ثم لم يبقَ سوى أثرٍ دمويّ على الأرض، في الموضع الذي كان فيه.

همس «جاك» متهدجًا، بين شهقاته المتقطعة

"يا إلهي... يا إلهي... يا إلهي..."

واحتضن نفسه بذراعين مرتجفتين، وبدأ يتأرجح ذهابًا وإيابًا وسط المكتب المحطّم، ينوح كما لو أن العالم كله قد انهار داخل صدره.

الفصل السابع والعشرون
مرة أخرى.. انطفأ جاك
1

فقد جاك الشعور بالوقت الآخذ في المضي دون أن يدري أكثيرًا مضى أم قليل.. فقد جلس مطوقًا ذراعاه حول جسده كما لو عاد إلى سترة المجاذيب مرة أخرى، يتمايل ذهابًا وإيابًا، يئن، متسائلًا إن كان وولف قد رحل حقًا.

"لقد رحل.. أوه، نعم، لقد رحل.. وخمن من قتله يا جاك؟ خمن من؟"

في لحظة ما، استحالك الهمهمات لصرير مزعج.. بعد لحظة، سمع صوت طقطقة عالية من الكهرباء، وتعطل كل شيء الهمهمة، الثرثرة في الطابق العلوي، المحركات التي كانت تعمل في الخارج، بالكاد لاحظ جاك.

"هيا.. أخبرك وولف أن تكمل."

"لا يمكنني.. لا أستطيع.. أنا متعب، وكل ما أفعله خاطئ الناس تموت حولي..."

"كف عن ذلك، أيها الأحمق المُشفق على نفسه! فكّر في أمك يا جاك."

"لا! أنا متعب.. دعني وشأني."

"والملكة؟»

"أرجوك، دعني وشأني"

وأخيرًا سمع صوت الباب في أعلى الدرج يُفتح، فأيقظه ذلك.. لم يُرِد أن يُعثر عليه هنا.. فليُخرجوه إلى الفناء الخلفي، ولكن ليس في هذه الغرفة النتنة، الملطخة بالدماء، المليئة بالدخان، حيث عُذِّب وقُتل صديقه.

بالكاد فكّر جاك فيما يفعل، أخذ الظرف المكتوب عليه «جاك باركر»/ نظر إلى داخله فرأى ريشة الجيتار، والدولار الفضي، ومحفظته المهترئة، وأطلس راند ماكنالي للطرق، أمال الظرف فرأى الرخامة.. وضع كل شيء في الحقيبة وحملها، وكأنه في حالة تنويم مغناطيسي.

وقع أقدام على الدرج، بطيئة وحذرة.

أين مفتاح الضوء اللعين؟ رائحة غريبة، كحديقة حيوانات... انتبهوا يا أولاد

وقعت عينا جاك على صينية الملفات الفولاذية، المصفوفة بعناية بأظرف مكتوب عليها «سأكون شعاع شمس من أجل يسوع»، تناول اثنين منها.

الآن، عندما يُقبض عليك وأنت تخرج، يُمكن أن يُحاكموك بتهمة السرقة والقتل.

لا يهم.. كان يتحرك الآن لمجرد الحركة، لا أكثر.

بدت الساحة الخلفية مهجورة تمامًا.. وقف جاك في أعلى الدرج الذي يخرج عبر حاجز، ناظرًا حوله، بالكاد يُصدق ما يحدث، وسمع أصوات صادرة من الأمام، وومضات من الضوء، وشرر كهربي متقطع، وأصوات مُرسلي الشرطة من أجهزة اللاسلكي التي تم رفع ترددها إلى أقصى حد، لكن الساحة الخلفية كانت فارغة.. لم يكن الأمر منطقيًا، لكنه افترض أنهم إذا كانوا مرتبكين بما يكفي، ومضطربين بما يكفي مما وجدوه في الداخل... ثم سمع صوتًا مكتومًا، على بُعد أقل من عشرين قدمًا على يساره، يقول «يا إلهي! هل تُصدق هذا؟».

دار رأس جاك فجأة.. فرأى الصندوق هناك جاثمًا فوق التراب، مهشمًا كنعش بدائي من العصر الحديدي.. ومصباح يدوي يتحرك في الداخل، ولمح جاك نعال أحذية بارزة.. و شخص غامض رابض عند فوهة الصندوق، يفحص الباب.

"يبدو أن هذا الشيء قد انتزع من مفصلاته،" نادى الرجل الذي ينظر إلى الباب داخل الصندوق. "لا أعرف كيف استطاع أحد فعل ذلك، فالمفصلات من الفولاذ. لكنها... ملتوية.»

"دعك من المفصلات اللعينة،" عاد الصوت المكتوم.. «هذا الشيء اللعين... لقد حبسوا الأطفال هنا يا باولي! أعتقد ذلك حقًا! أطفال! هناك أحرف أولى على الجدران...»

تحرك الضوء.

"... وآيات من الكتاب المقدس..."

تحرك الضوء مرة أخرى.

"... وصور.. صور صغيرة.. لرجال ونساء صغار من العصي، كما يرسم الأطفال... يا إلهي، هل تعتقد أن ويليامز قد علم بهذا؟"

"لا بد أنه قد علم بذلك،» قال باولي، وهو لا يزال يفحص المفصلات الفولاذية الممزقة والملتوية على باب الصندوق.

انحنى باولي للداخل؛ بينما تراجع زميله للخلف.. لم يبذل جاك أي جهد للاختباء، وسار عبر الفناء المفتوح خلفهما.. سار بجوار المرآب وخرج على جانب الطريق.. من هنا، رأى ازدحام سيارات الشرطة المتناثرة في الفناء الأمامي لدار نور الشمس، وبينما كان جاك يقف ويراقب، وصلت سيارة إسعاف تشق الطريق، أضواءها الوامضة تدور، وصفارات الإنذار تغرد.

"أحببتك يا وولف،" تمتم جاك، وأزاح دموع عينيه بذراعه ثم انطلق في طريق مظلمًا، ظانًا أنه سيُقبض عليه على الأرجح قبل أن يقطع ميلًا غرب دار نور الشمس، لكن بعد ثلاث ساعات، كان لا يزال يسير؛ ويبدو أن الشرطة كان لديهم ما يكفي ليشغلهم هناك.

2

ظهر الطريق السريع أمامه، فوق المرتفع التالي أو الذي يليه.. رأى جاك الوهج البرتقالي لأعمدة الإنارة العالية في الأفق، وسمع أزيز الشاحنات الكبيرة.

توقف في وادٍ تناثرت فيه القمامة، وغسل وجهه ويديه في قطرات الماء المتدفقة من قناة تصريف.. كانت المياه باردةً لدرجة الشلل، لكنها على الأقل أسكنت خفقان يديه ولو لبرهة.. وها هو الخطر قد عاد يلوح في الأفق دون أن يسأل...

وقف جاك للحظة، تحت سماء إنديانا المظلمة، يستمع إلى أزيز الشاحنات الكبيرة.

زمجرت الرياح عبر الأشجار عابثة بشعره، ورغم قلبه المثقل بفقدان وولف، إلا أن ذلك لم يُغير من روعة تحرره.

بعد ساعة، أبطأ سائق شاحنة من سرعته ليجد الصبي المُتعب الشاحب الواقف في حارة الأعطال ويشير له بإبهامه، صعد جاك إلى الشاحنة.

"إلى أين تتجه يا صغير؟" سأل سائق الشاحنة.

كان جاك متعبًا جدًا ومريض القلب لدرجة أنه لم يُكلف نفسه عناء سرد القصة التي بالكاد يتذكرها على أي حال.. ظن أنها ستعود إليه.

قال «غربًا.. إلى أي مدى ستذهب؟"

رد "لمنتصف الولاية."

قال جاك «حسنًا»، ثم نام.

انطلقت سيارة دايموند ريو الكبيرة في ليل إنديانا البارد؛ وتشارلي دانيلز على مشغل الأشرطة، غربًا، ثُلاحق مصابيحها الأمامية إلينوي.

الفصل الثامن والعشرون

حلم جاك

1

حاملًا وولف داخل نفسه.. بالطبع...

وإن عاد وولف إلى منزله، لكنه بقى ظلًا كبيرًا وفيًا ركب بجانب جاك في جميع الشاحنات وسيارات فولكس فاجن والسيارات المتربة التى تعدوا على طول طرق إلينوى السريعة.. هذا الشبح المبتسم اخترق قلب جاك، في بعض الأحيان كان بإمكانه أن يرى.. يكاد أن يرى.. شكل وولف الضخم المشعر وهو يقفز بجانبه، يمرح عبر الحقول الجرداء.. حرًا، مطلًا عليه بعينين بلون اليقطين، عندما أبعد عينيه، شعر جاك بغياب يد الذئب التى تعانق يده...

الآن وقد استبدت به وحشة فقدان صديقه، أخجلته ذكرى نفاد صبره من وولف، وجعلت الدم ينزف على وجهه.. لقد فكر في التخلي عن وولف مرات أكثر مما يستطيع أن يحصي.. يا للعار، يا للعار.. لقد كان وولف... استغرق الأمر من جاك وقتًا طويلاً لاستيعابه، لكن الكلمة كانت نبيلة.. وهذا الكائن النبيل، الغير منتمي إلى هذا العالم، قد مات من أجله.

لقد حافظت على قطيعي آمنًا.. لم يعد جاك سوير هو القطيع.. حافظتُ على سلامة قطيعي.. هناك أوقاتٌ كان سائقو الشاحنات أو مندوبي مبيعات التأمين الذين التقطوا

هذا الصبي الغريب والجذاب من جانب الطريق.. التقطوه رغم أن الطريق كان متسخًا وأشعثًا، رغم أنهم ربما لم يستقبلوا مسافرًا متطفلًا من قبل.. ينظرون إليه ويرونه يذرف دموعه.

حزن جاك على وولف وهو ينطلق بسرعة عبر إلينوي.. وقد علم بطريقة ما أنه لن يواجه أي مشكلة في الحصول على توصيلة في تلك الولاية، وكان صحيحًا أنه في كثير من الأحيان كل ما كان عليه فعله هو مد إبهامه والنظر في عيني السائق القادم فيربح توصيلة فورية.. معظم السائقين لم يسألوه حتى عن قصته.. كل ما كان عليه فعله هو تقديم تفسير بسيط للسفر بمفرده.. «سأذهب لرؤية صديق في سبرينغفيلد». «يجب أن أستقل سيارة وأعود بها إلى المنزل». «رائع، رائع»، هكذا رد السائقون هل سمعوا؟ لم يستطع جاك أن يتأكد.. جالت في ذهنه كومة من صور وولف وهو يقفز في جدول لإنقاذ مخلوقات أراضيه، وولف يشم صندوقًا عطريًا كان يحتوي على هامبرغر، وولف يدفع الطعام إلى سقيفة منزله، ويقتحم استوديو التسجيل، ويتلقى الرصاص، ويذوب... لم يُرد جاك رؤية هذه الأشياء مرارًا وتكرارًا، لكنه اضطر لذلك، وجعلت عينيه تزرفان الدموع.

على مقربة من دانفيل، كان رجل قصير في الخمسين من عمره، بشعر رمادي كالحديد، وتعبير وجهه المرح والصارم كمعلم الصف الخامس لعقدين من الزمن، ينظر إليه بخبث من خلف عجلة القيادة، ثم قال أخيرًا «ألا تشعر بالبرد يا صاح؟

يجب أن ترتدي أكثر من هذا السترة الصغيرة.»

رد جاك «ربما قليلاً.» ظن جاردنر المنير أن سترات الجينز دافئة بما يكفي للعمل الميداني طوال الشتاء، لكن الآن جفّ الطقس وتسلل إلى مسامها.

قال الرجل "لدي معطف في المقعد الخلفي خذه ولا تحاول حتى إقناعي بالعدول عن الأمر.. إنه معطفك، صدقني، لن أتجمد."

"لكن..."

"ليس لديك خيار آخر في هذا الأمر.. هذا معطفك الآن.. جربه."

مد جاك يده من فوق ظهر المقعد وسحب قطعة قماش ثقيلة ووضعها على حجره، في البداية كانت بلا ملامح ، مجهولة الهوية، ثم ظهر جيب كرقعة كبيرة، ثم زر، كان معطفًا صوفيًا، تفوح منه رائحة التبغ.

قال الرجل «إنه معطفي القديم.. أحتفظ به في السيارة لأني لا أعرف ماذا أفعل به، في العام الماضي، أهداني الأطفال هذا الشيء المصنوع من زغب الإوز.. لذا فهو ملكك."

ارتدي جاك المعطف الكبير بصعوبة، فوق سترة الجينز ثم قال «يا إلهي».

كان الأمر أشبه باحتضان دبٌ مولعٍ بـ«بوركوم ريف(12)".

قال الرجل «جيد.. الآن، إذا وجدت نفسك واقفًا على طريق بارد وعاصف مرة أخرى، يمكنك أن تشكر مايلز ب. كيجر من أوجدن، إلينوي، لإنقاذه بشرتك..."

بدا مايلز ب. كيجر وكأنه على وشك قول المزيد... علقت الكلمة في الهواء لثانية، ومازال الرجل يبتسم؛ ثم تحولت الابتسامة إلى إحراج سخيف ومال كيجر برأسه إلى الأمام، في ضوء الصباح الرمادي، رأى جاك نمطًا أحمر مرقطًا ينتشر على خدي الرجل.

"بشرتك (شيء ما)؟"

"أوه، لا..."

"بشرتك الجميلة.. بشرتك الفاتنة التي يمكن لمسها، وتقبيلها..." دفع جاك يديه عميقًا في جيوب المعطف الصوفي ولف المعطف بإحكام حوله فحدق مايلز ب. كيجر من أوجدن، إلينوي، إلى الأمام مباشرة.

"همم،" كيجر، تمامًا كرجل في كتاب هزلي.

"شكرًا على المعطف،" قال جاك.. "حقيقة سأكون ممتنًا لك متى ارتديته."

"بالتأكيد، حسنًا،" قال كيجر، "انس الأمر..." لكن لثانية، بدا وجهه غريبًا كوجه دوني كيجان المسكين، في دار نرو الشمس. "هناك مكان أمامنا،" قال كيجر بصوت متقطع، حادًا، مليئًا بهدوء مصطنع.. «يمكننا تناول الغداء، إن شئت.»

"لم يتبقَّ لديّ أي مال،" قال جاك، تصريحٌ ينقصه دولاران وثمانية وثلاثون سنتًا عن الحقيقة.

"لا تقلق بشأن ذلك." كان كيجر قد أدار مؤشر الانعطاف.

قادوا السيارة إلى موقف سيارات شبه فارغ تعصف به الرياح أمام مبنى رمادي منخفض يشبه عربة قطار. أومضت لافتة نيون فوق الباب المركزي بعبارة «مطعم إمباير». توقف كيجر أمام نوافذ المطعم الطويلة وغادروا السيارة.

أدرك جاك أن هذا المعطف سيبقيه دافئًا.. بدا صدره وذراعاه محميين بدرع صوف. بدأ جاك بالتحرك نحو الباب تحت اللافتة الوامضة، لكنه استدار عندما أدرك أن كيجر لا يزال واقفًا بجانب السيارة. كان الرجل ذو الشعر الرمادي، الذي لا يزيد طوله عن جاك إلا ببوصة أو بوصتين، ينظر إليه من فوق سقف السيارة.

"رأيك،» قال كيجر.

"انظر، يسعدني أن أعيد لك معطفك،" رد جاك.

"لا، إنه معطفك الآن.. كنت أفكر فقط أنني لست جائعًا حقًا، وإذا واصلت السير، يمكنني إنجاز الوقت، والعودة إلى المنزل مبكرًا قليلاً.»

"بالتأكيد،" قال جاك.

"ستحصل على توصيلة أخرى إلى هنا.. أعدك.. لم أكن لأنزلك هنا إذا كنت ستعلق.»

"حسنًا."

"انتظر." قلث إني سأحضر لك الغداء، وسأفعل.. وضع يده في جيب بنطاله، ثم مد يده إلى جاك عبر سقف السيارة.. هبت ريح باردة على شعره فأسدلته على جبهته. «خذها.»

"لا، صدقني،" قال جاك. "لا بأس. لديّ دولاران."

"احضر لنفسك شريحة لحم جيدة،" قال كيجر، وقد مال عبر سقف السيارة ممسكًا بالورقة النقدية كما لو إنه يمد له طوق نجاة، أو يمد يده إليه...

تقدم جاك على مضض وأخذ الورقة النقدية من أصابع كيجر الممدودة.. كانت عشرة. «شكرًا جزيلاً.. أنا جاد.."

"تفضل، لم لا تأخذ الصحيفة أيضًا، لديك شيء تقرأه؟ كما تعلم، إذا كان عليك الانتظار قليلًا أو ما شابه." كان كيجر قد فتح بابه بالفعل، وانحنى إلى الداخل ليلتقط صحيفة مطوية من المقعد الخلفي. "لقد قرأتها بالفعل". رمى بها إلى جاك.

كانت جيوب معطف لودن واسعة جدًا لدرجة أن جاك استطاع وضع الصحيفة المطوية في أحدها.

وقف مايلز ب. كيجر للحظة بجانب باب سيارته المفتوح، يحدق في جاك. قاءلاً «إذا لم تمانع في قولي هذا، فستعيش حياة مثيرة للاهتمام"

رد جاك بصدق "إنها مثيرة للاهتمام بالفعل".

كان سعر شريحة لحم سالزبوري(13) خمسة دولارات وأربعين سنتًا، وجاءت مع بطاطس مقلية.

جلس جاك على طرف المنضدة وفتح الصحيفة.. كانت القصة في الصفحة الثانية، في اليوم السابق، كان قد رآها في الصفحة الأولى من إحدى صحف إنديانا. اعتقالات مرتبطة بوفيات مرعبة صادمة.. اتهم القاضي المحلي إرنست فيرتشايلد وضابط الشرطة فرانك ب. ويليامز من كايوجا بولاية إنديانا بإساءة استخدام الأموال العامة وقبول الرشاوى أثناء التحقيق في وفاة ستة فتيان في دار نور الشمس جاردنر للكتاب المقدس للأولاد الضالين، ويبدو أن المبشر الشهير روبرت «نور الشمس" جاردنر قد هرب من حرم الدار قبيل وصول الشرطة، وبينما لم تصدر أي أوامر اعتقال بحقه حتى الآن، فقد كان مطلوبًا بشكل عاجل للاستجواب.. تساءل تعليق أسفل صورة لجاردنر في أبهى صوره، ذراعيه ممدودتان وشعره مصفف بتمويجة مثالية "هل هو جيم جونز(14) آخر؟».

وقد قادت الكلاب شرطة الولاية إلى منطقة قريبة من الأسوار المكهربة حيث دُفنت جثث الصبية دون مراسم.. خمس جثث، على ما يبدو، معظمها متحلل لدرجة أنه لم يكن من الممكن التعرف عليها، ومن المرجح أن يتمكنوا من التعرف على فريد جانكلو، سيتمكن والداه من دفنه جنازةً حقيقية، وهما يتساءلان طوال الوقت عن الخطأ الذي ارتكباه

بالضبط؛ طوال الوقت يتساءلان كيف أدان حبهما ليسوع ابنهما اللامع المتمرد.

عندما وصلت شريحة لحم سالزبوري، كان طعمها مالحًا ولزجًا، لكن جاك التهمها كلها، وشرب كل المرق السميك مع بطاطس مطعم إمباير غير المطهوة جيدًا.

كاد أن ينتهي من وجبته عندما دفع سائق شاحنة ملتحٍ يرتدي قبعة ديترويت تايجرز فوق شعره الأسود الطويل، وسترة باركا تبدو وكأنها مصنوعة من جلود الذئاب، وفي فمه سيجار سميك، وتوقف بجانبه وسأله «هل تحتاج إلى توصيلة غربًا يا فتى؟ أنا ذاهب إلى ديكاتور». في منتصف الطريق إلى سبرينغفيلد، تمامًا.

2

في تلك الليلة، في نُزل بثلاثة دولارات لليلة، أخبره عنه سائق الشاحنة، رأى جاك حلمين متمايزين.. إما أنه تذكر هذين الحلمين لاحقًا من بين أحلام كثيرة غمرت مضجعه، أو أنهما كانا في الواقع حلمًا واحدًا مترابطًا.. أغلق باب غرفته، وتبول في الحوض الملطخ والمتشقق في الزاوية، ووضع حقيبته تحت وسادته، ونام وهو يحمل قطعة الرخام الكبيرة التي كانت في العالم الآخر مرآة «الأراضي». كانت هناك إيحاءات موسيقية، وفي ظل الأجواء السينمائية، موسيقى البوب الحماسية، التي ترددت بصوت منخفض جدًا لدرجة أن جاك استطاع تمييز الآلات الرئيسية، فكانت بوقًا وساكسفون آلتو. ريتشارد، فكّر جاك بنعاس، غدًا سأرى ريتشارد سلوت، وسقط على منحدر الإيقاع في غيبوبة تامة.

كان وولف يهرول نحوه عبر مشهد مدمر يتصاعد منه الدخان، تفصل بينهما خيوط من الأسلاك الشائكة، تلتف بين الحين والآخر في تعقيدات خيالية ومتهورة، شقت الخنادق العميقة الأرض الملوثة، وقد قفز وولف على أحدها بسهولة قبل أن يكاد يسقط في أحد فخاخ الأسلاك الشائكة.

نادى جاك «انتبه».

استعاد وولف توازنه قبل أن يسقط في خيوط الأسلاك الثلاثة، لوّح بمخلبه الكبير ليُظهر لجاك أنه سالم، ثم خطا

فوق الأسلاك بحذر.

شعر جاك بموجة من السعادة والارتياح تسري في جسده... لم يمت وولف؛ سينضم إليه مجددًا.

اجتاز وولف الأسلاك الشائكة وبدأ يركض للأمام مجددًا.. بدت الأرض بين جاك وولف وكأنها تضاعفت طولًا بشكل غامض، كاد الدخان الرمادي المتصاعد فوق الخنادق العديدة أن يحجب الشكل الضخم الأشعث القادم.

صرخ وولف «جيسون! جيسون! جيسون!»

صرخ جاك مردّدًا «ما زلت هنا».

"لا أستطيع يا جيسون! لا يستطيع وولف!"

صرخ جاك «استمر في المحاولة.. اللعنة، لا تيأس!"

توقف وولف أمام سلك متشابك لا يُخترق، ومن خلال الدخان رآه جاك ينزلق على أربع ويهرول ذهابًا وإيابًا، باحثًا عن مخرج.. هرول وولف من جانب إلى آخر، في كل مرة يبتعد مسافة أكبر، وكل ثانية تزداد اضطرابًا بشكل واضح.. أخيرًا نهض وولف مرة أخرى ووضع يديه على السلك المتشابك السميك وشق مساحة ليصرخ من خلالها. "وولف لا يستطيع! جيسون، وولف لا يستطيع!"

"أحبك يا وولف،" صرخ جاك عبر السهل المشتعل.

"جيسون!" صرخ وولف ردًا "كن حذرًا! إنهم قادمون إليك!

هناك المزيد منهم!"

"المزيد ممن؟"، أراد جاك أن يصرخ، لكنه لم يستطع.. لقد علم.

ثم إما أن طبيعة الحلم قد تغيرت أو أن حلمًا آخر قد بدأ! عاد إلى استوديو التسجيل ومكتبه المدمرين في دار نور الشمس، ورائحة البارود واللحم المحترق قد ملأت الهواء.. كان جسد سينجر المشوه ملقىً على الأرض، وجسد كيسي الميت يتدلى من خلال الزجاج المحطم.. جلس جاك على الأرض محتضنًا وولف بين ذراعيه، وأدرك مجددًا أن وولف يحتضر.. لكن وولف لم يكن وولف.

كان جاك يحمل جسد ريتشارد سلوت المرتجف، وكان ريتشارد هو من يحتضر... خلف عدسات نظارته البلاستيكية السوداء العملية، ارتسمت عينا ريتشارد الشاردة بلا هدف، بألم... "أوه لا، أوه لا،" زفر جاك في رعب.. لقد تحطمت ذراع ريتشارد، وصدره عبارة عن لحم ممزق وقميص أبيض ملطخ بالدماء، وقد لمعت عظامه المكسورة بياضًا هنا وهناك كالأسنان.

قال ريتشارد "لا أريد أن أموت"، وكل كلمة منه تصدر بجهد خارق.. "جيسون، لا يجب أن... لا يجب أن..."

توسل جاك "لا يمكنك أن تموت أيضًا"، ليس أنت أيضًا.. انحنى الجزء العلوي من جسد ريتشارد على ذراعي جاك،

وخرج صوت طويل وعميق من حلق ريتشارد، ثم نظر ريتشارد لعيني جاك بعينيه الصافيتين والهادئتين فجأة.. "جايسون.." وقع الاسم، الذي كان مناسبًا تقريبًا، انساب بهدوء عبر الهواء النتن.. "..لقد قتلتني،" زفر ريتشارد، أو "قتلني،" لأن شفتيه لم تلتقيا لتشكيل أحد الحروف... شردت عينا ريتشارد مرة أخرى، وبدا جسده وكأنه يزداد ثقلًا بين ذراعي جاك.. لم تعد هناك حياة في ذلك الجسد.. حدق جيسون ديلوسيان في صدمة.

3

... ونهض جاك سوير فجأةً في فراشٍ باردٍ غير مألوفٍ في نُزُلٍ مُتهالكٍ في ديكاتور، إلينوي، وفي العتمة المُصفرة التي يُلقيها مصباحُ الشارع بالخارج، رأى أنفاسه تتصاعدُ بغزارةٍ كما لو كانت تُزفِّر من فمين في آنٍ واحد!

استطاع منع نفسه من الصراخ بتشبيك يديه، يديه الاثنتين، وضغطهما بقوةٍ كافيةٍ لكسر جوزة.. تصاعدت ريشةٌ بيضاءُ ضخمةٌ أخرى من الهواء عبر رئتيه.

ريتشارد..

ذئبٌ يركض عبر ذلك العالم الميت، ينادي... ماذا؟

جيسون..

قفز قلب الصبي قفزةً سريعةً وحاسمةً، كمن ركله حصان هائج...

الفصل التاسع والعشرون

ريتشارد في ثاير(15)

1

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، ألقى جاك سوير المنهك حقيبته من على كتفيه في نهاية ملعب طويل مغطى بالعشب البني الميت الجاف، بعيدًا، كان رجلان يرتديان سترات منقوشة وقبعات بيسبول يعملان بمنفاخ الأوراق، ويمسحان امتداد العشب المحيط بأبعد مجموعة من المباني.

على يسار جاك، مباشرة خلف الجزء الخلفي المبني من الطوب الأحمر لمكتبة ثاير، كان موقف سيارات أعضاء هيئة التدريس.

أمام مدرسة ثاير، انفتحت بوابة ضخمة على طريق تصطف على جانبيه الأشجار، ويحيط بساحة كبيرة تتقاطع فيها ممرات ضيقة، إن كان هناك ما يلفت الانتباه في الحرم الجامعي، فهو المكتبة على تصميم باخرة باوهاوس (16)مصنوعة من الزجاج والفولاذ والطوب.

كان جاك قد رأى بالفعل بوابة ثانوية تُفتح على طريق وصول آخر قبل المكتبة، يمتد هذا الطريق على ثلثي طول المدرسة وينتهي عند حاويات القمامة المتراكمة في الطريق

المسدود الدائري قبل أن ترتفع الأرض لتشكل هضبة ملعب كرة القدم. بدأ جاك بالتحرك عبر أعلى الحقل باتجاه الجزء الخلفي من مباني الفصول الدراسية، عندما بدأ طلاب مدرسة ثاير بالتوجه إلى قاعة الطعام، عثر على غرفة ريتشارد عبر المدخل رقم 5، منزل نيلسون.

انكمش عشب الشتاء الجاف تحت قدميه، شد جاك معطف مايلز ب. كيجر الفاخر بإحكام، على الأقل بدا المعطف أنيقًا، وإن لم يكن جاك كذلك... سار بين قاعة ثاير وسكن طلاب المدرسة الثانوية المسمى منزل سبنس، باتجاه الساحة، فباغتته أصوات كسولة قبل الغداء آتية من نوافذ منزل سبنس.

2

نظر جاك نحو الساحة فرأى رجلاً مسنًا، منحني الظهر قليلًا، ذا بشرة برونزية مخضرة، يقف على قاعدة بارتفاع منضدة نجار، يتفحص غلاف كتاب ثقيل.

خمّن جاك أنه الشيخ ثاير. كان يرتدي ياقةً صلبةً وربطة عنقٍ فضفاضة ومعطفًا رسميًا، كأحد أتباع المذهب المتعال من نيو إنجلاند. انحنى رأس المؤسس ثاير النحاسي فوق المجلد، مشيرًا بشكل عام نحو مباني الفصول الدراسية.

سلك جاك الزاوية اليمنى في نهاية الممر، انبعث صوتٌ مفاجئ من نافذة في الطابق العلوي أمامه.. أولادٌ يصرخون بمقاطع اسمٍ بدا وكأنه «إيثريدج! إيثريدج!»، ثم دوّت صرخاتٌ وصيحاتٌ صامتة، مصحوبةً بأصوات أثاثٍ ثقيلٍ يتحرك على أرضية خشبية.

"إيثريدج!".

سمع جاك بابًا يُغلق خلفه، فنظر من فوق كتفه فرأى فتىً طويلًا أشقر الشعر ينزل درج منزل سبنس مسرعًا.. يرتدي سترة رياضية من التويد وربطة عنق وحذاء صيد من إل. إل. بين، مين. لم يحميه من البرد سوى وشاح طويل أصفر وأزرق ملفوف عدة مرات حول رقبته.

بدا وجهه الطويل شاحبًا ومتغطرسًا، يبدوا كوجه طالب في السنة الأخيرة في غضبٍ مُبرر.. دفع جاك غطاء رأس المعطف

فوق رأسه وسار في الممر.

"لا أريد لأحدًا أن يتحرك!» صرخ الفتى الطويل من النافذة المغلقة.. «يا طلاب السنة الأولى ابقوا في أماكنكم!».

انحرف جاك نحو المبنى التالي.

"أنت تُحرك الكراسي!" صرخ الفتى الطويل من خلفه. "أسمعك تفعل ذلك! توقف!". ثم سمع جاك الفتى الغاضب يناديه.

التفت جاك، وقلبه ينبض بقوة.. اذهب إلى منزل نيلسون حالاً، أياً كنت، بسرعة، فوراً.. وإلا سأذهب إلى مدير منزلك.

قال جاك "أجل سيدي"، ثم استدار بسرعة ليتجه نحو الاتجاه الذي أشار إليه الولد المثالي.

صرخ إيثريدج في وجهه «لقد تأخرت سبع دقائق على الأقل!»، فاندفع جاك راكضاً. «بسرعة، قلت!».. حوّل جاك الركض إلى جري.

عندما بدأ ينحدر (كان يأمل أن يكون الطريق الصحيح؛ فهو على أي حال الاتجاه الذي بدا أن إيثريدج ينظر إليه)، رأى سيارة سوداء طويلة ليموزين بدأت للتو بالدخول من البوابة الرئيسية وتهمس في الطريق الطويل المؤدي إلى الساحة.

فكّر أن ما كان خلف نوافذ الليموزين المظللة ربما لم يكن عادياً كوالد طالب في السنة الثانية في مدرسة ثاير.

تقدمت السيارة السوداء الطويلة ببطء شديد.

لا، فكّر جاك، أنا أُخيف نفسي.

مع ذلك، لم يستطع الحركة.. راقب جاك سيارة الليموزين وهي تصل إلى الجزء الأسفل من الساحة الرباعية وتتوقف، مازال محركها يعمل.

نزل سائق أسود عريض الكتفين راكضًا من المقعد الأمامي وفتح باب الراكب الخلفي، نزل رجل عجوز أبيض الشعر، غريب، بجهد من المقعد الخلفي لليموزين. كان يرتدي معطفًا أسود يكشف عن قميص أبيض ناصع وربطة عنق داكنة متينة. أومأ الرجل لسائقه وبدأ يشق طريقه عبر ساحة العربات باتجاه المبنى الرئيسي.

لم ينظر حتى تجاه جاك.

مدّ السائق رقبته ببراعة ونظر إلى الأعلى، كما لو كان يُخمّن احتمال تساقط الثلج، تراجع جاك وشاهد الرجل العجوز وهو يصعد إلى درجات قاعة ثاير، واصل السائق تفحصه الدقيق للسماء، تلاشى جاك على الطريق حتى حجبه جانب المبنى، ثم استدار وبدأ يهرول.

كان منزل نيلسون مبنى من الطوب من ثلاثة طوابق على الجانب الآخر من الساحة، أظهرت نافذتان في الطابق الأرضي له اثني عشر طالبًا من السنة الأخيرة يمارسون امتيازاتهم.. يقرؤون وهم ممددون على الأرائك، ويلعبون لعبة ورق

عشوائية على طاولة قهوة؛ بينما كان آخرون يحدقون بكسل فيما يبدو أنه جهاز تلفزيون متوقف أسفل النوافذ.

أُغلق باب غير مرئي في مكان أبعد قليلاً من التل، ولمح جاك الطالب الأشقر طويل القامة، إيثريدج، وهو عائد إلى مبناه بعد أن تعامل مع جرائم الطلاب الجدد.

شق جاك طريقه عبر واجهة المبنى، وضربته عاصفة من الرياح الباردة بمجرد وصوله إلى جانبه، وعند الزاوية كان هناك باب ضيق ولوحة (خشبية هذه المرة، بيضاء اللون مع حروف سوداء قوطية) مكتوب عليها «المدخل 5». امتدت سلسلة من النوافذ إلى الزاوية التالية.

وهنا، عند النافذة الثالثة وجد نقش بارز.

فها هو ريتشارد سلوت، نظارته مثبتة بإحكام حول أذنيه، وربطة عنقه معقودة، ويداه ملطختان قليلاً بالحبر، جالسًا منتصبًا على مكتبه يقرأ كتابًا ضخمًا كأنه يتمنى الموت.. كان مائلًا ناحية جاك، الذي أتيحت له الفرصة ليتأمل ملامح ريتشارد الجميلة والمعروفة قبل أن يطرق على الزجاج.

رفع ريتشارد رأسه عن الكتاب محدقًا حوله بجنون، خائفًا ومتفاجئًا من الضجيج المفاجئ.

ناداه جاك بهدوء «ريتشارد»، وكوفئ برؤية وجه صديقه المذهول وهو يلتفت نحوه. بدا ريتشارد أحمقًا تقريبًا من المفاجأة.

تمتم جاك ببراءة «افتح النافذة».

بالغ في عنايته حتى يتمكن صديقه من قراءة شفتيه.. نهض ريتشارد من مكتبه، لا يزال يتحرك ببطء الصدمة، وقد أشار له جاك وكأنه يدفع النافذة، عندما وصل ريتشارد إلى النافذة، وضع يديه على الإطار ونظر إلى جاك بنظرة حادة للحظة في تلك النظرة القصيرة والناقدة، كان هناك حكم على وجه جاك المتسخ وشعره الأشعث غير المغسول، ووصوله غير التقليدي، وأشياء أخرى كثيرة.. ما الذي تفعله الآن بحق السماء؟ أخيرًا، فتح النافذة.

"حسنًا،" قال ريتشارد. "معظم الناس يستخدمون الباب."

"رائع،" قال جاك، ضاحكًا تقريبًا.. «عندما أكون مثل معظم الناس، غالبًا سأفعل ذلك أيضًا.. أيمكنك التراجع؟»

بدا ريتشارد وكأنه قد أخذ على حين غرة، فتراجع بضع خطوات إلى الوراء.

رفع جاك نفسه على عتبة النافذة وانزلق من النافذة برأسه أولاً. «أوه.»

"حسنًا، مرحبًا،" قال ريتشارد.. "أظن أنه من اللطيف رؤيتك.. لكن عليّ الذهاب لتناول الغداء قريبًا، يمكنك الاستحمام، على ما أعتقد.. سيكون الجميع في غرفة الطعام بالأسفل.". توقف عن الكلام، كما لو كان مندهشًا من كلامه الكثير.

رأى جاك أن ريتشارد سيحتاج إلى معاملة دقيقة. «هل يمكنك إحضار بعض الطعام لي؟ أنا جائع جدًا.»

"رائع،" قال ريتشارد. "أولًا ثُجنّن الجميع، بمن فيهم والدي، بالهروب، ثم تقتحم المكان هنا كاللص، والآن تريدني أن أسرق لك الطعام.. حسنًا، بالتأكيد. حسنًا. رائع.»

"لدينا الكثير لنتحدث عنه،" قال جاك.

"إذا،" قال ريتشارد، وهو يميل قليلًا إلى الأمام ويداه في جيوبه، "إذا بدأت بالعودة إلى قصر الحمراءاليوم، أو إذا سمحت لي بالاتصال بوالدي وإحضاره ليأخذك، فسأحاول إحضار بعض الطعام الإضافي لك."

" أنا مستعد للحديث معك عن أي شيء يا ريتشي.. أي شيء.. سأتحدث عن العودة، بالتأكيد.."

أومأ ريتشارد «أين كنتَ في العالم، على أي حال؟» احترقت عيناه من تحت عدساتهما السميكة، ثم رمش رمشةً كبيرةً مفاجئةً. «وكيف يمكنكَ تبرير الطريقة التي تُعامل بها أنت ووالدتك والدي؟ تباً يا جاك.. أعتقد حقًا أنه يجب عليك العودة إلى ذلك المكان في نيو هامبشاير.»

قال جاك «سأعود.. هذا وعد.. لكن عليّ أن أحضر شيئًا أولًا.. هل يوجد مكانٌ يمكنني الجلوس فيه؟ أنا مُرهقٌ نوعًا ما."

أومأ ريتشارد برأسه نحو سريره، ثم - كعادته - وضع يده على كرسي مكتبه، الذي كان أقرب إلى جاك.

أُغلقت أبوابٌ في الردهة، مزّت أصواتٌ عاليةٌ أمام باب ريتشارد، وأقدامٌ مُتثاقلةٌ.

"هل قرأتَ يومًا عن دار نور الشمس؟» سأل جاك. «كنتُ هناك.. مات اثنان من أصدقائي في دار نور الشمس، واسمع يا ريتشارد، الثاني كان مستذئبًا.»

تشنج وجه ريتشارد.. «حسنًا، هذه مصادفة عجيبة، لأن..."

"كنتُ في دار نور الشمس حقًا يا ريتشارد.»

"حسنًا،" قال ريتشارد. "حسنًا.. سأعود ببعض الطعام بعد نصف ساعة تقريبًا.. ثم سأخبرك من يسكن في الجوار.. لكن هذه أشياء تخص جزيرة سيبروك، أليس كذلك؟ قل لي الحقيقة.»

"أجل، أعتقد ذلك." خلع جاك معطف مايلز بي. كيجر عن كتفيه واستند على ظهر الكرسي.

"سأعود،" قال ريتشارد، لوّح لجاك بتردد وهو يخرج من الباب.

خلع جاك حذائه وأغمض عينيه.

3

دارت المحادثة التي أشار إليها ريتشارد بأنها «أمور تخص جزيرة سيبروك»، والتي تذكرها جاك وصديقه، في الأسبوع الأخير من زيارتهما الأخيرة للمنتجع الذي يحمل الاسم ذاته.

كانت العائلتان تقضيان إجازات مشتركة كل عام تقريبًا أثناء حياة فيل سوير، في الصيف الذي تلا وفاته، حاول مورجان سلوت وليلي سوير الحفاظ على هذا التقليد، وقاما بحجز غرفة لهم في فندق قديم ضخم في جزيرة سيبروك، بولاية ساوث كارولينا، والذي كان موقعًا لبعض أسعد فصول الصيف بالنسبة لهم... لكن التجربة لم تنجح.

كان الصبيان معتادين على صحبة بعضهم البعض.. كما اعتادا على أماكن مثل جزيرة سيبروك، ركض ريتشارد سلوت وجاك سوير بين فنادق المنتجعات وعلى الشواطئ الواسعة المدبوغة طوال طفولتهما، لكن الآن قد تغير المناخ بشكل غامض.. دخلت جدية غير متوقعة حياتهما، حرج...

غيّر موت فيل سوير لون المستقبل تمامًا، بدأ جاك يشعر في ذلك الصيف الأخير في سيبروك أنه قد لا يرغب في الجلوس على الكرسي خلف مكتب والده، أنه يريد المزيد في حياته.. المزيد ماذا؟ كان يعلم.. وتلك أحد الأشياء القليلة التي أدركها حقًا...

إنه ذلك «الزخم" القوي المرتبط بأحلام اليقظة.. عندما بدأ

يرى هذا في نفسه، أدرك شيئًا آخر.. أن صديقه ريتشارد لم يكن عاجزًا عن استشعار هذه «القوة» فحسب، بل إنه في الواقع أراد عكسها بوضوح تام.. أراد ريتشارد الأقل.. لم يكن ريتشارد ليرغب بأي شيء لا يستطيع احترامه.

انطلق جاك وريتشارد بمفردهما في ذلك الوقت الهادئ الذي يقضونه في منتجعات جيدة بين الغداء واحتساء الكوكتيلات، في الواقع، لم يذهبا بعيدًا فقط إلى جانب تلة مغطاة بأشجار الصنوبر تطل على الجزء الخلفي من النزل، تلألأت تحتهما مياه بركة النزل المستطيلة الضخمة، التي قطعتها ليلي كافانو سوير سباحة بسلاسة وكفاءة مرة بعد مرة.

على إحدى الطاولات البعيدة عن المسبح، جلس والد ريتشارد، مرتديًا رداءً منفوخًا من قماش تيري، وشبشبًا على قدميه البيضاوين، يتناول شطيرة كلوب ويتداول الهاتف الموصول بالكهرباء في يده الأخرى.

سأل ريتشارد، الذي كان جالسًا بترتيب بجانبه، ويحمل بشكل متوقع كتابًا بعنوان «حياة توماس إديسون» «هل هذا ما تريده؟».

"ماذا أريد؟ عندما أكبر، تقصد؟" بدا ريتشارد مرتبكًا بعض الشيء من السؤال "إنه جميل جدًا، على ما أعتقد.. لا أعرف إن كنت أريده أم لا.»

"هل تعرف ما تريده يا ريتشارد؟ أنت دائمًا تقول إنك تريد أن تصبح كيميائيًا باحثًا؟" قال جاك.. "لماذا تقول ذلك؟ ماذا يعني ذلك؟"

"هذا يعني أنني أريد أن أصبح كيميائيًا باحثًا." ابتسم ريتشارد.

"أنت تفهم ما أقصده، أليس كذلك؟ ما فائدة أن تكون باحثًا كيميائيًا؟ هل تعتقد أن ذلك سيكون ممتعًا؟ هل تعتقد أنك ستعالج السرطان وتنقذ حياة ملايين الناس؟"

نظر إليه ريتشارد بانفتاح شديد، وعيناه مكبرتان قليلًا بسبب النظارات التي بدأ بارتدائها قبل أربعة أشهر. «لا أعتقد أنني سأعالج السرطان أبدًا، لا.. لكن هذا ليس الهدف أصلًا.. الهدف هو معرفة كيفية عمل الأشياء.. الهدف هو أن الأشياء تعمل بالفعل بطريقة منظمة، بغض النظر عن مظهرها، ويمكنك معرفة ذلك.»

"النظام."

"أجل، إذًا لماذا تبتسم؟"

ابتسم جاك.. "ستظن أنني مجنون.. أود أن أجد شيئًا يجعل كل هذا، كل هؤلاء الأثرياء الذين يطاردون كرات الجولف ويصرخون في الهواتف.. يجعل كل هذا يبدو مقززًا.»

"إنه يبدو مقززًا بالفعل،» قال ريتشارد، دون أن يقصد أن يكون مضحكًا..

"ألا تعتقد أحيانًا أن في الحياة ما هو أكثر من مجرد نظام؟" ثم نظر إلى وجه ريتشارد البريء المتشكك.. "ألا تريد قليلًا من السحر يا ريتشارد؟"

قال ريتشارد وقد احمرّ وجهه قليلًا.. «أتعلم، أحيانًا أظن أنك تريد الفوضى فحسب.. أظن أنك تسخر مني.. إذا كنت تريد السحر، فأنت تدمر كل ما أؤمن به.. في الحقيقة، تدمر الواقع.»

"ربما لا يوجد واقع واحد فقط."

"في أليس في بلاد العجائب، بالتأكيد!" بدأ ريتشارد يفقد أعصابه، انطلق مسرعًا بين أشجار الصنوبر، وأدرك جاك لأول مرة أن حديثه عن أحلام اليقظة قد أغضب صديقه.. ساقا جاك الطويلتان جعلتاه يقفان إلى جانب ريتشارد في ثوانٍ.. قائلاً «لم أكن أسخر منك.. كل ما في الأمر أنني كنت أشعر بالفضول لمعرفة سبب قولك دائمًا إنك تريد أن تصبح كيميائيًا.»

توقف ريتشارد فجأةً ونظر إلى جاك بجدية ثم قال «كفى إغضابي بمثل هذه الأمور.. هذا مجرد كلام يخص جزيرة سيبروك.. يكفي أن أكون واحدًا من ستة أو سبعة أشخاص عاقلين في أمريكا دون أن يُصاب صديقي المقرب بالجنون."

منذ ذلك الحين، كان ريتشارد سلوت ينزعج من أي بادرة خيال لدى جاك، ويرفضها فورًا باعتبارها «أمورًا تخص جزيرة

سيبروك».

4

بحلول الوقت الذي عاد فيه ريتشارد من غرفة الطعام، كان جاك، وقد استحمّ للتو وشعره المبلل يلتصق بفروة رأسه، يقلب الكتب على مكتب ريتشارد بتكاسل.

تساءل جاك، بينما دخل ريتشارد من الباب حاملاً منديلاً ورقياً ملطخاً بالدهون ملفوفاً بوضوح حول كمية كبيرة من الطعام، عما إذا كان الحديث القادم سيكون أسهل لو كانت الكتب على المكتب هي «سيد الخواتم» و«ووترشيب داون"(17) بدلاً من "الكيمياء العضوية" و"الألغاز الرياضية".

"ما هو الغداء؟" سأل جاك.

"لقد حالفك الحظ.. دجاج مقلي جنوبي من الأشياء القليلة التي يقدمونها هنا والتي لا تجعلك تندم على الحيوان الذي مات ليصبح جزءاً من السلسلة الغذائية.»

ناوله أربع قطع سميكة وغنية ومقلية بعمق من الدجاج رائحة طيبة وكثيفة بشكل لا يصدق تقريباً.. انغمس جاك في الأكل.

"منذ متى وأنت تأكل كالخنزير؟" رفع ريتشارد نظارته على أنفه وجلس على سريره الضيق، وقد ارتدى سترة بنية منقوشة برقبة على شكل حرف V، دس أسفلها في حزام بنطاله.

شعر جاك بلحظة قلق، متسائلاً إن كان من الممكن حقًا التحدث عن الأراضي مع شخصٍ مُنغلق لدرجة أنه دسّ ستراته تحت حزامه.

رد بهدوء "آخر مرة تناولت فيها الطعام كانت بالأمس، حوالي الظهر.. أنا جائع قليلاً يا ريتشارد.. شكرًا لإحضارك الدجاج.. إنه لذيذ.. إنه أفضل دجاج أكلته في حياتي.. أنت رجل رائع، تُخاطر بالطرد هكذا."

"أتظن أن هذه مزحة، أليس كذلك؟" شدّ ريتشارد السترة عابسًا. "إذا وجدك أحد هنا، فسأُطرد على الأرجح.. لذا لا تُبالغ في المزاح.. علينا أن نجد طريقة لإعادتك إلى نيو هامبشاير."

ساد الصمت للحظة بين نظرة تقييم من جاك، ونظرة صارمة من ريتشارد.

قال جاك وفمه مليء بالدجاج «أعلم أنك تريدني أن أشرح لك ما أفعله يا ريتشارد، وصدقني، لن يكون الأمر سهلاً».

قال ريتشارد "أنت لا تبدو كما كنت.. تبدو أكبر سنًا.. لكن هذا ليس كل شيء.. لقد تغيرت».

"أعلم أنني تغيرت.. لتغيرت أنت أيضًا بعض الشيء لو كنت معي منذ سبتمبر». ابتسم جاك، ونظر إلى ريتشارد العابس بملابسه الودودة، وعرف أنه لن يتمكن أبدًا من إخبار ريتشارد عن والده.. ببساطة، لم يكن قادرًا على ذلك.. إذا كانت الأحداث قد حسمت أمره، فليكن؛ لكنه لم يمتلك شجاعة

القاتل المطلوبة لهذا الكشف تحديدًا.

واصل صديقه عبوسه في وجه جاك، منتظرًا بوضوح بدء القصة.. ربما لتأجيل اللحظة التي سيضطر فيها إلى إقناع ريتشارد العقلاني بما لا يُصدق،

سأل جاك «هل يغادر الطفل في الغرفة المجاورة المدرسة؟ رأيت حقائبه على سريره من الخارج.»

"حسنًا، نعم، هذا مثير للاهتمام،" قال ريتشارد. "أعني، مثير للاهتمام في ضوء ما قلته. إنه غادر في الواقع، لقد رحل بالفعل.. من المفترض أن يأتي أحدهم لأخذ أغراضه، على ما أعتقد.. يعلم الله أي نوع من القصص الخيالية ستصنع من هذا، لكن الطفل المجاور كان رويل جاردنر.. ابن ذلك الواعظ الذي كان يدير ذلك المنزل الذي تزعم أنك هربت منه.» تجاهل ريتشارد نوبة السعال المفاجئة لجاك. «في جميع الأحوال، يجب أن أقول إن رويل كان أي شيء آخر غير الطفل العادي في المنزل المجاور، وربما لم يأسف أحد هنا على رحيله.. بمجرد أن انتشرت قصة موت الأطفال في ذلك المكان الذي كان والده يديره، تلقى برقية تأمره بمغادرة ثاير." كان جاك قد تخلص من قطعة الدجاج التي حاولت خنقه. "ابن جاردنر المنير؟ كان لدى ذلك الرجل ابن؟ وكان هنا؟»

قال ريتشارد ببساطة «لقد حضر في بداية الفصل الدراسي.. هذا ما كنت أحاول إخبارك به من قبل.»

فجأة، أصبحت مدرسة ثاير تُهدد جاك بطريقة لم يستطع ريتشارد فهمها.. «كيف كان؟»

قال ريتشارد «سادي... أحيانًا كنت أسمع أصواتًا غريبة جدًا صادرة من غرفة رويل، وذات مرة رأيت قطة ميتة على صندوق القمامة في الخلف، ليس لها عيون ولا آذان! عندما تراه، تظن أنه من النوع الذي قد يعذب القطط... وفكرت أن رائحته تشبه رائحة الجلد الإنجليزي الفاسد." صمت ريتشارد للحظة، ثم سأل "هل كنت حقًا في دار نور الشمس؟»

"لمدة ثلاثين يومًا." كان جحيمًا، أو ربما جحيمًا مجاورًا له. استنشق، ناظرًا إلى وجه ريتشارد العابس، الذي بدا الآن نصف مقتنع على الأقل.. "يصعب عليك تصديق هذا يا ريتشارد، وأنا أعلم ذلك، لكن الرجل الذي كان معي كان مستذئبًا. ولو لم يُقتل وهو ينقذ حياتي لكان هنا الآن."

"مستذئب. شعر على راحتي يديه.. يتحول إلى وحش متعطش للدماء كل قمر مكتمل.» أشاح ريتشارد بنظره متأملًا في أرجاء الغرفة الصغيرة.

انتظر جاك حتى عادت إليه نظرة ريتشارد.. «هل تريد أن تعرف ماذا أفعل؟ هل تريدني أن أخبرك لماذا أسافر متطفلًا طوال هذه المسافة عبر البلاد؟»

"سأبدأ بالصراخ إن لم تفعل،" قال ريتشارد.

"حسنًا،" قال جاك، "أحاول إنقاذ حياة أمي." بينما هو ينطق

بها، فبدا له هذا الكلام واضحًا جليًا.

"كيف بحق الجحيم ستفعل ذلك؟" انفجر ريتشارد. "ربما تكون والدتكِ مصابة بالسرطان.. وكما قال والدي لكِ، فهي بحاجة إلى أطباء وعلم... وأنتِ سافرتِ؟ ما الذي ستستخدمه لإنقاذ والدتكِ يا جاك؟ السحر؟»

بدأت عينا جاك تشتعلان.. "لقد فهمتِ يا ريتشارد، يا رفيقي القديم." رفع ذراعه وضغط عينيه المبللتين أصلًا على القماش عند ثنية مرفقه.

"أوه، مهلاً، اهدأ، مهلاً حقًا..." قال ريتشارد وهو يشد سترته بجنون. "لا تبكي يا جاك، هيا، من فضلك، أعلم أنه أمرٌ فظيع، لم أقصد... كان الأمر مجرد..." عبر ريتشارد الغرفة على الفور ودون أي ضجيج، وها هو الآن يربت على ذراع جاك وكتفه بخجل...

قال جاك "أنا بخير"، أزاح ذراعه.. «ليس هذا ضربًا من الخيال يا ريتشارد، مهما بدا لك.» جلس منتصبًا.. «كان والدي يناديني بجاك المسافر، وكذلك فعل رجل عجوز على شاطئ أركاديا.» أمل جاك أن يكون محقًا بشأن تعاطف ريتشارد الذي فتح أبوابًا داخلية؛ عندما نظر إلى وجه ريتشارد، أدرك أنها حقيقة.. بدا صديقه قلقًا، رقيقًا، وواثقًا.

بدأ جاك رواية قصته.

5

حول الصبيين، استمرت حياة منزل نيلسون، هادئةً وصاخبةً كالمدارس الداخلية، تتخللها صيحاتٌ وزئيرٌ وضحكات. كانت خطواتٌ تتسلل من الباب لكنها لم تتوقف.

صدرت من الغرفة العلوية، دقاتٌ منتظمةٌ وموسيقىً متقطعةٌ أدرك جاك أخيرًا أنها تسجيلٌ لفرقة بلو أويستر كالت.

بدأ بإخبار ريتشارد عن أحلام اليقظة/ ومن بين «أحلام اليقظة»، توجه إلى سبيدي باركر، وصف الصوت الذي كان يُكلّمه من القمع الدوار في الرمال، ثم أخبر ريتشارد كيف أخذ «عصير سبيدي السحري» وانتقل لأول مرة إلى «الأراضي».

قال جاك «لكنني أعتقد أنه كان مجرد نبيذٍ رخيص، يخمر العقل، لاحقًا، بعد أن نفد كل شيء، اكتشفت أنني لستُ بحاجةٍ إليه لأنتقل، بل يُمكنني فعل ذلك بنفسي».

قال ريتشارد ببرود «حسنًا».

حاول أن يصف الأراضي لريتشارد بصدق.. مسار العربات، ومنظر القصر الصيفي، وخلوده وخصوصيته، الكابتن فارين؛ الملكة المحتضرة التي أوصلته إلى توينرز؛ أوزموند، مشهد قرية أول هاندز؛ طريق البؤرة الاستيطانية الذي كان الطريق الغربي، عرض على ريتشارد مجموعته الصغيرة من الأشياء المقدسة، ريشة الجيتار والرخام والعملة.

قلب ريتشارد هذه الأشياء بين أصابعه وأعادها دون تعليق.. ثم استعاد جاك ذكريات أيامه البائسة في أوتلي.. استمع ريتشارد إلى حكايات جاك عن أوتلي بصمت لكن بعينين مفتوحتين.

أغفل جاك بعناية مورغان سلوت ومورغان من أوريس من روايته للمشهد في منطقة استراحة لويسبرغ على الطريق السريع 70 في غرب أوهايو.

ثم اضطر جاك إلى وصف وولف كما رآه لأول مرة، ذلك العملاق المبتسم بملابس العمل الرسمية من أوشكوش بيغوش،(18) وشعر بدموعه تتجمع من جديد خلف عينيه. لقد فاجأ ريتشارد بالفعل ببكائه وهو يروي محاولته إدخال وولف في السيارات، واعترف بنفاد صبره مع رفيقه، محاولًا منعه من البكاء مرة أخرى، وكان بخير لفترة طويلة.. فقد تمكن من تجاوز قصة أول تغيير لوولف دون دموع أو ضيق في الحلق، ثم أثار مشكلة مرة أخرى، أبقاه غضبه يتحدث بحرية حتى وصل إلى فريد جانكلو، ثم عادت عيناه إلى الاحتراق.

لم ينطق ريتشارد بكلمة لفترة طويلة.. ثم نهض وأحضر منديلًا نظيفًا من درج المكتب.. نفخ جاك أنفه بصخب ورطوبة.

قال جاك: «هذا ما حدث. معظمه على أي حال.»

"ماذا كنت تقرأ؟ ما الأفلام التي كنت تشاهدها؟"

قال جاك «تباً لك.» نهض ومشى عبر الغرفة ليأخذ حقيبته، لكن ريتشارد مدّ يده ووضعها حول معصم جاك. «لا أعتقد أنك اختلقت كل هذا.. لا أعتقد أنك اختلقت أيًا من هذا."

"أليس كذلك؟"

"لا. لا أعرف ما أفكر به، في الواقع، لكنني متأكد من أنك لا تكذب عليّ عمدًا." أسقط يده. "أعتقد أنك كنت في دار نور الشمس، أعتقد ذلك، حسنًا.. وأعتقد أن لديك صديقًا يُدعى وولف، مات هناك.. أنا آسف، لكن لا يمكنني أخذ الأراضي على محمل الجد، ولا يمكنني تقبل أن صديقك كان مستذئبًا.»

"إذن تعتقد أنني مجنون،" قال جاك.

"أعتقد أنك في ورطة.. لكنني لن أتصل بأبي، ولن أجبرك على المغادرة الآن.. ستضطر إلى النوم في السرير هنا الليلة.. إذا سمعنا السيد هايوود قادمًا لفحص السرير، ستتمكن من الاختباء تحته."

بدا على ريتشارد مظهرُ تنفيذيٍّ باهت، ووضع يديه على وركيه ونظر في أرجاء غرفته بنظرة متفحصة.. "عليك أن ترتاح قليلاً.. أنا متأكد أن هذا جزء من المشكلة.. لقد أرهقوك في ذلك المكان المريع، وتشوّه عقلك، والآن أنت بحاجة إلى الراحة."

"أجل،" اعترف جاك.

رفع ريتشارد عينيه. «يجب أن أذهب إلى مباراة كرة سلة داخلية قريبًا، لكن يمكنك الاختباء هنا، وسأحضر المزيد من الطعام من غرفة الطعام لاحقًا.. المهم أنك بحاجة إلى الراحة والعودة إلى المنزل.»

قال جاك «قصر الحمراء ليس منزلي."

الفصل الثلاثون

ثاير تصبح مريبة

1

عبر النافذة، رأى «جاك» الفتيانَ بمعاطفهم، منحنين تحت البرد، يعبرون جيئةً وذهابًا بين المكتبة وبقية مباني المدرسة.. لمح «إيثريدج»، الطالب الأكبر الذي تحدث إليه صباحًا، يهرول مسرعًا، وشاله يرفرف خلفه.

أخرج «ريتشارد» سترةً من الخزانة الضيقة بجانب السرير وقال

"لن تُقنعني بأن عليك فعله أي شيء آخر سوى العودة إلى نزل قصر الحمراء.. عليّ أن أذهب الآن إلى تمرين كرة السلة، لأن المدرب فريزر سيجعلني أجري عشر لفّاتٍ عقابية إذا تغيبت، هناك مدرّب آخر سيقود التمرين اليوم، وقال فريزر إنه سيجعلنا نركض حد الإنهاك لو علم أننا تغيبنا.. هل تريد استعارة بعض الملابس النظيفة؟ تقريبًا لديّ قميص سيلائمك أرسله لي أبي من نيويورك، لكن (بروكس براذرز) أخطأوا في المقاس."

أجابه «جاك» «دعني أراه.»

كانت ملابسه قد بلغت من الاتساخ حدًّا جعله يشعر بالاشمئزاز كلما نظر إليها؛ صارت صلبة من كثرة الأوساخ،

وكان يخيل إليه أنه يشبه شخصية «بيغ بن» في قصص «بيناتس» الذي يسير دائمًا وسط غيمة من الغبار والاستهجان.

ناولَه «ريتشارد» قميصًا أبيض ما زال في كيسه البلاستيكي.

قال «جاك» «ممتاز، شكرًا لك.»

أخرج القميص من الكيس وبدأ يزيل الدبابيس الدقيقة، المقاس لم يكن مثاليًا، لكنه مقبول.

قال «ريتشارد» «هناك سترة يمكنك أن تجربها أيضًا، المعلّقة في آخر الخزانة.. جرّبها، حسنًا؟ ويمكنك كذلك أن تستخدم ربطة عنق من عندي، تحسّبًا إن دخل أحدهم فجأة. قل إنك من (مدرسة سانت لويس كنتري داي)، وإنك هنا في برنامج تبادلٍ صحفي.. نحن نقوم بمثل هذه التبادلات مرتين أو ثلاثًا في العام طلاب من هنا يذهبون هناك، وآخرون يأتون إلى هنا ليعملوا على صحيفة المدرسة.»

ثم اتجه نحو الباب وهو يقول «سأعود قبل العشاء لأطمئنّ عليك.»

لاحظ «جاك» وجود قلمين كرويين في الجيب الداخلي لسترة «ريتشارد»، وأن جميع أزرارها مغلقة بإتقان.

وسرعان ما غرق «منزل نيلسن» في صمتٍ تام.. ومن نافذة «ريتشارد» رأى «جاك» الفتيان يجلسون على مكاتبهم خلف

نوافذ المكتبة الكبيرة، رؤوسهم منحنية فوق دفاترهم، لم يتحرك أحد في الممرات أو فوق العشب البني اليابس، ثم دوّى الجرس معلنًا بداية الحصة الرابعة.

مدّ «جاك» ذراعيه وتثاءب شاعرًا بالسكينة تتسلل إليه شيئًا فشيئًا... مدرسة حوله، بكل ما فيها من أجراسٍ ودروسٍ وتمارين كرة سلة، تلك الطقوس التي يعرفها جيدًا وتطمئنه.

ربما يستطيع البقاء يومًا آخر؛ وربما يتمكن من الاتصال بأمه من أحد هواتف «منزل نيلسن»، على الأقل سيتمكن من أن ينام أخيرًا بسلام.

فتح الخزانة، فوجد السترة المعلّقة حيث أشار «ريتشارد».

كانت بطاقتها لا تزال تتدلى من أحد الأكمام أرسلها متجر «سلوت» من نيويورك، لكن «ريتشارد» لم يرتدِها قط، رآها «جاك» أنيقة وفاخرة، وإن كانت أصغر قليلًا من مقاسه، تشدّ على كتفيه وتضيق حول صدره، إلا أن قصّتها الواسعة جعلتها تبدو مقبولة، وأكمامها سمحت لحواف القميص الأبيض أن تظهر نصف بوصة في أناقةٍ خفيفة.

رأى ربطة عنقٍ حمراء معلقة داخل الخزانة، تتناثر عليها مراسٍ زرقاء صغيرة. أخذها وربطها حول عنقه بصعوبة، ثم وقف أمام المرآة ينظر إلى نفسه.. للحظة، لم يتمالك ضحكته.

رأى «جاك» في المرآة ما لم يره منذ مدة... السترة الجديدة الأنيقة، وربطة العنق ذات الطابع الأرستقراطي، والقميص

الأبيض اللامع، وسرواله الجينز المجعّد.

لقد أدرك أنه وصل أخيرًا..

لقد عاد واحدًا منهم.. فتى من فتيان النخبة.

2

رأى «جاك» أن «ريتشارد» أصبح معجبًا بـ «جون مكفي»، و«لويس توماس»، و«ستيفن جاي غولد». التقط كتاب إبهام الباندا من رفوفه لأنه أعجبه العنوان، وعاد إلى السرير.

لم يعد «ريتشارد» من تمرين كرة السلة طوال ما بدا فترةً طويلة...

بدأ «جاك» يتجوّل ذهابًا وإيابًا في الغرفة الصغيرة، لم يستطع تخيّل ما الذي قد يمنع «ريتشارد» من العودة، لكن خياله لم يتركه؛ مرة بعد أخرى، تخيّل كوارث متتالية.

بعد أن نظر إلى ساعته للمرة الخامسة أو السادسة، لاحظ أنه لا يرى أي طالب في ساحات المدرسة.

ما حدث لـ «ريتشارد» بدا وكأنه حدث للمدرسة بأكملها...

تلاشت سويعات الظهيرة، وفكّر «جاك» أن «ريتشارد» أيضًا قد مات! ربما مات كل من بمدرسة «ثاير» وهو نفسه صار حامل للوباء، ناقل للموت... لم يأكل شيئًا طوال اليوم منذ الدجاجة التي أحضرها له «ريتشارد» من غرفة الطعام، لكنه لم يشعر بالجوع.. شعر «جاك» أنه يجلب الدمار أينما ذهب.. وجلس في حالة من الخدر والبؤس.

3

ثم سَمِع مجددًا وقع أقدام في الممر..

من الطابق الأعلى، سمع "جاك" بصعوبة خبطات متتالية لإيقاع الباس، ثم أدرك أنها مأخوذة من تسجيل لفرقة بلو أويستر كولت، توقفت الأقدام أمام الباب.

أسرع «جاك» نحو الباب.

وقف «ريتشارد» في الإطار.. ألقى فتيان اثنان، شعرهما شبيه بخيوط الذرة وربطتا عنقهما نصف مفكوكتين، نظرة خاطفة واستمرّا في السير نحو نهاية الممر، أصبح صوت موسيقى الروك أكثر وضوحًا في الممر.

سأل «جاك» «أين كنت طوال الظهيرة؟»

أجاب «ريتشارد» «كان الأمر غريبًا بعض الشيء.. ألغوا كل حصص الظهيرة، ولم يسمح السيد دوفري حتى للطلاب بالعودة إلى غرفهم، ثم اضطررنا جميعًا للذهاب إلى تمرين كرة السلة، وهذا الأكثر غرابة»

قال «جاك» «من هو السيد دوفري؟»

نظر إليه «ريتشارد» وكأن «جاك» سقط للتو من المهد! قائلاً «من هو السيد دوفري؟ إنه المدير ألا تعرف أي شيء عن هذه المدرسة؟»

رد «جاك» «لا، لكن بدأت أفهم بعض الأمور.. ما الغريب في

التمرين؟»

قال «ريتشارد» «تذكر أني قلت لك إن المدرب فريزر استعان بصديق له ليتولى التمرين اليوم؟ حسنًا، قال إننا سنجري لفّات عقابية إذا حاولنا التخلف، فاعتقدت أن صديقه سيكون من نوع ألف ماجواير، كما تعلم، شخص بارع حقًا.. مدرسة ثاير ليست لها تقاليد رياضية جيدة، على أي حال، ظننت أن البديل سيكون شخصًا مميزًا فعلًا.»

قال «جاك» «دعني أحزر... لم يبدو الرجل الجديد وكأنه له أي علاقة بالرياضة.»

رفع «ريتشارد» ذقنه، مذهولًا «لا، لم يكن كذلك...» ثم ألقى على «جاك» نظرة متفحصة.. «كان يدخن طوال الوقت، وشعره طويل ودهني جدًا لم يكن يشبه أي مدرب، بدا كشخص أدنى من شتى المدربين، لأصدقك القول.. حتى عينيه بدتا غريبتين! أراهن أنه يدخن الحشيش.»

جذَب «ريتشارد» سترته وقال «لا أظن أنه يعرف شيئًا عن كرة السلة، لم يجعلنا حتى نتدرّب على الأنماط المعتادة عادة نفعل ذلك بعد فترة الإحماء، فجرينا قليلًا، ورمينا الكرات، وضحك هو علينا بصوت عالٍ.. كما لو أن مشاهدة الأطفال يلعبون كرة السلة هو أكثر المشاهد الكوميدية التي رآها في حياته كلها.. هل سبق أن رأيت مدربًا يظن أن الرياضة مضحكة؟ حتى فترة الإحماء كانت غريبة.. فقط قال ‹حسنًا، اعملوا تمرينات الضغط›، وأخذ يدخن سيجارته! لا عدّ، لا

توقيت، كل واحد يقوم بها بمفرده.. بعد ذلك قال ‹حسنًا، اجروا قليلًا.› بدا... جامحًا جدًا.. أعتقد أنني سأشتكي للمدرب فريزر غدًا.»

قال «جاك» «لو كنت مكانك لن أشكو له أو للمدير أيضًا.»

رد «ريتشارد» «أوه، فهمت.. السيد دوفري واحد منهم.. من مجموعة الأراضي.»

فتمتم «جاك» «أو أنه يعمل لصالحهم.»

قال «ريتشارد» «ألا ترى أنه يمكنك إدخال أي شيء في هذا النمط؟ أي شيء يسوء؟ الأمر سهل جدًا يمكنك تفسير كل شيء بتلك الطريقة.. هكذا يعمل الجنون.. يجعلك تصنع روابط غير حقيقية.»

تمتم «جاك» «وترى أشياء غير موجودة.»

هز «ريتشارد» كتفيه، ببرود ولا مبالاة وعلى الرغم من ذلك، بدا وجهه تعيسًا، قال «أنت قلتها.»

قال «جاك» «لحظة... تتذكر أني أخبرتك عن المبنى الذي انهار في أنغولا، نيويورك؟»

رد «ريتشارد» «أبراج رينبيرد.»

قال «جاك» «يا لها من ذاكرة.. أظن أن ذلك الحادث كان خطئي.»

قال «ريتشارد»: «جاك، أنت...»

قال «جاك» «مجنون، أعلم.. انظر، هل سيبلغ أحد عني إذا خرجنا لمشاهدة النشرة المسائية؟»

قال «ريتشارد» «أشك في ذلك.. معظم الطلاب يدرسون الآن على أي حال.. لماذا؟»

فكر «جاك» لكنه لم يقل «لأعرف ما الذي يحدث هنا، حرائق صغيرة لطيفة، زلازل خفيفة علامات أنهم يمزّون، من أجلي، من أجلنا.»

قال «جاك» «أحتاج لتغيير المنظر، يا صديقي ريتشارد»، وتبعه في الممر الأخضر المائي.

الفصل الحادي والثلاثون
فلتذهب ثاير إلى الجحيم.
1

كان جاك أول من شعر بالتغيّر، وأدرك فورًا ما يحدث؛ لقد تكرّر الأمر من قبل، حين كان ريتشارد بالخارج، وصار جاك منذها متيقّظًا له...

اختفى الصخب المعدني الصارخ لأغنية «تاتو فامباير» لفرقة بلو أويستر كلّت، وصمت التلفاز في قاعة الجلوس، وقد كان قبل لحظات يثرثر بحلقة من «بطولات هوغان» بدلًا من نشرة الأخبار.

التفت ريتشارد نحو جاك، وهمّ بالكلام، لكن جاك سبقه قائلاً بنبرة مازحة فيها قلق مكتوم

"لا يعجبني هذا، غريدلي... الطبول الأصلية توقّفت.. واشتدت حدة الصمت.. ربما أكثر من اللازم.."

ضحك ريتشارد ضحكة باهتة، أقرب إلى الارتباك منها إلى الدعابة

"ها.. ها."

قال جاك بهدوء

"ريتشارد، أيمكنني أن أسألك شيئًا؟"

"نعم، بالطبع."

"هل أنت خائف؟"

تماهى وجه ريتشارد بين الإنكار والاعتراف.. أراد أن يقول «لا، طبعًا لا، فالهدوء يسود نلسون هاوس كل مساء»

لكن الحقيقة كانت أوضح من أن تُخفى، وريتشارد.. يا للأسف.. لم يكن يعرف الكذب.

العزيز الطيب ريتشارد... شعر جاك نحوه بموجة حنانٍ عجيبة.

قال ريتشارد أخيرًا

"نعم... قليلًا."

ابتسم جاك وقال بخفة

"هل يمكنني أن أسألك شيئًا آخر؟"

"تفضّل."

"لماذا نهمس كلانا؟"

نظر ريتشارد إليه مطولًا دون أن يجيب، ثم استدار وسار في الممرّ الأخضر بخطى ثابتة.

كانت أبواب الغرف الأخرى إمّا مفتوحة أو مواربة، فاحت في الجوّ رائحة مألوفة خرجت من الغرفة رقم (4)، فمدّ جاك يده، ودفع الباب برؤوس أصابعه في حذرٍ ساخر.

قال مبتسمًا

«أيّهما مدمن الحشيش؟»

ردّ ريتشارد بدهشة

«ماذا؟»

شمّ جاك الهواء بوضوح وقال

"ألا تشمّها؟"

اقترب ريتشارد ونظر إلى الداخل. كان مصباحا المكتبين مضاءين؛ على أحدهما كتاب تاريخ مفتوح، وعلى الآخر عدد من مجلة Heavy Metal، زُيّنت الجدران بملصقات ساحل كوستا ديل سول، وفرودو وسام يعبران سهول موردور المتشققة نحو قلعة سورون، وصورة إيدي فان هالن، وتدلّت سماعتان من على المجلة تصدران أنغامًا معدنية حادّة كالصافرة.

قال جاك وهو يبتسم بخبث

"إن كانوا يطردون من يسمح لصديقه بالنوم تحت سريره، فهل تظنهم يكتفون بصفعة على المعصم لمن يدخن الحشيش؟"

أجابه ريتشارد مذهولًا وهو يحدّق في السيجارة الملفوفة كأنها كائن غريب

"بل يُطرَد فورًا، طبعًا."

ورأى جاك في ملامحه ذهولًا صادقًا، أشدّ حتى من دهشته حين أراه آثار الحروق التي التئمت بين أصابعه.

قال جاك بهدوء

"مبنى نلسون فارغ يا ريتشارد."

صرخ هذا الأخير بعصبية

"لا تكن سخيفًا!"

لكن جاك أشار بيده نحو الممرّ وقال

"بل هو كذلك.. نحن وحدنا هنا.. ولا يمكن إخراج ثلاثين فتى من مهجعٍ دون أن يصدر صوت واحد.. لم يغادروا... لقد اختفوا."

قال ريتشارد ساخرًا وهو يزفر

"ربما عبروا إلى الأراضي الأخرى!"

أجاب جاك بهدوء غامض

"ربما... ربما ما زالوا هنا، لكن على مستوى آخر... ربما هناك، أو في كليفلاند... لكنهم بالتأكيد ليسوا حيث نقف نحن."

قال ريتشارد فجأة

«أغلق الباب!»

وحين لم يتحرك جاك سريعًا بما يكفي، أغلقه بنفسه بعصبية.

قال جاك

"هل تريد أن تطفئ ال..."

قاطعه ريتشارد بسرعة

"لا، لا أريد حتى لمسها! يجب أن أبلّغ عمّا يحدث، أليس كذلك؟ يجب أن أبلغ السيد هايوود."

سأله جاك بنبرة فضول لاهٍ

"أكنت لتفعلها حقًّا؟"

احمرّ وجه ريتشارد وتمتم بتردد

"لا... على الأرجح لا.. لكن الأمر... لا يروق لي."

قال جاك ساخرًا بنصف ابتسامة «فوضوي، أليس كذلك؟»

لمعَت عينا ريتشارد من خلف نظارته، تلك اللمعة التي تعترف بوضوح إنه أصاب كبد الحقيقة تمامًا...

ثم مضى في الممرّ وهو يقول بعزمٍ يائس

"أريد أن أعرف ما الذي يجري هنا، وصدقني... سأعرف."

ابتسم جاك في داخله وهو يتبعه مرددًا في نفسه

"قد يكون ذلك أخطر على صحتك من الماريجوانا، يا ريتشي الصغير..."

2

وقفا في صالة الاستراحة، يتطلّعان من خلف الزجاج نحو الساحة الغارقة في الرمق الأخير من الضوء.

أشار ريتشارد بحدة وقال

"انظر، هناك!"

تبع جاك إشارة يده، فرأى عبر البهتان الأخضر للغروب مجموعة من الفتية متحلّقين حول تمثال العجوز ثاير البرونزيّ، وقد خيّم عليهم ظلّ المساء مثل عباءة من رماد.

صاح ريتشارد بغضب يكاد يشقّ صدره

"إنهم يدخّنون! في قلب الساحة بالضبط، يدخّنون!"

شمّ جاك في ذاكرته بقايا تلك الرائحة الثقيلة التي التقطها من ممرّ سكن ريتشارد من قبل، وقال بهدوء ساخر

"نعم، يدخّنون... لكن ليست سجائر من تلك التي تشتريها من آلة البيع، يا صديقي."

ضرب ريتشارد زجاج النافذة بقبضتيه في عصبية مكتومة.. ورأى جاك في ملامحه كيف تبخّر كل ما كان يثير قلقه قبل دقائق

المدرسة المهجورة على نحوٍ غريب، والمدرّب ذي السترة الجلدية وتدخينه المتتابع، وحتى تشككه في عقل جاك.

كل شيء تلاشى..

لم يبقَ على وجهه سوى ذلك الغضب الأخلاقي النقيّ، كأنما يقول بصمته

"حين يقف أولاد من طلاب ثاير حول تمثال مؤسسها، يدخّنون الحشيش بلا خجل، فذلك كمن يحاول إقناعي بأن الأرض مسطّحة، أو أن الأعداد الأوّلية يمكن قسمتها على اثنين، أو أن الشمس تطلع من الغرب! هراء لا يُحتمل."

امتلأ قلب جاك بالشفقة على صديقه، لكن الإعجاب سرى في داخله أيضًا؛ إعجاب بموقف بدا محافظًا لحدّ التزمّت في زمنٍ لا يعرف الانضباط،

تساءل في نفسه

"هل سيحتمل ريتشارد الصدمات القادمة؟"

قال بهدوء متردّد

"ريتشارد... هؤلاء الفتية، أحقًا هم من ثاير؟"

التفت إليه ريتشارد بعينين تشتعلان

"يا إلهي، لقد فقدت عقلك تمامًا يا جاك! إنهم من الصفوف العليا.. أعرف كل واحد منهم فذلك الأحمق ذو قبعة الطيران الجلدية هو نورينغتون، والذي يرتدي البنطال الأخضر هو باكلي، أرى غارسون... ليتلفيلد... أما الذي يضع وشاحًا، فهو إيثريدج!"

سأل جاك، وقد خالج صوته شك ثقيل..

"هل أنت متأكد أنه إيثريدج؟"

"بالطبع هوا" صرخ ريتشارد، ثم اندفع نحو النافذة، وأدار مزلاجها بعنف، ورفعها ليندفع هواء الشتاء البارد إلى الغرفة.

جذبه جاك وهو يقول برجاء

"ريتشارد، أرجوك، فقط استمع إليّ..."

لكن ريتشارد لم يستمع.. أطلّ من النافذة وصاح

"هيه!"

لا، لا تفعل! لا تجذب انتباههم يا ريتشارد، بحق الله لا تفعل!

"هيه أنتم هناك! إيثريدج! نورينغتون! ليتلفيلد! ما الذي تفعلونه بحق الجحيم؟!"

توقَّف الضحك فجأة، انقطعت الأحاديث كما يُقطع خيط فجأة!

استدار الفتى ذو الوشاح نحو الصوت، ورفع رأسه قليلًا ناظرًا إلى الأعلى، وقد سقطت عليه أضواء المكتبة الخافتة مع آخر وهَج للغروب الميت، فأضاءت وجهه... كاشفة عن وجه لم يكن حقًا وجهًا.

شهق ريتشارد، وتراجع نصف خطوة، واضعًا يديه على فمه.

النصف الأيمن من الوجه كان يشبه إيثريدج تمامًا...

إيثريدج أكبر سنًا، أكثر قسوة، وجه رجل خاض أماكن لا تليق بطلاب المدارس الراقية، وعرف أشياء لا يليق بهم أن يعرفوها..

أما النصف الآخر... فقد كان جحيميًا من اللحم المشوّه.

كتلة من الندوب الغائرة، عين نصف غارقة في حفرة من الشمع المذاب، كأنها خرزة زجاجية انغرست في تلال من الشحم المحترق.. ومن زاوية فمه اليسرى برز ناب طويل معقوف... كأنه سيف صغير يبتسم.

إنه قرينه!

فكّر جاك في هدوء مريب.

ذلك ليس إيثريدج... بل توأمه من الجانب الآخر.. أتراهم جميعًا كذلك؟ نورينغتون، ليتلفيلد، باكلي...؟ يا إلهي، أيمكن؟

ثم صرخ الكائن بصوتٍ مبحوحٍ كخدش على حديد

"سلووووت!"

وتقدّم مترنّحًا خطوتين نحو مبنى نيلسون، والضوء المنسكب من مصابيح الطريق يسقط على وجهه المدمّر بوضوح.

همس ريتشارد بصوتٍ متهدّج

"أغلق النافذة... أغلقها يا جاك! كنت مخطئًا! ربما يشبه إيثريدج، لكنه ليس هو... ربما أخوه الأكبر، أو شخص أريق

عليه الحمض فجنّ، لكنه ليس إيثريدج، أغلق النافذة حالًا، جاك، أغلقها حالًا..."

وقبل أن يتمّ كلمته، تقدّم الكائن خطوة أخرى نحوهم، وابتسم تلك الابتسامة التي لا تعرف للإنسانية سبيل، وهوى لسان طويل، مريع، من فمه متدلّيًا كبالون احتفال يُنفخ ثم يُفلت فجأة.

"سلووووت!" صرخ مرة أخرى، بصوت يخرق العظم...

"أعطِنا المسافر!"

التفت جاك إلى ريتشارد، ووجهيهما مشدودان كوترين على وشك الانفجار.

وفي الخارج، انطلق عواء طويل، متموّج... كان الليل قد أطبق تمامًا...

نظر ريتشارد إلى جاك، وفي عينيه لمع بريق كراهية خاطف، كأن شبح أبيه يتحدث من خلاله

"لماذا جئت إلى هنا يا جاك؟ لماذا جئت بكل هذا الخراب؟ لماذا جئت بكل لعنات جزيرة سيبروك؟!"

قال جاك بصوت خافت وحاد كالنصل

"أتريدني أن أرحل؟"

لبث الغضب في عيني ريتشارد لحظة، ثم خبا، ليحلّ مكانه وجهه القديم الطيب.

ثم ردد وهو يده بعصبية في شعره الذي بدأ يتبعثر

"لا... لا، لن تذهب إلى أي مكان.. هناك... هناك كلاب ضارية بالخارج، يا جاك! على أرض ثاير نفسها! أعني... هل رأيتها؟"

قال جاك بنبرة حانية

"رأيتها يا ريتشي."

وكان ريتشارد يعبث بشعره حتى تفرعن، وتطاير في كل اتجاه، وقد بدا وكأن صديقه المنظم قد تحوّل إلى نسخة حية من المخترع المجنون اللطيف جايرو غيرلوس.

قال ريتشارد وهو يهذي

"يجب أن أتصل ببوينتون، رجل الأمن... نعم! بوينتون، أو شرطة البلدة، أو أي أحدا!"

وانبعث عواء آخر، هذه المرة من وراء الأشجار البعيدة... عواء يرتفع ويهبط، لكنه لم يكن عواء ذئب تمامًا، بل شيئًا بشريًا تقشعر منه الأبدان.

تقلّص وجه ريتشارد، وارتجف فمه كفم شيخ فقد أسنانه، ثم التفت إلى جاك بتوسل..

"أغلق النافذة يا جاك، أرجوك... أشعر أنني محموم، ربما أصبت بنزلة برد."

قال جاك بهدوء يشبه الوعد

"بالطبع يا ريتشارد."

ثم أغلق النافذة، فتوارى خلفها ذلك العواء الممسوخ الذي ظلّ، رغم الزجاج، يزأر في أعماقهما.

الفصل الثاني والثلاثون
"اعطنا المسافر!"
1

قال جاك لاهثًا «ساعدني في هذا، يا ريتشارد.»

فأجابه ريتشارد بصوت طفولي فيه نبرة تعليمية «لا أريد أن أحرّك الخزانة يا جاك.. هذا ليس مكانها.»

وكانت الهالات الداكنة تحت عينيه أوضح مما بدت عليه في الصالة.

في ساحة المبنى بالخارج، ارتفع العواء من جديد عبر الهواء.

ها هو السرير أمام الباب، والغرفة شوّهت بالكامل.. وقف ريتشارد يتأمل الفوضى من حوله وهو يرمش بعينيه، ثم اتجه إلى سريره ونزع الأغطية، ناول جاك أحدها في صمت، وأخذ هو الآخر وفرشه على الأرض. أخرج ما في جيوبه من نقود ومحفظة ووضعها بعناية على الخزانة، ثم تمدد في منتصف البطانية، طوى أطرافها عليه، واستلقى هناك على الأرض، ونظارته ما زالت على وجهه، وملامحه لوحة من الشقاء الصامت.

ساد الخارج صمت كثيف حالم، لم يقطعه سوى زئير الشاحنات البعيد على الطريق السريع، أما مبنى «نيلسون

هاوس» نفسه فخيّم عليه سكون مريب.

قال ريتشارد «لا أريد أن نتحدث عمّا يحدث بالخارج، أريد أن نتفق على ذلك.»

فقال جاك بنبرة مهدّئة «حسنٌ يا ريتشارد، لن نتحدث عنه.»

تمتم ريتشارد «تصبح على خير يا جاك.»

فأجاب جاك «وأنت بخير يا ريتشارد.»

ابتسم ريتشارد له ابتسامة شاحبة، مرهقة حدّ الألم، لكنها انطوت على دفءٍ وودّ كافيين لأن يبعثا الدفء في قلب جاك ويمزقاه في ذات الوقت..

قال ريتشارد «ما زلت سعيدًا لأنك أتيت، وسنتحدث عن كل هذا في الصباح، أنا متأكد أن الأمر سيتضح أكثر آنذاك، وتلك الحمى سنشفى منها بحلول الغد.»

استدار على جانبه الأيمن وأغمض عينيه، وبعد خمس دقائق، رغم قسوة الأرض، غرق في نومٍ عميق.

جلس جاك طويلًا متأملًا الظلمة في الخارج.. ومن حين لآخر رأى أضواء السيارات المارّة في شارع «سبرينغفيلد أفينيو»، وأحيانًا أخرى اختفت تلك الأضواء تمامًا، كأن المصابيح الأمامية وأعمدة الإنارة نفسها زالت، وكأن مدرسة «ثاير» بأكملها تنزلق من واقعها إلى فراغٍ معلّق، قبل أن تعود لتستقر في العالم من جديد.

اشتدت الريح، وسمعها تُسقِط آخر الأوراق المتجمدة عن الأشجار في الساحة، وتُصَكُّ الأغصان ببعضها كعظامٍ جافة، صارخة ببرودةٍ حادّة في الفجوات بين المباني.

2

صاح جاك بتوتر «ذاك الرجل.. إنه قادم... توأم إيثريدج.»

تمتم ريتشارد، نصف نائم «هاه؟ من؟»

فتمتم جاك سريعًا «لا تهتم... عُد إلى النوم.. لا تريد أن ترى هذا.»

لكن ريتشارد كان قد جلس منتصبًا، وقبل أن تلتقط عيناه هيئة ذلك الجسد المترنح، المشوّه بطريقةٍ ما، وهو يقترب من مبنى «نيلسون هاوس»، جذبه مشهد الحرم الجامعي نفسه... تجمّد من الذهول، وارتعد خوفًا.

اللبلاب الذي كان يغطي جدران مبنى «مونكسون فيلد هاوس»، والذي بدا صباحًا هشًّا لكنه لا يزال يحتفظ بظلٍّ من الخُضرة، صار الآن أصفر قبيحًا، مسموم المظهر.

وسُمِعَ صوت يصيح «سلِّمنا مسافرك يا سلوت!»

وفجأة، لم يتمنّ ريتشارد سوى أن يعود إلى النوم... أن ينام حتى يبرأ تمامًا من الإنفلونزا (فقد استيقظ مقتنعًا بأنها إنفلونزا حقيقية، ليست مجرد برد أو حُمّى عابرة).

الإنفلونزا... والحمّى اللتان كانتا تُلقيان في رأسه تلك الهلاوس المرعبة الملتوية.

ما كان له أن يقف عند تلك النافذة المفتوحة... أو أن يسمح لجاك، قبلها، بدخول غرفته من خلال النافذة.

فكر ريتشارد في ذلك، ثم غمره شعورٌ فوريٌ بالذنب والخجل العميق.

3

ألقى جاك نظرة جانبية سريعة على ريتشارد، غير أن وجهه الشاحب وعينيه المنتفختين أوحيا لجاك بأن ريتشارد أخذ ينزلق أكثر فأكثر فيما يشبه «التحميل الزائد للأراضي السحرية».

كان الشيء في الخارج قصيرًا، واقفًا على العشب الذي غطّاه الصقيع، كأنه ترول خرج لتوّه من تحت جسرٍ مظلم، ويداه الطويلتان ذاتا المخالب تتدليان حتى ركبتيه تقريبًا، وقد ارتدى معطفًا عسكريًا طويلاً كُتبت عليه كلمة إيثريدج فوق الجيب الأيسر، المعطف مفتوح من الأمام، وتحتَه قميص «بندلتون» ممزّق ومجعّد، وعلى أحد جانبيه لطخة داكنة، ربما كانت دمًا أو قيئًا، أما ربطة العنق الزرقاء المكرمشة التي ارتداها فكانت منسوجة بنقوش صغيرة من حرف (E) ذهبي، وقد علقت بها بضع أشواك، كأنها دبابيس ربطة عنق مشوّهة بشكلٍ مثير للاشمئزاز.

لم يعمل من وجه «الإيثريدج الجديد» سوى نصفه، بينما امتلأ شعره بالتراب وتعلّقت أوراق الأشجار بملابسه.

صاح الصوت من الخارج

"سلّمنا مسافرك يا سلوت!"

نظر جاك من جديد إلى توأم إيثريدج المشوّه، فتجمّد بصره عليه، مأخوذًا بتلك العينين اللتين كانتا ترتجفان داخل

محجريهما، تهتزان كما تهتز شوكتان صوتيتان في قواعدهما الزجاجية داخل مختبرٍ علميّ!

اضطر أن يقاوم كي ينتزع عينيه بعيدًا عنه.

قال بتوترٍ مكتوم «ريتشارد، لا تنظر في عينيه!»

لكن ريتشارد لم يُجب؛ كان يحدّق إلى النسخة المبتسمة من إيثريدج كمن مسّه الهذيان، نظراته باهتة، منومة، خالية من الوعي.

دفعه جاك بكتفه بخوفٍ غريزي.

فقال ريتشارد متفاجئًا «آه...» ثم خطف يد جاك ووضعها على جبهته متسائلاً باضطراب «كم تبلغ حرارتي؟»

سحب جاك يده من فوق جبهته، التي كانت دافئة قليلًا، لا أكثر.

قال كاذبًا «مرتفعة نوعًا ما.»

تنفّس ريتشارد بارتياحٍ حقيقي وقال «كنت أعلم ذلك.. سأذهب إلى العيادة بعد قليل، يا جاك، أظن أنني بحاجة إلى مضاد حيوي.»

تردّد الصوت من الخارج مجددًا، أكثر حدّةً هذه المرة

"سلّمه إلينا، يا سلوت!"

قال جاك بسرعة «لنحرّك الخزانة أمام النافذة.»

جاءه صوت الكائن مردّدًا بثقةٍ زائفة

"أنت في أمان يا سلوت!"

ثم ابتسم... أو بالأحرى، ابتسم نصف وجهه الأيمن، بابتسامةٍ توحي بالاطمئنان، بينما ظل النصف الآخر فاغرًا فاه في تصلّبٍ ميت، كوجه جثة لا حياة فيها.

قال ريتشارد بصوتٍ هادئٍ غريب، مفعمٍ بسكونٍ مرعب

"كيف يمكن أن يشبه إيثريدج إلى هذا الحد؟ كيف يمرّ صوته عبر الزجاج بهذا الوضوح؟ ما الذي حدث لوجهه؟"

اشتدّ صوته قليلًا، واستعاد شيئًا من ارتباكه القديم وهو يتابع بسؤالٍ بدا له في تلك اللحظة الأهم على الإطلاق، على الأقل بالنسبة لريتشارد سلوت

"من أين حصل على ربطة عنق إيثريدج يا جاك؟"

قال جاك «لا أعلم.»

ثم أضاف في داخله ساخرًا بمرارة «لقد عدنا حقًا إلى جزيرة سيبروك يا ريتشي بوي، وأظننا سنرقص حتى تتقيأ.»

تعالى الصوت من الخارج مجددًا، صارخًا

"سلّمه إلينا يا سلوت، أو سندخل ونأخذه!"

كشر مخلوق إيثريدج عن نابٍ واحد في ابتسامةٍ شرسة، ابتسامة ضاري متوحّش، وقال مهدّدًا

"أخرج مسافرك يا سلوت! لقد مات! مات، وإن لم تُخرجه قريبًا، فستشمّ رائحته حين يبدأ بالتعفّن!"

قال جاك من بين أسنانه، هامسًا بعجلةٍ وغضب «ساعدني في نقل الخزانة اللعينة!»

قال ريتشارد في لهجةٍ متقطّعة بين الإرهاق والذعر «نعم... نعم، حسنًا. سنحرّك الخزانة، ثم سأستلقي قليلًا... وربما بعد ذلك أذهب إلى العيادة.. ما رأيك يا جاك؟ هل هذه خطة جيدة؟»

كان وجهه يتوسّل تأكيدًا.

قال جاك بصرامةٍ هادئة «سنرى... أولًا الخزانة.. فقد يبدؤون برمي الحجارة.»

4

بعد وقتٍ قصير، بدأ ريتشارد يتمتم ويتأوّه في نومٍ ثقيلٍ غلبه من جديد.. وكان ذلك سيئًا بما فيه الكفاية، لكن الأسوأ أن الدموع بدأت تتسلل من أطراف عينيه.

قال بصوتٍ متحشرجٍ مرتبك، كصوت طفلٍ في الخامسة

"لا أستطيع أن أتركه... لا أستطيع... أريد والدي... أرجووكم، أحدكم يخبرني أين والدي... لقد دخل الخزانة لكنه ليس فيها الآن... أريد والدي، هو الذي سيخبرني ماذا أفعل، أرجووكم..."

وفجأة، اخترقت صخرةٌ النافذة، صرخ جاك.

ارتطمت الصخرة بظهر الخزانة التي أمام النافذة، وتناثرت شظايا الزجاج على الجانبين، ثم تكسرت على الأرض إلى فتاتٍ صغير.

"سلّم لنا رفيقك، سلوت!"

تمتم ريتشارد وهو يتلوى داخل البطانية

"لا أستطيع..."

ثم جاء صوت آخر من الخارج، يصرخ ويقهقه في آنٍ واحد

"سلّمه إلينا! سنأخذه إلى جزيرة سيبروك يا ريتشارد! إلى جزيرة سيبروك، حيث ينتمي!"

قُذفت صخرة أخرى عبر النافذة، فانحنى جاك غريزيًا، رغم

أن الصخرة ارتدت أيضًا عن ظهر الخزانة، أخذت الكلاب تعوي وتزمجر في الخارج.

وأثناء نومه، تمتم ريتشارد قائلًا

"لا... لا أريد جزيرة سيبروك... أين والدي؟ أريده أن يخرج من الخزانة... أرجوووووكم، لا تتحدثوا عن جزيرة سيبروك، أرجوووووكم..."

عندها جثا جاك على ركبتيه وهزّه بقوةٍ قدر ما تجرأ، يصرخ فيه أن يستيقظ، أن ما يراه مجرد حلم، يجب أن تستيقظ، بحق المسيح، يجب أن تستيقظ!

"أرجوووووك... أرجوووووك... أرجوووووك..."

ارتفع من الخارج صوتٌ غليظ، أجشّ وغير إنساني، كجوقةٍ من كائناتٍ غريبة، أشبه بأصوات جزيرة الدكتور مورو.

ورددت جوقة أخرى بصوتٍ مقزّز

"استيييقظ... استيييقظ... استيييقظ..."

تعالت أصوات الكلاب نباحًا وعواءً،

وتوالت الحجارة تنهال على النافذة، فتساقط مزيدٌ من الزجاج، وارتجت الخزانة.

صرخ ريتشارد فجأة

"أبي في الخزانة! أبي! أخرج، أرجوووووك! أخرج، أنا خائف!"

ردّ الخارجون في جوقة وحشية

"أرجووووك... أرجووووك... أرجووووك..."

"استيييقظ... استيييقظ... استيييقظ..."

كان ريتشارد يلوّح بذراعيه في الهواء، بينما الحجارة تواصل ضرب الخزانة، وفكر جاك برعب أن إحدى الصخور الكبيرة قد تخترق ذلك الأثاث الرخيص أو تطيح به فوقهما...

وفي الخارج، تعالت الضحكات الوحشية مع الصياح والترديد بأصواتٍ غليظة قبيحة، والكلاب... وقد صار عددها كبيرًا الآن... تعوي وتتصارع.

صرخ ريتشارد فجأة صرخةً طويلة مرعبة

"آبـــــــــــي!"

صفعه جاك.

ارتعشت عينا ريتشارد وانفتحتا على اتساعهما، تحدقان إليه دون أي بريقٍ من الوعي، كما لو أن الحلم قد أكل عقله.. ثم التقط نفسًا طويلًا مرتجفًا وأطلق زفرةً عميقة

"كابوس... أظنه جزء من الحمى.. كان فظيعًا... لكني لا أتذكر بالضبط ما رأيته!" أضاف بسرعة حادة، وكأنه يخشى أن يسأله جاك عن التفاصيل.

قال جاك بهدوء

"ريتشارد، أريدنا أن نخرج من هذه الغرفة."

"نخرج من...؟" نظر إليه ريتشارد بدهشة، كأنه يعتقد أن جاك قد فقد عقله. "لا أستطيع يا جاك، عندي حمى... لابد أن حرارتي مئة وثلاث على الأقل، ربما مئة وأربع أو خمس. لا أستطيع..."

قال جاك بثبات

"حرارتك بالكاد مرتفعة، ريتشارد، وربما أقل من ذلك."

"أنا أحترق!" صاح ريتشارد.

قال جاك «إنهم يرمون الحجارة، ريتشارد.»

ردّ ريتشارد بصوت منهك وكأنه يشرح أمرًا بديهيًا

"الهلوسات لا ترمي حجارة يا جاك، هذا من أمور جزيرة سيبروك، هذا..."

وانهمر وابل جديد من الصخور عبر النافذة.

"أخرج رفيقك يا سلوت!"

قال جاك وهو يساعد ريتشارد على الوقوف

"هيا يا ريتشارد."

قادَه إلى الباب، ثم إلى الخارج، شعر جاك بشفقةٍ عظيمة نحوه، ربما لم تبلغ تلك التي شعر بها تجاه وولف... لكنها كانت قريبة منها.

"لا... مريض... حمى... لا أستطيع..." تمتم ريتشارد بصوت

واهن...

توالت ضربات الحجارة على الخزانة خلفهما.

صرخ ريتشارد متمسكًا بجاك كطفلٍ يغرق.

كانت الضحكات المجنونة تتفجر من الخارج، والكلاب تعوي وتتصارع،

رأى جاك وجه ريتشارد الشاحب يزداد شحوبًا حتى كاد يصبح بلا لون، ورآه يتمايل ثم سقط أرضًا قبل أن يتمكن من الإمساك به، وانهار على عتبة باب ريويل جاردنر.

5

كانت مجرد حالة إغماء بسيطة، واستفاق ريتشارد بسرعة حين قرصه جاك برفق بين إبهامه وسبابته على الجلد الرقيق بين الأصابع، لكنه رفض التحدث عما يحدث في الخارج... متظاهرًا بعدم المعرفة، وكأنه لا يعلم عمّا يتحدث جاك.

تحركا بحذر في الرواق باتجاه الدرج. وعند الغرفة المشتركة، أطل جاك برأسه وصفّر

"ريتشارد، انظر إلى هذا!"

نظر ريتشارد بتردد.. كانت الغرفة المشتركة في حالة خراب تام. الكراسي مقلوبة، والوسائد على الأريكة ممزقة، وقد تم تشويه لوحة زيتية للأستاذ ثاير على الحائط البعيد حيث رسم أحدهم قرنين شيطانيين يبرزان من شعره الأبيض الأنيق، وأضاف آخر شاربًا تحت أنفه، بينما استخدم ثالث أداة كشاكٍ أو ما شابه لحفر عضوٍ ذكري بدائي على منطقة العانة، وتم تحطيم زجاج خزانة الجوائز.

لم يلق جاك بالًا للتعبير على وجه ريتشارد، الذي كان مزيجًا من الرعب والدهشة المخدرة.. ففي بعض الحالات، كان من الأسهل على ريتشارد تقبّل قوافل من الجان تسير عبر الممرات في وحدات متوهجة غير أرضية، أو وجود تنانين فوق الساحة، مقارنةً بهذا التآكل المستمر لمدرسة ثاير التي أحبّ أن يعرفها ويثق بها... مدرسة ثاير التي كان ريتشارد

يعتقد بلا شك أنها نبيلة وصالحة، وحصنٌ لا يُقهر ضد عالمٍ لا يمكن الاعتماد فيه على أي شيء طويلًا... ليس حتى، كما ظن جاك، أن الآباء سيعودون من الخزائن التي دخلوا فيها.

"من فعل هذا؟" سأل ريتشارد بغضب، أجاب نفسه "هؤلاء المنحرفون فعلوه، هم من فعلوه."

نظر إلى جاك، وبدأ الشك الكبير والغائم يتشكل على وجهه.

"قد يكونون كولومبيين،" صاح فجأة.. "قد يكونون كولومبيين، وربما هذا نوع من حروب المخدرات، جاك. هل خطر ببالك ذلك؟"

اضطر جاك لكبت رغبة قوية في الضحك بجنون.. هنا كان تفسير ربما لم يخطر على بال أحد سوى ريتشارد سلوت! إنهم الكولومبيون.. حروب الكوكايين قد وصلت إلى مدرسة ثاير في سبرينغفيلد، إلينوي! بسيطة، يا عزيزي واطسون؛ هذه المشكلة لها حل بنسبة سبعة ونصف بالمئة!!

"أظن أن أي شيء ممكن،" قال جاك. "دعنا نصعد إلى الطابق العلوي."

"ولماذا بحق الله؟"

"حسنًا... ربما سنجد شخصًا آخر،" قال جاك، لم يكن يصدق ذلك حقًا، لكنه أراد قول شيء.. "ربما يختبئ هناك أحدهم، شخص طبيعي مثلنا."

نظر ريتشارد إلى جاك، ثم إلى خراب الغرفة المشتركة، وعاد

ذلك التعبير المؤلم والمرهق على وجهه... ذلك الذي يقول «لا أريد حقًا أن أنظر إلى هذا، لكن لسبب ما يبدو أن هذا هو كل ما أريد النظر إليه الآن؛ إنه إدماني بمرارة، مثل مصّ ليمونة، أو خدش الأظافر على السبورة، أو كشط الخزف بأسنان الشوكة.»

قال ريتشارد بنبرة محاضرة مخيفة، وكأنه في قاعة محاضرات

"المخدرات منتشرة في البلاد قرأت مقالًا عن انتشار المخدرات في مجلة الجمهورية الجديدة الأسبوع الماضي.. جاك، كل هؤلاء الناس هناك قد يكونون مخدرين! قد يكونون يتعاطون الكوكايين! قد يكونون...»

حثه جاك بهدوء

"هيا، ريتشارد."

قال ريتشارد بصوت ضعيف ومتذمر «لست متأكدًا أنني أستطيع صعود الدرج... قد تكون حمى جسمي شديدة جدًا لأتمكن من صعود الدرج.»

ابتسم جاك قائلاً

"حسنًا، جرب حيلة ثاير العتيقة،" واستمر في اقتياده في ذلك الاتجاه.

6

عندما وصلا إلى رواق الطابق الثاني، بدأ الصوت يتسلل مرة أخرى إلى الصمت الناعم شبه المحبوس الذي ساد منزل نيلسون.

عوت الكلاب وزمجرت في الخارج... ولم تبدوا كما لو أنها مجرد عشرات أو أضعافها، بل بدت وكأنها المئات... تلاطمت أجراس الكنيسة في دندنة برية صاخبة، هزت المكان...

أثارت الأجراس الكلاب الهجينة، فجرت ذهابًا وإيابًا عبر الساحة في حالة من الجنون المطلق، انقلبت الكلاب ضد بعضها البعض، عدت فوق العشب الذي بدأ يبدو مهلهلًا، مليئًا بالأعشاب الضارة، وغير مرتب وهاجمت كل شيء وقع في متناول أفواهها.. وبينما جاك يراقب، اندفع أحد الكلاب نحو شجرة الدردار، وانقض آخر على تمثال الأستاذ ثاير، وعندما اصطدم فمه المهاجم الحاد بالبرونز الصلب، تناثرت الدماء وتطايرت على كل جانب.

التفت جاك مبتعدًا، ممتلئًا بالاشمئزاز.

"هيا يا ريتشارد،" آمرًا بصوتٍ مهيب.

فتبعه ريتشارد بلا تردد، راغبًا في السير معه، مستسلمًا لتوجيهاته.

7

كان الطابق الثاني فوضى عارمة... الأثاث مقلوب، والنوافذ محطمة، وتناثرت قطع الحشو، والأسطوانات الموسيقية التي بدا أنها تطايرت بعشوائية في الهواء الأقراص الطائرة، وألقيت الملابس في كل مكان.

أما الطابق الثالث، فغمره البخار، رطبًا ودافئًا كما في الغابات الاستوائية المطيرة، ومع اقترابهما من الباب الذي يحمل علامة الاستحمام، ارتفعت الحرارة إلى مستويات الساونا.. وتكاثر الضباب الذي صادفاه لأول مرة أثناء انسلاله عبر الدرج في خيوط رقيقة، ليستحيل بعدها لسحابة كثيفة معتمة.

"ابق هنا،" قال جاك.. "انتظرني."

"حسنًا، جاك،" أجاب ريتشارد بهدوء، رافعًا صوته بما يكفي ليُسمع فوق هدير المياه المتساقطة، وقد أسدل الضباب ستائره على نظارته، لكنه لم يبذل أي جهد لمسحها.

دفع جاك الباب ودخل الغرفة، تكاثفت فيها الحرارة والرطوبة فابتلت ملابسه على الفور إثر التعرق والرطوبة الساخنة والضبابية، رعدت الغرفة المبلطة وضجت بصوت المياه... جميع الدشات العشرين كانت مفتوحة، وكل رشاش مركزًا على كومة معدات رياضية في منتصف الغرفة المبلطة.. حيث استطاعت المياه الوصول لأنابيب الصرف بصعوبة عبر

هذه الكومة المجنونة، ببطء شديد، فغمرت الغرفة بالكامل.

خلع جاك حذاءه وجال حول الغرفة، متسللًا تحت الدشات ليحافظ على جفافه قدر الإمكان، ولتجنب الحروق فمن الواضح أن من فتح الدشات لم يهتم بالصنابير الباردة، أغلقها الواحد تلو الآخر.. لم يكن هناك سبب لذلك، ولا سبب على الإطلاق، ولام نفسه على هدر الوقت بهذه الطريقة، بينما كان ينبغي عليه التفكير في طريقة للخروج من هنا... الخروج من منزل نيلسون وترك أراضي مدرسة ثاير... قبل أن يسقط الفأس عليهم.

لا سبب لذلك، سوى أن ريتشارد لم يكن وحده الذي يحتاج إلى خلق النظام من الفوضى... خلق النظام والحفاظ عليه.

عاد إلى الرواق، فوجد ريتشارد قد اختفى.

"ريتشارد؟" شعر بقلبه يتسارع في صدره.

لم يأتِ أي جواب.. «ريتشاردا»

عَلَت رائحة عطر مسكوب في الهواء، ثقيلة ومزعجة.

"ريتشارد، أين بحق الجحيم أنت!"

سقطت يد ريتشارد على كتف جاك، فصرخ الأخير صرخة مدوية.

8

"لا أعلم لمَ كان عليك أن تصرخ بتلك الطريقة؟!" ثم قال ريتشارد لاحقًا.."إنه أنا فقط."

"أنا متوتر فحسب،" أجاب جاك بصوت باهت..

جلسا في غرفة الطابق الثالث لصبي يحمل الاسم الغريب المتناغم ألبرت هامبرت! أخبره ريتشارد أن ألبرت هامبرت، الذي كان لقبه ألبرت الفقاعة، كان أضخم صبي في المدرسة، وكان جاك قادرًا على تصديق ذلك؛ فقد احتوت غرفته على مجموعة مذهلة من الوجبات السريعة مخزون طفل لا يتمثل أسوأ كوابيسه في أن يُقصى من فريق كرة السلة أو يرسب في اختبار التفاضل، بل في أن يستيقظ ليلاً ولا يجد حلواه الكريمية المغطاة بالشوكولاته أو كعكة الشوكولاتة المحشوة بزبدة الفول السوداني.

الكثير من الأشياء كانت متناثرة في كل مكان، وقد تحطّم البرطمان الزجاجي الذي يحتوي على مارشميلو فلاف، لكن جاك لم يكن مولعًا به من الأساس، كما تجاهل أسواط العرقسوس حيث كان لدى ألبرت الفقاعة علب كاملة مخزنة على الرف الأعلى في خزانته، وقد كتب على أحد أغطيتها «عيد ميلاد سعيد، عزيزي، من أمك المحبة.»

فكر جاك بتعب بعض الأمهات المحبات يرسلن علبًا من أسواط العرقسوس، وبعض الآباء المحبين يرسلون سترات

من بروكس برازرز، وإذا كان هناك أي فرق، فإن جايسون وحده يعرفه.

وجدوا في غرفة ألبرت الفقاعة ما يكفي من الطعام ليعدوا وجبة مجنونة سليم جيمز، شرائح بيبروني، رقائق بطاطس بالملح والخل، والآن وبينما هم ينهون علبة الكوكيز، استعار جاك كرسي ألبرت من الرواق وجلس بجانب النافذة، بينما جلس ريتشارد على سرير ألبرت الفقاعة.

"حسنًا، أنت متوتر حقًا،" قال ريتشارد موافقًا، وهو يهز رأسه رافضًا عندما عرض جاك عليه آخر قطعة كوكيز.. "في الواقع، أنت مصاب بجنون الارتياب، هذا أتى من قضائك الأشهر القليلة الماضية على الطريق.. ستكون بخير بمجرد أن تعود إلى والدتك، يا جاك."

"ريتشارد،" قال جاك وهو يرمي كيس البسكويت الفارغ، "دعنا نتوقف عن هذا الحديث الفارغ.. هل ترى ما يحدث بالخارج في حرمك الجامعي؟"

بلل ريتشارد شفتيه.. «لقد شرحت ذلك،» قال.. «لدي حمى، ربما لا يحدث أي من هذا على الإطلاق، وإذا حدث، فالأمور العادية تمامًا هي التي تجري، وذهني يحرفها ويضخمها.. هذا أحد الاحتمالات، الاحتمال الآخر هو... حسنًا... تجار المخدرات.»

مال ريتشارد إلى الأمام على سرير ألبرت الفقاعة.

"لم تجرب المخدرات، أليس كذلك، جاك؟ أثناء رحلتك؟" اتقدت عينا ريتشارد فجأة، وكأن عينيه تقول.. هنا تفسير محتمل، وطريق محتمل للخروج من هذا الجنون.. جاك قد تورط في خدعة مخدرات مجنونة، وكل هؤلاء الأشخاص تبعوه إلى هنا.

"لا" قال جاك بتعب.. "لطالما اعتقدت أنك سيد الواقع، يا ريتشارد" قال جاك.. "لم أظن أنني سأراك يومًا.. أنت! تستخدم عقلك لتزييف الحقائق."

"جاك، هذا مجرد... هراء، وأنت تعلم ذلك!"

"حروب المخدرات في سبرينغفيلد، إلينوي؟" سأل جاك.. "ومن يتحدث عن حكايات جزيرة سيبروك الآن؟"

وفجأة، حطمت صخرة نافذة ألبرت هامبرت، ناثرة الزجاج على الأرض.

الفصل الثالث والثلاثون
ريتشارد في الظلام
1

صرخ ريتشارد ورفع ذراعيه حاجبًا وجهه، تطاير الزجاج في كل اتجاه.

تعالى صوت من الخارج يقول «أرسِلْه إلينا يا سلوت!»

نهض جاك، وقد امتلأ صدره بغضبٍ قاتم...

قبض ريتشارد على ذراعه قائلًا في هلع «جاك، لا! ابتعد عن النافذة!»

لكن جاك تمتم بغضبٍ مكتوم يكاد يشبه الزئير

"كفى. ضِقْتُ ذرعًا بأن يتحدثوا عني كأنني قطعة بيتزا."

وقف «مايشبه إيثريدج» في الجهة المقابلة من الطريق، على الرصيف عند حافة الساحة، ناظرًا إليهما من أسفل.

صرخ جاك نحوه «ابتعد من هنا!»

ثم انبثقت في ذهنه ومضة خاطفة، كوميض شمسٍ مفاجئ..

تردّد لحظة، ثم صرخ بكل ما في صوته من قوة

"آمركم بالرحيل! جميعكم! آمركم أن تغادروا باسم أمي... الملكة!"

ارتعش «ما يشبه إيثريدج» كأن سوطًا قد صفع وجهه.

لكن الذهول لم يلبث أن تلاشى، وحلّ محله ابتسامٌ متعاظم.

صرخ بصوتٍ قاسٍ

"لقد ماتت يا سويرا!"

غير أنّ عيني جاك، وقد صقلهما الطريق، التقطتا خلف النبرة المنتصرة ارتعاشة قلق خفيّة.

تابع الشيء..

"الملكة لورا ماتت... وأمّك ماتت هي الأخرى... ماتت في نيوهامبشير... ماتت وتنبعث منها رائحة العفن."

زمجر جاك من جديد «انصرف!»

وظنّ للحظة أن ذلك الشيء ارتدّ للخلف في حنقٍ مشوش، كمن لا يفهم ما يُواجَهه.

انضم ريتشارد إليه عند النافذة، شاحبًا، مضطرب النظرات.

سأل بصوتٍ متحشرج

"عمّاذا كنتما تصرخان؟"

ثم حملق في ذاك المسخ الواقف أسفل النافذة عبر الطريق، وقال

"كيف عرف إيثريدج أنّ أمك في نيوهامبشير؟"

صرخ «ما يشبه إيثريدج» من جديد

"سلوت! أين ربطة عنقك؟"

وفجأة اعتلت وجه ريتشارد ملامح المذنب، فاندفعت يداه نحو ياقة قميصه المفتوحة.

تابع الشيء وهو يصيح

"سنتجاوز ما فعلت هذه المرّة... إن سلّمتَ إلينا ضيفك يا سلوت! إن أرسلته، ستعود الأمور كما كانت! أليس هذا ما تريده؟"

كان ريتشارد يحدّق إلى الأسفل، يهز رأسه دون وعي...

تعتلي وجهه غلالةٌ من الأسى المعقود، تتلألأ عيناه بدموعٍ محتبسة...

لقد أراد، أن يعود كل شيء كما كان، بكل ما أوتي من ضعف...

صاح «ما يشبه إيثريدج» نحو نافذة ألبرت

"ألا تحب هذه المدرسة يا سلوت؟"

تمتم ريتشارد وهو يكتم شهقة

"بلى... بالطبع أحبها."

تابع الشيء بغلظة

"أتعلم ما نصنعه بالصغار الذين لا يحبّون المدرسة؟ سلّمه

لنا! سنجعله كأن لم يكن موجودًا أصلًا!"

التفت ريتشارد ببطء نحو جاك، وعيناه فارغتان، غارقتان في الذعر.

قال جاك بصوتٍ خافت

"القرار قرارك يا ريتشي."

ارتفع صوت «ما يشبه إيثريدج» مجددًا

"إنه يحمل مخدّرات يا ريتشارد! أربع أو خمس أنواع! كوكايين... حشيش... تراب الملائكة! كان يبيع كل ذلك ليموّل رحلته غربًا! أتذكر المعطف الأنيق الذي كان يرتديه حين جاء إلى منزلك؟ إنه من أرباح المخدرات!"

قال ريتشارد، وقد انفرج صدره بزفرة ارتياحٍ مرتجفة

"مخدّرات... كنت أعلم."

قال جاك بحزم

"لكنّك لا تصدّق ذلك.. المخدرات لم تغيّر مدرستك يا ريتشارد.. والكلاب"

غير أن صوت «ما يشبه إيثريدج» بدأ يخفت

"أرسِله يا سلو..."

ثم خبا تمامًا.

حين أطلّا إلى الأسفل مرة أخرى... كان المكان خاليًا!

سأل جاك بصوتٍ يغلبه الانكسار

"فكّر يا ريتشارد... إلى أين ذهب والدك؟ أين مضى حين لم يخرج من الخزانة؟"

التفت ريتشارد إليه ببطء.

ووجهه الذي كان دائمًا رصينًا، ذكيًا، وهادئًا بدأ يتفكك، كأن شقوقًا تتسلل عبر ملامحه..

اضطرب صدره في شهقات متقطعة..

ثم انهار فجأة بين ذراعي جاك، متشبثًا به في فزعٍ أعمى، محموم، مضطرب..

صرخ وهو يتلعثم بعجزٍ خانق..

"لَـمَسَنِي! لقد لَمَسَنِي! ذلك الشيء... في الداخل... لقد لَـمَسَنِي ولا أعلم... لا أعلم ما كان!"

كان جسده يرتجف تحت يدي جاك ككابلٍ مشدود يوشك أن ينقطع..

صاح في وجهه، وقد تمزقت كلماته تحت وطأة الهلع

"لقد لَـمَسَنِي... ولا أعرف ماهيّته!"

2

سعل ريتشارد الحكاية التي احتفظ بها في داخله طوال هذه السنوات، وهو يضغط بجبهته الملتهبة على كتف جاك... انسابت على شكل شظايا صغيرة، صلبة، كالرصاص المشوه.

وبينما كان جاك يستمع، وجد نفسه يتذكر الوقت الذي دخل فيه والده المرآب... ثم عاد بعد ساعتين، من حول الحي.

لقد كان ذلك سيئًا، لكن ما حدث لريتشارد كان أسوأ بكثير..

هذا ما فسّر إصرار ريتشارد الحديدي، دون أي تنازل، على الواقع... الواقع كله، لا شيء سوى الواقع..

فسّر رفضه لأي شكل من أشكال الخيال، حتى الخيال العلمي...

وعرف جاك من تجربته في المدرسة أنّ من أمثال ريتشارد، عادة ما كانوا يلتهمون الخيال العلمي... طالما كان متماسكًا، مثل كتب روبرت هاينلاين، إسحاق أسيموف، آرثر سي. كلارك، ولاري نيفن... مع استثناء هراء روبرت سيلفربيرغ وباري مالزبرغ، رجاءً، لكنهم يقرؤون كل التفاصيل الدقيقة، كل المربعات النجمية واللوغاريتمات حتى تكاد تفيض من أذانهم.

لكن ريتشارد لم يكن كذلك..

كره الخيال عنده كان عميقًا إلى درجة أنه لم يكن يلتقط أي

رواية ما لم تكن واجبًا دراسيًا.

كطفل، كان يسمح لجاك باختيار الكتب التي يقرأها لتقارير القراءة الحرة، دون أن يهتم بما هي، يبتلعها كما يبلع الحبوب.

أصبح التحدي عند جاك أن يجد قصة.. أي قصة.. تسعد ريتشارد، تلهيه، تأخذه بعيدًا كما تأخذه الروايات الجيدة أحيانًا...

الجيدة، التي كادت ان تضاهي أحلام اليقظة، وكل واحدة رسمت نسختها الخاصة من الأراضي...

لكن لم يستطع أبدًا أن يثير بداخله أي ومضة، أي شرارة، أي رد فعل على الإطلاق...

سواء كانت المهر الأحمر، شيطان مضمار السباق، الحارس في حقل الشوفان، أو أنا أسطورة، كان رد الفعل دائمًا نفسه... تجهم، تركيز بارد، يعقبه تقرير كتاب متجهم وبارد العيون، ينال إما ركلة أو، إذا كان مدرس اللغة الإنجليزية كريمًا بشكل خاص ذلك اليوم، علامة B- فقط.

كانت علامات ريتشارد المتدنية في الإنجليزية هي السبب في بقائه خارج قائمة الشرف في الفصول الدراسية التي أهملها.

أنهى جاك قراءة سيد الذباب لويليام غولدينغ، شاعرًا بحرارة وبرودة، تماهيا في جسده كله... متحمسًا وخائفًا في الوقت ذاته، متمنيًا، كعادته دومًا أمام أفضل القصص، ألا

تتوقف، أن تستمر إلى الأبد، كما تفعل الحياة (إلا أن الحياة كانت دائمًا أكثر مللًا وسخافة من القصص).

عرف أن ريتشارد لديه تقرير قراءة مستحق، فأعطاه النسخة الورقية ذات الغلاف المرن، معتقدًا أن هذه بالتأكيد ستفلح، ستنجح، ريتشارد لابد أن يتفاعل مع قصة هؤلاء الأولاد الضائعين وانحدارهم إلى الهمجية.

لكن ريتشارد تقدم ببطء في قراءة سيد الذباب كما فعل مع كل الروايات السابقة، وكتب تقرير قراءة آخر، احتوى على كل حماسة ونار طبيب شرعي استعبده الصداع بعد تشريح ضحية حادث مروري!

انفجر جاك قائلاً، بغضب

"ما خطبك؟! ما الذي تملكه ضد قصة جيدة، ريتشارد؟!"

نظر إليه ريتشارد بدهشة، يبدو فعلاً أنه لا يفهم سر غضب جاك.

قال ريتشارد «حسنًا، لا يوجد شيء اسمه قصة جيدة مُختلَقة، أليس كذلك؟»

ذهب جاك بعيدًا ذلك اليوم، محتارًا بشدة من رفض ريتشارد الكامل للخيال، لكنه شعر أنه يفهم الآن أفضل... ربما أفضل مما أراد فعلاً أن يفهم.

ربما بدا لكل قصة مصورة يفتحها ريتشارد وكأنها باب خزانة مفتوح؛

وربما كل غلاف كتاب ملون، يصوّر أشخاصًا لم يكونوا موجودين كما لو كانوا حقيقيين تمامًا، ذكّره بالصباح الذي قال فيه كفى... إلى الأبد...

3

رأى ريتشارد والده يدخل الخزانة في غرفة النوم الكبيرة الأمامية، ويغلق الباب القابل للطي خلفه.

كان عمره خمس سنوات، ربما... أو ست سنوات... بالتأكيد ليس سبع سنوات.

انتظر خمس دقائق، ثم عشر دقائق، وعندما لم يخرج والده من الخزانة انتابه بعض الخوف...

نادى.. نادى..

(أنبوب التدخين، والوعاء، وعلى أبيه...)

وعندما لم يرد والده، رفع صوته أكثر فأكثر، واقترب أكثر فأكثر من الخزانة وهو ينادي، وأخيرًا، بعد مرور خمس عشرة دقيقة وما زال والده لم يخرج، دفع ريتشارد الباب القابل للطي ودخل...

دخل إلى ظلام يشبه الكهف.

وحدث شيء.

بعد أن دفع نفسه عبر أنسجة معاطف والده الصوفية الخشنة، والقطنيات الناعمة، وأحيانًا الحرير الأملس لبدلاته ومعاطفه الرياضية، بدأت رائحة القماش وكرات العث وهواء الخزانة المغلقة يفسح المجال لرائحة أخرى.. رائحة حارة، نارية.

وريتشارد يتقدم متخبطًا، صارخًا باسم والده، مفكرًا أن هناك حريقًا في الداخل وأن والده قد يحترق فيه، لأنها رائحة النار... وفجأة أدرك أن الألواح تحت قدميه اختفت، وأنه يقف على تراب أسود.

حشرات سوداء غريبة، لها أعين متجمعة على أطراف أعمدة طويلة، تقفز حول حذائه المشعّر.

"بابا!" صرخ..

المعاطف والبدلات اختفت، الأرضية اختفت، لكن ما تحت قدميه ليس ثلجًا أبيض نقي؛ إنه تراب أسود نتن يبدو أنه موطن ولادة لهذه الحشرات السوداء المتقافزة، المزعجة؛ هذا المكان، بأي شكل من الأشكال، ليس نارنيا...

بادلت صرخة ريتشارد صرخات أخرى.. صرخات وضحكات مجنونة، مشوهة.

التف الدخان حوله على هيئة نسيم مظلم بليد، وتراجع ريتشارد، متعثرًا في طريقه للخلف، ويداه ممدودتان أمامه كالكفيف، يتلمس بشكل محموم المعاطف، يستنشق رائحة العث الحادة...

وفجأة، انزلقت يد حول معصمه.

"بابا؟" سأل، لكن عندما نظر إلى أسفل، لم يرَ يدًا بشرية، بل شيء أخضر متقشر مغطى بممصات تتلوى، شيء أخضر مرتبط بذراع مطاطية طويلة تمتد في الظلام نحو زوج

من العيون الصفراء المائلة إلى الأعلى التي تحدّق به بجوع سافر...

صرخ، وانفلت من القبضة، مندفعًا بعمى إلى الظلام...

وبينما تلمست أصابعه معاطف وبدلات والده مرة أخرى، سمع الصوت المبارك والمعقول لمعلقات المعاطف، تسللت اليد الخضراء المملوءة بالممصات مجددًا عبر عنقه... ثم اختفت.

انتظر، مرتعشًا، شاحبًا مثل رماد قديم في موقد بارد، ثلاث ساعات خارج تلك الخزانة الملعونة، خائفًا من العودة، خائفًا من اليد الخضراء والعيون الصفراء، مؤكدًا أكثر فأكثر أن والده لابد وأنه ميت.

وعندما عاد والده إلى الغرفة قرب نهاية الساعة الرابعة، ليس من الخزانة، بل من الباب الذي يربط بين غرفة النوم والممر العلوي.. الباب خلف ريتشارد.. حينها، رفض ريتشارد الخيال إلى الأبد؛

رفض ريتشارد التعامل مع الخيال، أو مساومته، أو التفاوض معه.. لقد اكتفى، بكل بساطة... إلى الأبد.

قفز، ركض نحو والده، نحو مورغان سلوت المحبوب، وعانقه بشدة لدرجة أن ذراعيه آلمتاه طوال ذلك الأسبوع..

رفع مورغان ريتشارد، ضحك، وسأله عن سبب شحوبه.

ابتسم ريتشارد، وقال إنه ربما شيء تناوله على الإفطار، لكنه يشعر بتحسن الآن، وقبّل وجنة والده، وشم رائحة عرقه

المحبة مع عطر راج المفضل.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، جمع كل كتبه المصورة، كتب ليتل جولدن بوكس، وكتب بوب-أب، وكتب أنا أستطيع القراءة، وكتب الدكتور سوس، وكتاب الجنيات الخضراء للأطفال، ووضعها في صندوق، وأودع الصندوق في القبو، مفكرًا

"لا أبالي لو وقع زلزال الآن وفتح شقًا في الأرض وابتلع كل تلك الكتب.. في الحقيقة، ستكون تلك راحة كبيرة.. في الحقيقة، سأرتاح لدرجة أنني ربما سأضحك لبقية اليوم وفي معظم عطلة نهاية الأسبوع."

لم يحدث ذلك، لكن ريتشارد شعر براحة عظيمة عندما أغلقت الكتب في الظلام المزدوج.. ظلام الصندوق وظلام القبو.

لم ينظر إليها مرة أخرى، تمامًا كما لم يعد إلى خزانة والده ذات الباب القابل للطي، ورغم أنه أحيانًا حلم بأن هناك شيئًا تحت سريره أو في خزانته، شيء له عيون صفراء مسطحة، لم يفكر مرة أخرى في تلك اليد الخضراء المملوءة بالممصات حتى جاء الوقت الغريب في مدرسة ثاير، واندفقت دموعه غير المعتادة في حضن صديقه جاك سوير.

بعدما ظن أنه اكتفى... إلى الأبد.

4

آمل جاك أنه بعد أن روي قصته وحرر دموعه، سيعود ريتشارد إلى حد كبير لحالته الطبيعية، العقلانية الحادة.

لم يكن يهم جاك حقًا إن اقتنع ريتشارد بكل ما حدث أم لا؛ المهم أن يتمكن ريتشارد من التوافق مع حافة هذا الجنون، حتى يتمكن من توجيه عقله القوي لمساعدة جاك في إيجاد مخرج... مخرج من حرم ثاير على الأقل، ومن حياته قبل أن يفقد ريتشارد السيطرة تمامًا.

لكن الأمور لم تسر على هذا النحو..

عندما حاول جاك التحدث إليه، أن يخبره عن المرة التي دخل فيها والده، فيل، المرآب ولم يخرج رفض ريتشارد الاستماع.

لقد انكشف السر القديم لما حدث في ذلك اليوم في الخزانة (نوعًا ما؛ ريتشارد ما زال متمسكًا بعناد بفكرة أنه محض هلوسة)، وقد اكتفى، بكل بساطة... إلى الأبد.

في صباح اليوم التالي، نزل جاك إلى الأسفل.

جمع كل أغراضه، بالإضافة إلى الأشياء التي اعتقد أن ريتشارد قد يحتاجها فرشاة الأسنان، الكتب المدرسية، دفاتر الملاحظات، وملابس نظيفة للتغيير.

قرروا أن يقضوا ذلك اليوم في غرفة ألبرت "الضخم".

من هناك، يمكنهم مراقبة الساحة والبوابة.

وعندما يحل الليل مجددًا، ربما يستطيعون الفرار.

5

فتش جاك في مكتب ألبرت ووجد زجاجة أسبرين للأطفال.

نظر إليها للحظة، متأملاً، وفكر بأن هذه الحبوب البرتقالية الصغيرة تقول تقريبًا ما قالته أم ألبرت الحنونة الغائبة عن ابنها، تمامًا كما فعل صندوق أعواد العرقسوس على رف الخزانة.

هز جاك نصف دستة من الحبوب وأعطاها لريتشارد، الذي أخذها بلا مبالاة.

قال جاك «تعال واستلقِ هنا.»

أجاب ريتشارد «لا.» وكان صوته متضايقًا، متململًا، وتعيسًا للغاية...

عاد إلى النافذة وقال «من واجبي أن أراقب... حتى يمكن إعداد تقرير كامل لـ... لـ... لمجلس الأمناء... لاحقًا.»

لمس جاك جبين ريتشارد بخفة، وعلى الرغم من أنه كان باردًا... أو شبه بارد... قال «ساءت الحمى يا ريتشارد.. من الأفضل أن تستلقي حتى يبدأ تأثير الأسبرين.»

نظر إليه ريتشارد بامتنان أليم «ساءت؟ حقًا؟»

قال جاك بجدية «نعم، حقًا.. تعال واستلقِ.»

نام ريتشارد بعد خمس دقائق فقط من استلقائه،

جلس جاك على كرسي ألبرت «الضخم»، وكان المقعد تقريبًا بنفس نعومة مرتبة ألبرت.

ولمع وجه ريتشارد الشاحب الشمعي في ضوء النهار الحاد.

6

مرّ اليوم بشكل أو بآخر، وفي حوالي الساعة الرابعة، غفى جاك..

استفاق في الظلام، دون أن يعرف كم مضى من الوقت على نومه.

عرف فقط أنه لم يأتِه أي حلم، وامتن لذلك...

تقلب ريتشارد بتململ، وخمن جاك أنه سيستيقظ قريبًا.

وقف وتمدد، متألمًا من تيبس ظهره.

توجه إلى النافذة، وأطلّ، واقفًا بلا حراك، وعيناه مفتوحتان على مصراعيهما.

أول فكرة خطرت له.. لا أريد أن يرى ريتشارد هذا.. ليس إذا استطعت منعه.

يا إلهي، علينا أن نهرب من هنا، بأسرع ما يمكن، فكر جاك بخوف..

حتى لو كانوا، لأي سبب كان، خائفين من مواجهتنا مباشرة.

لكن هل كان فعلاً سيأخذ ريتشارد بعيدًا عن هنا؟

هم لم يعتقدوا أنه سيفعل ذلك، وأدرك هو ذلك... فقد اعتمدوا على رفضه تعريض صديقه لمزيد من هذا الجنون.

عليك تغيير مجريات الأحداث، جاكي، وأنت تعلم ذلك..

وعليك أن تأخذ ريتشارد معك لأن هذا المكان ذاهب إلى الجحيم.

لا أستطيع.. الانتقال للأراضي سيشوش عقل ريتشارد تمامًا.

لا يهم.. عليك أن تفعلها.. هذا أفضل حل، وربما الحل الوحيد... لأنهم لن يتوقعوه.

"جاك؟" جلس ريتشارد، وبدا وجهه غريبًا، دون نظارته.

"جاك، هل انتهى الأمر؟ هل كان حلمًا؟"

جلس جاك على السرير ووضع ذراعًا حول كتفي ريتشارد.

قائلاً بصوت منخفض وهادئ «لا، لم ينتهِ بعد، ريتشارد.»

أعلن ريتشارد وهو يبتعد عن جاك «أعتقد أن حمّتي أسوأ.»

توجه نحو النافذة، وأمسك أحد أقواس نظارته بين الإبهام والسبابة في يده اليمنى بدقة،

ارتدى نظارته وألقى نظرة على الخارج...

كانت أشكال بعينين متوهجتين تتجول جيئة وذهابًا...

وقف هناك فترة طويلة، ثم فعل شيئًا لم يكن من طباع ريتشارد، حتى كاد جاك لا يصدقه.

خلع نظارته مرة أخرى وأوقعها عن قصد على الأرض.

سمع صوت تشقق بارد صغير عندما انكسرت أحد العدستين.

ثم خطى عليها عامدًا، فاستحالت كلتا العدستين إلى مسحوق.

رفعهما، نظر إليهما، ثم ألقاهما بلا مبالاة نحو سلة مهملات ألبرت «الضخم».

أخطأ الهدف بفارق واسع..

ظهر على وجه ريتشارد الآن شيء صامد وهادئ... شيء يقول «لا أريد أن أرى المزيد، لذا لن أرى المزيد، وقد حللت المشكلة. لقد اكتفيت... إلى الأبد.»

ردد بصوت هادئ، خالٍ من المفاجأة «انظر إلى هذا، كُسرت نظارتي.. كان لدي زوج آخر، لكنني كسرتها في حصة الرياضة منذ أسبوعين.. أنا شبه أعمى بدونها.»

عرف جاك أن هذا لم يكن صحيحًا، لكنه كان مذهولًا جدًا ليقول أي شيء..

لم يستطع التفكير في أي رد مناسب على هذا الحل الجذري الذي لجأ إليه ريتشارد... لقد كان أشبه بمحاولة محسوبة أخيرة لمواجهة الجنون.

قال ريتشارد «أعتقد أن حمّتي أسوأ أيضًا.. هل لديك المزيد من تلك الأسبرينات، جاك؟»

فتح جاك درج المكتب وسلّم لريتشارد الزجاجة بلا كلام...

ابتلع ريتشارد ست أو ثماني حبات، ثم استلقى مرة أخرى.

7

وغل الليل وريتشارد الذي وعده مرارًا بمناقشة وضعهما خذله مرة بعد أخرى...

بحجة إنه لا يستطيع التحدث في مسألة المغادرة، ولا أي شيء من هذا، ليس الآن؛ فقد عاودته الحُمّى وشعر بأنها أسوأ بكثير، وظن أن حرارته قد تصل إلى مئة وخمسة، وربما مئة وستة.

قال إنه بحاجة للعودة إلى النوم...

"ريتشارد، بحق المسيح!" صرخ جاك.. "أنت تتخلى عني! من بين كل الأمور التي لم أتوقعها منك..."

"لا تكن سخيفًا،" قال ريتشارد وهو يستلقي مجددًا على سرير ألبرت..

"أنا فقط مريض، جاك، لا يمكنك أن تتوقع مني أن أتحدث عن كل تلك الأشياء المجنونة وأنا مريض."

"ريتشارد، هل تريد أن أرحل وأتركك وحدك؟"

التفت ريتشارد ببطء نحو جاك، ورمش بعينيه ببطء.

"لن تفعل،" قالها، ثم عاد للنوم.

8

في حوالي التاسعة، اجتاحت الحرم الجامعي واحدة من نوبات السكون الغامضة، وربما شعر ريتشارد أن الضغوط على عقله المترنح ستكون أقل الآن، فاستيقظ وتدلّت ساقيه من على السرير، ظهرت بقع بنية على الجدران، حدّق فيها حتى رأى جاك يقترب نحوه.

"أشعر بتحسن كبير، جاك،" قال مسرعًا، "لكن الحديث عن المغادرة لن يفيدنا شيئًا، فالظلام دامس، و..."

"علينا أن نغادر الليلة،" قالها جاك بجدية.. "كل ما عليهم فعله هو الانتظار حتى نستسلم.. هناك فطر ينمو على الجدران، ولا تقل لي إنك لا ترى ذلك."

ابتسم ريتشارد ابتسامة تحمل التسامح الأعمى، وهو ما كاد أن يدفع جاك إلى الجنون.. لقد أحب جاك ريتشارد، لكن قد يسمح لنفسه أن يدفعه بقوة إلى أقرب جدار متعفن بالفطر.

وفي تلك اللحظة بالذات، بدأت حشرات بيضاء طويلة وسمينة تتلوّى لتدخل إلى غرفة ألبرت «الضخم». خرجت من البقع البنية الفطرية على الجدار كما لو أن الفطر كان، بطريقة غير معروفة، يلدها.. التوت وتلوّت نصفها داخل البقع ونصفها خارجها، ثم سقطت على الأرض وبدأت تتحرك عشوائيًا نحو السرير.

بدأ جاك يتساءل إن كان بصر ريتشارد أسوأ بكثير مما يذكر،

أو إن كان قد تدهور منذ آخر مرة رآه فيها.. لكنه أدرك الآن أنه كان على حق منذ البداية.. ريتشارد يرى جيدًا جدًا، لم يجد أي صعوبة في التقاط تلك الكائنات الهلامية الخارجة من الجدران على أي حال.. صارخًا، موجهًا وجهه المذعور إلى جاك، قائلاً

"حشرات، جاك! يا إلهي! حشرات! حشرات!"

"سنكون بخير، أليس كذلك، ريتشارد؟" قال جاك، ممسكاً به بقوة لم يكن يعرف أنه يمتلكها.. "سننتظر الصباح فقط، صحيح؟ لا مشكلة، أليس كذلك؟"

كانت الحشرات تتلوّى بالعشرات، بالمئات، كائنات سمينة بيضاء شمعية مثل دود متضخم.. بعض منها انفجر عند اصطدامه بالأرض، والباقي زحف ببطء قاطعًا الأرض نحوهما.

"حشرات، يا إلهي، علينا الخروج، علينا..."

"الحمد لله، أدرك الطفل أخيرًا الحقيقة،" قال جاك، ألقى حقيبته على ذراعه الأيسر وأمسك بمرفق ريتشارد بيده اليمنى، سرعان ما اقتاد جاك ريتشارد إلى الباب، سحقوا الحشرات البيضاء المندفعة تحت أقدامهم، وها هو فيض منها يتدفق من البقع البنية؛ ولادة جماعية مشينة متواصلة تجري في جميع أنحاء غرفة ألبرت.. انحدرت مجموعة من الحشرات البيضاء من بقعة على السقف ووقعت، متلوّية، على

شعر جاك وكتفيه؛ فقذف بها بعيدًا قدر استطاعته وسحب ريتشارد الصارخ والمقاوم خارج الباب.

أعتقد أننا في طريقنا للخروج، فكر جاك.. يا رب أعنا، أعتقد حقًا أننا كذلك...

9

عادا لغرفة الجلوس المشتركة مرة أخرى، تبيّن أن ريتشارد، حتى أكثر من جاك، لم يكن يعرف كيف يهرب من حرم ثاير.. وقد علم جاك شيئًا واحدًا بشكل جيد أنه لن يثق بذلك الهدوء المخادع ولن يخرج من أي من أبواب الدخول في منزل نيلسون..

ألقى جاك نظرة حادة إلى اليسار عبر نافذة الغرفة المشتركة الواسعة، فرأى مبنى طوب منخفض الشكل، ثماني الأضلاع.

"ما هذا، ريتشارد؟"

"ها؟" كان ريتشارد يحدق في الطين اللزج الذي يتدفق ببطء فوق الساحة المبتلة بالمطر.

"مبنى طوبي صغير، بالكاد يمكنك رؤيته من هنا."

"آه... المخزن."

"ما معنى 'المخزن'؟"

"الاسم نفسه لم يعد يعني شيئًا الآن،" قال ريتشارد، لا يزال ينظر بقلق إلى الساحة المليئة بالطين.. "مثل مستشفى لنا، يُسمى 'كريمري' لأنه كان هناك في السابق حظيرة ألبان ومصنع لتعبئة الحليب، حتى حوالي عام 1910.. إنه تقليد مهم جدًا جاك، أحد الأسباب التي أحببت ثاير من أجلها."

نظر ريتشارد بحزن إلى الحرم الجامعي الموحل مرة أخرى.

"أحد الأسباب المحببة لي، على أي حال."

"كريمري، حسنًا، ولماذا يُسمى المخزن؟"

بدأ ريتشارد يشعر بالحنين تجاه فكرتي ثاير والتقاليد.

"كانت كل هذه المنطقة من سبرينغفيلد مركزًا للسكك الحديدية،" قال.. "في الواقع، في الأيام القديمة..."

"أي أيام قديمة نتحدث عنها، ريتشارد؟"

"آه... ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر. ترى..."

توقف ريتشارد عن الكلام، ودار بعيناه حول الغرفة المشتركة باحثًا عن المزيد من الحشرات، افترض جاك.. لم يعد هناك أي منها... على الأقل ليس بعد.. لكنه رأى بالفعل بعض البقع البنية تبدأ بالتشكل على الجدران.. الحشرات لم تكن هنا بعد، لكنها ستأتي لاحقًا.

"هيا، ريتشارد،" حثّه جاك.. "لم يكن أحد يحتاج لتحفيزك بالحديث عن الماضي."

ابتسم ريتشارد قليلًا وعادت عيناه إلى جاك.. «كانت سبرينغفيلد واحدة من أكبر ثلاث أو أربع مراكز للسكك الحديدية الأمريكية خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.. ذات موقعها جغرافيًا مناسبًا لجميع الجهات.»

رفع يده اليمنى نحو وجهه، وحرك إصبعه لرفع نظارته على أنفه بطريقة علمية، ثم أدرك أنها لم تعد موجودة،

فأنزل يده، متلعثمًا بعض الشيء. «كانت هناك طرق رئيسية للسكك الحديدية تغادر سبرينغفيلد إلى كل مكان، توجد هذه المدرسة لأن أندرو ثاير رأى الإمكانيات، جمع ثروة من شحن البضائع بالسكك الحديدية، معظمها إلى الساحل الغربي، وهو أول من رأى الإمكانية في الشحن نحو الغرب وكذلك الشرق.»

أضاء ضوء فجأة في ذهن جاك، مُغشيًا كل أفكاره بتوهّج صارخ.

"الساحل الغربي؟" اضطربت معدته.. لم يستطع بعد تحديد الشكل الجديد الذي أظهره له ذلك الضوء، لكن الكلمة التي قفزت إلى ذهنه كانت واضحة وحارقة: تعويذة!

"الساحل الغربي، هل قلت ذلك؟"

"بالطبع قلت." نظر ريتشارد إلى جاك بغرابة.. "جاك، هل أصبت بالعمى؟"

"لا،" قال جاك.. "سبرينغفيلد كانت واحدة من أكبر ثلاث أو أربع مراكز للسكك الحديدية الأمريكية... لا، أنا بخير."

كان هو، كما يمكن القول، أول من رأى الإمكانية في شحن البضائع بالسكك الحديدية إلى المعاقل.

عرف جاك يقينًا تامًا أن سبرينغفيلد ما زالت نقطة ضغط من نوع ما، ربما ما زالت نقطة شحن.. وربما هذا هو السبب في أن سحر مورغان يعمل هنا بشكل جيد جدًا.

"كانت هناك أكوام الفحم وساحات التحويل ودوائر

القطارات وأكشاك العربات وحوالي مليار ميل من القضبان والممرات،" قال ريتشارد.. "غطت كل هذه المنطقة التي تقع عليها الآن مدرسة ثاير، إذا حفرت عدة أقدام تحت هذا العشب في أي مكان، ستجد فحمًا وبقايا سكك حديدية وكل أنواع الأشياء، لكن كل ما بقى الآن هو ذلك المبنى الصغير.. المخزن.. بالطبع لم يكن أبدًا مخزنًا حقيقيًا؛ إنه صغير جدًا، يمكن لأي أحد أن يرى ذلك.. كان المكتب الرئيسي لساحة القطارات، حيث يقوم مشرف المحطة ومدير السكة بأعمالهما الخاصة.»

"أنت تعرف الكثير عنه،" قال جاك تقريبًا دون وعي، وعقله لا يزال مشحوذًا بذلك الضوء البري الجديد.

"إنه جزء من تقاليد ثاير،" قال ريتشارد ببساطة.

"فيما يستخدم الآن؟"

"هناك مسرح صغير بداخله، يُستخدم لعروض نادي الدراما، لكن نادي الدراما لم يكن نشطًا كثيرًا في العامين الماضيين."

"هل تعتقد أنه مقفل؟"

"لماذا يقفل أحد المخزن؟" سأل ريتشارد.. "إلا إذا كنت تعتقد أن أحدًا سيهتم بسرقة بعض المعدات من عرض 1979 لفرقة الفانتاستيكس."

"إذن يمكننا الدخول؟"

"أعتقد ذلك، نعم.. لكن لماذا..."

أشار جاك إلى باب خلف طاولات البينغ بونغ، «ما خلفه؟»

"آلات البيع، ومايكروويف بالقطع المعدنية لتسخين المأكولات والوجبات المجمدة.. جاك..."

"هيا."

"جاك، أعتقد أن الحمى تعود مرة أخرى.." ابتسم ريتشارد بضعف.. "ربما يجب أن نبقى هنا لبعض الوقت.. يمكننا النوم على الأرائك الليلة..."

"هل ترى تلك البقع البنية على الجدران؟" قال جاك بجدية، مشيرًا إليها.

"لا، ليس بدون نظارتي، بالطبع لا!"

"حسنًا، إنها هناك... وخلال ساعة تقريبًا، ستفقس تلك الحشرات البيضاء من..."

"حسنًا،" قال ريتشارد مسرعًا.

10

انبعثت من آلات البيع رائحة نتنة.

بدت لجاك وكأن كل ما بداخلها قد فسد.. غطى العفن الأزرق البسكويت بالجبن، وشرائح دوريتوس وجاكس، وحتى رقائق لحم الخنزير المقلية. وتسربت تيارات بطيئة من الآيس كريم المذاب من واجهة آلة مخروط الآيس كريم.

سحب جاك ريتشارد نحو النافذة، نظر إلى الخارج.. من هنا استطاع جاك أن يرى ‹المشفى› بوضوح.. وخلفه، استطاع رؤية السياج المتسلسل وطريق الخدمة الذي يؤدي إلى خارج الحرم الجامعي.

همس جاك إلى ريتشارد «سنخرج خلال ثوانٍ.» ثم فتح النافذة وجذبها إلى الأعلى.

"هذه المدرسة موجودة لأن أندرو ثاير رأى الإمكانيات... هل ترى الإمكانيات، جاكي؟"

فكر جاك أنه ربما رأى.

سأل ريتشارد بتوتر «هل هناك أي من هؤلاء الناس في الخارج؟»

قال جاك، ملقيًا نظرة سريعة جدًا «لا.» لم يكن يهمه حقًا إن كان هناك أحد أم لا بعد الآن.

"أحد أكبر ثلاثة أو أربعة مراكز شحن بالسكك الحديدية

في أمريكا... ثروة في شحن السكك... معظمها إلى الساحل الغربي... كان أول من رأى الإمكانية في الشحن غربًا... غرب... غرب..."

تسللت رائحة كثيفة من الطين المتعفن وروائح القمامة إلى النافذة.

رفع جاك ساقه على حافة النافذة وأمسك بيد ريتشارد «هيا.»

تراجع ريتشارد، وامتلأ وجهه بالخوف المرير والموجع «جاك... لا أعرف...»

قال جاك «المكان ينهار، وقريبًا سيكون مليئًا بالحشرات أيضًا.. الآن هيا.. قبل أن يدرك أحدهم أنني جالس هنا في النافذة، ونخسر فرصتنا لنخرج من هنا كفئران.»

صرخ ريتشارد «لا أفهم أي شيء من هذا! لا أفهم ما الذي يحدث بحق الجحيم هنا!»

قال جاك «اصمت وتعال.. وإلا سأتركك، ريتشارد.. أقسم بالله سأفعل.. أحبك، لكن أمي تحتضر.. سأتركك لتدبر أمرك بنفسك.»

نظر ريتشارد إلى وجه جاك، ورأى.. حتى بدون نظارته.. أن جاك يقول الحقيقة.. أمسك بيد جاك وهمس «يا إلهي، أنا خائف.»

قال جاك «انضم إلى النادي.» ودفعه للأمام.. ضربت أقدامه

العشب الموحل، بعد ثانية.. قفز ريتشارد بجانبه.

همس جاك «سنقطع الطريق إلى المشفى، أقدّر المسافة بخمسين ياردة تقريبًا.. سندخل إذا كان الباب مفتوحًا، أو نحاول التواري قدر استطاعتنا على جانب نلسون هاوس إن لم نستطع الدخول، وبمجرد أن نتأكد أنه لم يرنا أحد وأن المكان لا يزال هادئًا...»

قال ريتشارد «نذهب إلى السياج.»

قال جاك «صحيح.» أو ربما سيتعين علينا القفز، لكن لا يهم الآن.. «طريق الخدمة.. لدي فكرة: إذا استطعنا الخروج من أراضي ثاير، سيكون كل شيء على ما يرام مرة أخرى. بمجرد أن نقطع ربع ميل على الطريق، قد تنظر إلى الوراء وترى الأضواء في السكن والمكتبة قد عادت كما هي، ريتشارد.»

قال ريتشارد بلهفة مؤلمة «سيكون ذلك رائعًا.»

تمتم جاك «حسنًا، هل أنت مستعد؟»

رد ريتشارد «أعتقد ذلك.»

قال جاك «اركض إلى المشفى، التزم الجدار على جانب المنخفض، حتى تحجبك الشجيرات.. هل تراها؟»

أجاب ريتشارد «نعم.»

قال جاك «حسنًا... انطلق!»

انطلقا من نلسون هاوس وركضا نحو المشفى جنبًا إلى

جنب.

11

تصاعدت انفاسهما من أفواههما في بخار أبيض صافٍ ولم يكونا قد قطعا نصف الطريق بعد، وهوت أقدامهما على الأرض الموحلة، حين انطلقت أجراس المَصلّى فجأة في صرير كريه، طاحنٍ مُجلجل مزق السكون... وأجابتها جوقةٌ عاوية من الكلاب.

لقد عادوا... كل أولئك النُظّار المستذئبون.. تحسّس جاك يد ريتشارد، فوجد ريتشارد يتحسّسه بدوره.. تشابكت أيديهما.

صرخ ريتشارد، محاولًا جذبه بشدة نحو اليسار، وانطبقت يده على يد جاك حتى احتكّت عظام الأصابع ببعضها احتكاكًا شلّ حركة جاك.. ذئب أبيض نحيل، رئيس مجلس الذئاب، ظهر من خلف المستودع واندفع يعدو نحوهما.. «إنه ذلك العجوز المترجل من السيارة الفارهة»، فكّر جاك.. تبعته ذئاب وكلاب أخرى... ثم أدرك جاك، بيقين سقيم، أن بعض تلك الكائنات لم تكن كلابًا؛ بعضها كان فتيانًا في طور التحوّل... وبعضهم رجال ناضجون.. معلمون، على الأرجح!

صرخ ريتشارد «السيد دوفري!» ملوحًا بيده «يا للعجب، ترى جيدًا بالنسبة لمن فقد نظارته يا ريتشي-بوي،» فكّر جاك كمن أصابه مس من الجنون «السيد دوفري! يا إلهي، إنه السيد دوفري! السيد دوفري! السيد دوفري!»

وهكذا رأى جاك لأول مرة ولآخر مرة مدير مدرسة ثاير..

عجوز ضئيل الحجم، بشَعر رمادي، وأنف كبير معقوف، وجسد ذابل كثيف الشعر كقرد يحاذي صاحبه عازف الأرغن.. أخذ يجري بخفة على أربع مع الكلاب والفتيان، وتتمايل فوق رأسَه قبعةُ التخرّج بجنون من دون أن تسقط.. حدّق في جاك وريتشارد مبتسمًا، ولسانه الطويل الرخو، المصفرّ ببقع النيكوتين، قد تدلى من منتصف ابتسامته.

"السيد دوفري! يا إلهي! يا إلهي الرحيم! السيد دوفري! السيد دو..."

راح يشدّ جاك بقوة متزايدة نحو اليسار.. صحيح أن جاك كان أضخم، لكن ريتشارد كان ممسوسًا بذُعرٍ محض.. دوّت انفجارات في الهواء، وتكاثف ذلك الهواء الموبوء برائحة القمامة، سمع جاك الطرق اللزج لطينٍ يُعصر من جوف الأرض.. طوى الذئب الأبيض القائد المسافة بسرعة، وريتشارد يحاول جذبهما بعيدًا عنه، نحو السور.. وكان ذلك صحيحًا... ولكنه خطأ في ذات الوقت.. خطأ لأن المكان الذي ينبغي أن يصلا إليه لم يكن السور، بل المستودع.. هناك... هناك بالضبط.. لأن هذا المكان كان واحدًا من أكبر محطات السكك الحديدية في أميركا، ولأن أندرو ثاير كان أول من رأى إمكانات الشحن غربًا... لأنه رأى الإمكانات، والآن جاك ساوير يراها أيضًا... كل هذا حدسًا، لكنه آمن أن حدسه، في مثل هذه الأمور الكونية، هو الشيء الوحيد الجدير بالثقة...

"اترك مسافرك يا سلوت!" زمجر دوفري.. "اترك الراكب... إنه

أقيم من أن تستأسر به لنفسك!"

وما الراكب؟ تساءل جاك في اللحظات الأخيرة، فيما كان ريتشارد يشدّه بعمى ليغيّر مسارهما، وجاك يجرّه بالعكس، نحو قطيع الهجائن والفتيان والمعلمين الراكضين خلف الذئب الأبيض الكبير، نحو المستودع.. سأخبرك ما الراكب؛ الراكب هو الذي يمتطي... وأين يبدأ الامتطاء؟ يبدأ في محطة...

صرخ ريتشارد «جاك، سيعضّ!»

سبق الذئبُ السيدَ دوفري وقفز نحوهما، فاغرًا فكيه كفخٍّ محشوّ... ومن خلفهما صظر دويّ غليظ، مُقشعر، إذ انشقّ مبنى نلسون هاوس كشمّامةٍ عفنة.

والآن صار جاك هو من يضغط على عظام أصابع ريتشارد حتى يكاد يسحقها، ضاغطًا... بل أشدّ... وأشدّ حتى الغاية، فيما كانت الليلة تضجّ بالأجراس المجنونة، وتشتعل بقنابل البنزين، وتهتزّ بدوي المفرقعات.

صرخ جاك «تمسّك! تمسّك يا ريتشارد... ها نحن ذاهبون!»

وأتاحت له لحظة واحدة أن يفكر الآن انقلب السهم؛ الآن صار ريتشارد هو القطيع... هو راكبي.. ربي أعنّا.

ريتشارد، ما زال يصرخ «جاك، ماذا يحدث؟ ماذا تفعل؟ توقّف! توقّف! توقـــــــف...»

لكن جاك لم يعد يسمعه... إذ فجأة، وبظفرٍ مجيد، انشقّ ذلك الإحساس الدبيب بالكآبة كبيضة سوداء، وسرى بدماغه

النور... نور وهواء نقي طاهر؛ نَقِيٌ حتى إنك تشمّ رائحة الفجل إذا اقتلعه رجل من بستانه على بُعد نصف ميل.. وفجأة شعر جاك أنه قادر على أن يدفع الأرض تحت قدميه ويقفز عرض الساحة بأكملها... بل أن يطير، مثل أولئك الرجال الذين يشدّون الأجنحة على ظهورهم.

يا لذلك الضوء، ويا لذلك الهواء الصافي ها قد تبدلت تلك الرائحة القذرة النتنة، ويا لذلك الإحساس باجتياز فجوات من الظلام، وللحظةٍ بدا كل ما فيه نقيًا وممتلئًا إشراقًا؛ للحظةٍ استحال كل شيء لقوس قزح... قوس قزح... قوس قزح.

وهكذا انقلب جاك ساوير إلى الأراضي مجددًا، وهذه المرة أثناء ركضه في قلب حرَم ثاير المتداعي، عبر أصوات الأجراس المتكسرة ونباح الكلاب يملأ الهواء.

وهذه المرة... شدّ معه ريتشارد ابن مورغان شلوت.»

فاصل

شلوت في هذا العالم / أوريس في الأراضي (الجزء الثالث)

بعد الساعة السابعة صباحًا بقليل، في اليوم التالي لانتقال جاك وريتشارد من ثاير، وصل مورغان شلوت إلى الرصيف خارج البوابة الرئيسية لمدرسة ثاير.

أوقف سيارته على مساحة مخصصة بالموقف كُتب عليها للمقعدين فقط. نظر شلوت للمكتوب بلا اكتراث، مد يده إلى جيبه، أخرج حفنة كوكايين، واستنشق جزءًا منها.. بعد

لحظات، اكتسب العالم لونًا وحيوية، اشعرته المادة بروعة لا توصف، تساءل عما إذا كانت ستنمو في الأراضي، وإذا ما كانت ستصبح أقوى هناك...

أيقظه جاردنر بنفسه بمنزله في بيفرلي هيلز عند الساعة الثانية فجرًا ليخبره بما حدث... وكانت منتصف الليل في سبرينغفيلد، ارتجف صوت جاردنر، بدا خائفًا بشدة من أن يغضب مورغان، وغاضبًا لأن جاك سوير أفلت منه في أقل من ساعة.

"ذلك الفتى... ذلك الفتى الشرير، الشرير..."

لكن شلوت لم يغضب بل شعر بهدوء غير عادي، أنتابه إحساس بالقدرية، اعتقد أن مصدره ذلك الجزء الآخر منه... ما أطلق عليه «طابع أوريس» في تلاعب لغوي نصف مفهوم على كلمة الملوك.

قال شلوت مطمئنًا «اهدأ، سأصل حالما أستطيع.. تحمّل قليلًا يا عزيزي.»

أغلق الاتصال قبل أن يتمكن جاردنر من قول المزيد، واستلقى على السرير، شَبك يديه على بطنه وأغمض عينيه، شاعرًا بلحظة من انعدام الوزن... مجرد لحظة... ثم أحس بالحركة تحت جسده.. سمع صرير السيور الجلدية، وأنين وارتطام النوابض الحديدية الخشنة، وسبات سائقه.

فتح عينيه وهو مورغان أوريس،

كالعادة، ظهرت فرحة خالصة على وجهه.. جعلت الكوكايين يبدو كحبوب أسبرين للأطفال، أصبح صدره أضيق، ووزنه أخف.. كان معدل ضربات قلب مورغان شلوت يتراوح بين خمس وثمانين إلى مئة وعشرين عند الغضب؛ بينما قلب أوريس نادرًا تجاوز خمسة وستين تقريبًا.. نظرته 20/20، لكن أوريس رأى أفضل بلا جدال.. رصد وتتبع أدق الشقوق في جدار العربة الجانبي، وتأمل نعومة ستائر الشبك التي تهب عبر النوافذ، سدّ الكوكايين أنف شلوت، مخدرًا حاسة الشم لديه؛ بينما أنف أوريس صافي تمامًا، شمّ الغبار والتراب والهواء بدقة كاملة كأنه قادر على إدراك كل جزيء وتقديره.

ترك خلفه سريرًا مزدوجًا فارغًا ما زال يحمل آثار جسده الكبير، وجلس الآن على مقعد أثخن من أي مقعد في أي رولز رويس قد صُنعت يومًا، متجهًا غربًا نحو نهاية المستعمرات الأمامية، نحو مكان يُدعى مستودع المناطق المتقدمة، نحو رجل يُدعى أندرس.. عرف كل هذه الأمور، عرف مكانه بالضبط، لأن أوريس لا يزال هنا، داخل رأسه... يتحدث إليه كما يتحدث الجانب الأيمن من الدماغ إلى الأيسر العقلاني خلال أحلام اليقظة، بصوت منخفض لكنه واضح تمامًا.

تحدث شلوت إلى أوريس بنفس هذا الصوت المنخفض في المرات القليلة التي هاجر فيها أوريس إلى ما اعتبره جاك الأراضي الأمريكية، وعندما هاجر ودخل جسد توأمه، أحدث ذلك نوعًا من الاستحواذ الحميد.. قرأ شلوت عن حالات أكثر

عنفًا للتلبس، وعلى الرغم من أن الموضوع لم يثير اهتمامه كثيرًا، خمّن أن التعساء المساكين المصابين بذلك استولى عليهم متسابقون مجانين من عوالم أخرى... أو ربما العالم الأمريكي نفسه أفقدهم عقولهم.. بدا ذلك ممكنًا جدًا؛ فقد أثر بالتأكيد على رأس أوريس في أول مرتين أو ثلاث مرات هاجر فيها، رغم حماسه الشديد وخوفه في الوقت ذاته.

ارتفعت العربة بقوة في المستعمرات المتقدمة، سلك الطرق كما وجدها، ممتنًا لله لأنها موجودة على الأقل، حرك أوريس نفسه على المقعد، وصدر عن قدمه الملتوية ألمًا خافتًا.

"تمسّك بثبات، لعنك الله!" تمتم السائق من الأعلى، صفّق سوطه وصاح بقوة.. "انطلقوا، يا أبناء الموتى الزانيات! امضوا قدمًا!"

ابتسم شلوت في متعة من وجوده هناك، رغم أن ذلك لن يطول سوى لحظات.. فلقد علم بالفعل ما يحتاج أن يعرفه؛ حين همس له صوت أوريس.. ستصل العربة إلى مستودع المستعمرات المتقدمة.. مدرسة ثاير في العالم الآخر.. قبل الصباح بوقت طويل.. ربما كان من الممكن أن يقودهم هناك لو تأخروا قليلًا؛ أما إذا لم يفعلوا، فالأراضي الملعونة كانت في انتظارهم.. تألم وغضب شلوت وقتنا فكر أن ريتشارد صار الآن مع الوغد جاك سوير، لكن إذا تطلّب الأمر تضحية... حسنًا، فقد فقد أوريس ابنه ونجا.

الشيء الوحيد الذي أبقى جاك حيًا كل هذا الوقت كان

حقيقة طبيعته الوحيدة... عندما ينتقل الصبي إلى مكان، كان دائمًا في نظيره من المكان الذي تركه، أما شلوت، فكان ينتهي دومًا حيث أوريس، وقد يكون ذلك أميالًا بعيدًا عن المكان الذي يحتاج أن يكون فيه... كما هو الحال الآن.. كان محظوظًا في منطقة الاستراحة، لكن سوير كان أكثر حظًا.

قال أوريس «حظك سينفد قريبًا، يا صديقي الصغير.»

زمجرت العربة بقوة أخرى.. عبس شلوت، ثم ابتسم.. إذا لم يكن شيء آخر، فقد بدأت الأمور تتضح من تلقاء نفسها، حتى بينما أخذت المواجهة النهائية أبعادًا أوسع وأعمق.

كفى.

أغمض عينيه وشبك ذراعيه لهول اللحظة، شعر بدوي آخر للألم في قدمه المشوهة... وعندما فتح عينيه، وجد شلوت نفسه ينظر إلى سقف شقته.. كالعادة، لحظة سقوطه في جسده السمين اشعرته بالدوار، ورظ قلبه بضربة مزدوجة مفاجئة، ثم تسارع.

نهض عن سريره واتصل بـ شركة الساحل الغربي للطائرات الخاصة، بعد سبعين دقيقة، غادر مطار لوس أنجلوس الدولي.

شعور الانطلاق الحاد والمفاجئ لطائرة Lear دبت في نفسه الحماسة كما اعتاد وكأن شعلة نار التصقت بمؤخرته!

هبطوا في سبرينغفيلد عند الساعة الخامسة وخمسين

بالتوقيت المركزي، تمامًا كما كان أُوريس يقترب من مستودع المستعمرات المتقدمة في الأراضي، استأجر شلوت سيارة هيرتز، وها هو قد وصل السفر الأمريكي له مزاياه.

خرج من السيارة، ومع بدء أجراس الصباح بالرنين، مشى في حرم ثاير الذي فارقه ابنه منذ قليل.

كان لكل شيء روح صباح أحد أيام الأسبوع في ثاير.. أجراس المَصلّى تعزف لحنًا صباحيًا طبيعيًا، كلاسيكيًا لكنه غير مألوف تمامًا، يشبه قليلًا النشيد الكنسي «لك يا الله» لكن ليس هو.. مرّ الطلاب بجانب شلوت في طريقهم إلى قاعة الطعام أو إلى تدريبات الصباح، كانوا أكثر هدوءًا قليلًا من المعتاد، وتبادلت عيونهم نظرة باهتة ومذهولة قليلًا، كما لو أنهم خاضوا جميعًا في حلم مزعج.

بالطبع، هكذا كان، فكر شلوت، توقف لحظة أمام نلسون هاوس، متأملًا.. لم يعرفوا ببساطة مدى عدم واقعية وجودهم، كما هو حال جميع الكائنات التي تعيش قرب الأماكن الرقيقة بين العوالم... مشى حول الجانب الآخر، ورأى عامل صيانة يجمع الزجاج المكسور الذي رقد على الأرض كالماس المزيّف، ومن خلف ظهره المنحني، رأى شلوت داخل صالة نلسون هاوس، حيث جلس ألبرت الضخم بهدوء غير معتاد، يحدق بلا مبالاة في رسم كارتوني لـ باجز باني.

بدأ شلوت بالتحرك نحو مستودع المستعمرات المتقدمة، بينما تحولت أفكاره إلى المرة الأولى التي هاجر فيها أُوريس

إلى هذا العالم.. وجد نفسه يفكر في تلك الذكريات بنوع من الحنين الذي، عند التوقف للتفكير فيه حقًا، كان شبه مقرف فقد كاد أن يقتل، كلاهما كاد أن يقتل، لكن ذلك حدث في منتصف خمسينيات القرن الماضي، والآن هو في منتصف الخمسينيات... وذلك أحدث كل الفرق في العالم.

كان عائدًا من المكتب، والشمس تغرب في ضباب لوس أنجلوس الملطخ بألوان بنفسجية دافئة ودخان أصفر... وذلك قبل أن يشتد تلوث الضباب في المدينة.

وقف على الجادة الغربية، ناظرًا إلى لوحة إعلان لأسطوانة جديدة لـ Peggy Lee، حين شعر ببرودة اجتاحت ذهنه.. بدا الأمر كما لو أن ينبوعًا قد انفتح فجأة في عقله الباطن، فاض بغرابة عجيبة تشبه... تشبه...

(تشبه القذف!)

... حسنًا، لم يكن يعلم بالضبط كيف كان الأمر.. إلا أنه سرعان ما أصبح دافئًا، واكتسب وعيًا، ولم يمر سوى لحظة حتى أدرك أن الأمر يتعلق به، أوريس، ثم انقلب كل شيء رأسًا على عقب كما لو فتح باب سري على محوره خزانة كتب على جانب، وخزانة كلاسيكية على الجانب الآخر، كلتاهما تتناسبان تمامًا مع جو الغرفة... وجلس أوريس خلف مقود سيارة فورد موديل 1952، مرتديًا بدلة بنية مزدوجة الصدر وربطة عنق جون بينسكي، أوريس الذي مد يده نحو خاصرته، ليس من الألم بل بدافع الفضول المثير للاشمئزاز

قليلًا... أوريس الذي، بطبيعة الحال، لم يرتدِ سراويل داخلية قط.

تذكر لحظة كادت فيها الفورد أن تصعد على الرصيف، حينها تسلّم مورغان شلوت... الذي أصبح الآن العقل الخفي الجزء الأكبر من القيادة، وأوريس صار حرًا ليواصل طريقه، متأملًا كل شيء، شبه فاقد للعقل من شدة السعادة.. وما تبقى من مورغان شلوت أيضًا شعر بالبهجة؛ ببهجة الرجل الذي يُري صديقه منزله الجديد للمرة الأولى ويكتشف أن الصديق أعجبه بقدر إعجابه هو نفسه.

دخل أوريس إلى مطعم "فات بوي درايف إن"، وبعد بعض التلعثم مع النقود الورقية الغريبة لمورغان، طلب همبرغر وبطاطس مقلية وشيكولاتة سميكة، خرجت الكلمات بسهولة من فمه.. تدفقت من ذلك العقل الخفي كما تتدفق المياه من ينبوع.. تردد في قضم أول لقمة من الهمبرغر... ثم التهم البقية بسرعة الذئب الذي يلتهم وجبته الأولى من ووبر.. كدس البطاطس في فمه بيد واحدة بينما ضبط الراديو باليد الأخرى، ملتقطًا خربشة جذابة من موسيقى البوب وبيري كومو وبعض الفرق الكبرى والإيقاعات الأولى للبلوز.. شرب العصير سريعًا ثم طلب المزيد من كل شيء...

في منتصف الهمبرغر الثاني، بدأ يشعر بالغثيان.. سواء هو أو أوريس. فجأة بدا البصل المقلي قويًا جدًا، ثقيلاً على الحلق؛ فجأة انتشرت رائحة عادم السيارات في كل مكان،

حكته ذراعه بعنف، خلع معطف البدلة المزدوجة الصدر (العصير الثاني، هذا الموكّا، سقط على جانب دون اهتمام، مذيبًا الآيس كريم على مقعد الفورد) ونظر إلى ذراعيه.. نمت بقع حمراء قبيحة ذات مراكز حمراء هناك، وبدأت بالانتشار.. ارتجت معدته، مال إلى الخارج عبر النافذة، وحتى أثناء قيئه في الصينية المثبتة هناك، شعر بأن أوريس يهرب منه، عائدًا إلى عالمه الخاص...

"هل يمكنني مساعدتك، سيدي؟"

"هممم؟" انثشل سلوت من تأملاته، نظر حوله.. كان هناك فتى طويل أشقر، يبدو بوضوح طالبًا من الصفوف العليا، يرتدي زيًا تقليديًا أنيقًا... سترة زرقاء مصنوعة من الصوف فوق قميص مفتوح الياقة وسروال جينز باهت.

مرّر يده عن عينيه اللتين تحملان نفس النظرة الحالمَة والمذهولة.. «أنا إيثريدج، سيدي، كنت أتساءل إن كان بإمكاني مساعدتك.. بدا عليك... الضياع.»

ابتسم سلوت..فكّر في أن يقول... لكنه لم يقل...» لا، هذا هو شكلك، صديقي.. «كل شيء على ما يرام..» كان الطفل سوير لا يزال طليقًا، لكن سلوت عرف إلى أين كان متجهًا، وهذا يعني أن جاكي على سلسلة.. سلسلة غير مرئية، لكنها سلسلة.

"ضائع في الماضي، هذا كل شيء" قال.. "أيام قديمة.. أنا لست غريبًا هنا، سيد إيثريدج، إذا كان هذا ما يقلقك.. ابني

طالب.. ريتشارد شلوت."

اتسعت عينا إيثريدج أكثر حالمًا للحظة... في حيرة وضياع... ثم عاد صفاؤهما. «بالطبع. ريتشارد!» صاح.

"سأتوجه لرؤية المدير بعد قليل.. أردت فقط التجول قليلًا أولاً."

"حسنًا، أظن أن هذا مناسب." نظر إيثريدج إلى ساعته.. "لدي خدمة الطاولات هذا الصباح، لذا إذا كنت متأكدًا من أنك بخير..."

"أنا متأكد."

أومأ إيثريدج برأسه، مبتسمًا ابتسامة باهتة قليلًا، وابتعد.

راقب شلوت ذهابه، ثم نظر إلى الأرض بين نيلسون هاوس ومكانه الحالي، لاحظ النافذة المكسورة مرة أخرى.. خط مستقيم.. كان من العدل أكثر من العدل أن يفترض أن الولدين هاجرا إلى الأراضي المتقدمة بين نيلسون هاوس وهذا المبنى المثمن الطوبي. إذا أراد، يمكنه تتبعهما. مجرد خطوة إلى الداخل، لم يكن هناك قفل على الباب، والاختفاء ثم الظهور مرة أخرى حيثما كان جسد أوريس في تلك اللحظة.. سيكون قريبًا، وربما، في الواقع، أمام نفسه أمين المستودع.. لا هراء حول الهجرة إلى مكان يبعد مئة ميل عن محطة الاهتمام في جغرافيا الأراضي، ولا طريقة لعبور المسافة سوى بالعربة أو... ما هو أسوأ... ما كان والده يسميه

«فرس الأرجل».

على الأرجح كان الولدان قد مضيا قدمًا بالفعل... إلى الأراضي الملعونة. إذا كان الأمر كذلك، فالأراضي الملعونة ستنهيهما.. و«توأم» جاردنر المنير، أوزموند، سيكون قادرًا تمامًا على استخراج كل المعلومات التي يعرفها أندرس.. أوزموند وابنه البشع، لا حاجة للهجرة على الإطلاق.

ربما... يمكنه إلقاء نظرة سريعة.. لمجرّد الشعور بمتعة الانتعاش تلك، متعة أن يعود أوريس من جديد، ولو لثوانٍ معدودة.

ولـ يطمئن بالطبع.. فحياته كلّها، منذ الطفولة، لم تكن سوى تمرينٍ متواصل على التحقّق والتأكّد من كل شيء.

ألقى نظرة حوله يتأكد من أن إيثريدج لم يتباطأ في رحيله؛ ثم فتح باب المستودع ودخل.

لفحته رائحة عتيقة، داكنة، محمّلة بالذكريات... رائحة مساحيق التجميل القديمة وقطع الديكور القماشية، وللحظةٍ راوده شعور غريب، بل مجنون، أنه أقدم على شيء يفوق فكرة الإنتقال نفسها غرابة؛ إذ أحسّ كأنما عاد بالزمن حقًا إلى أيامه الجامعية، يوم كان هو وفيل سوير طالبين مسحورين بالمسرح، لا حديث لهما إلا العروض والخشبات.

لكن ما إن اعتادت عيناه الضوء الخافت حتى ظهرت له تفاصيل أخرى... دعائم غير مألوفة، تكاد تكون مفرطة

السذاجة تمثال جبسي لـ بالاس من أجل عرض لقصيدة الغراب، وقفص طيور مذهّب بإفراط، ومكتبة تفيض بأغلفة الكتب المزيفة فأنتبه أنه في ذلك المكان البائس الذي تطلق عليه مدرسة ثاير اسم المسرح الصغير.

توقف للحظة، يستنشق غبار المكان بعمق؛ رفع عينيه إلى شعاع شمس متراقص تسرب عبر نافذة صغيرة، وفجأة أصبح أكثر ذهبية، بلون ضوء المصباح كما في الأراضي، هكذا!

وكأنه لم ينتقل، فقط وجد نفسه في الأراضي.

اجتاحته موجة مذهلة من مشاعر الإثارة بسبب سرعة التغيير.. عادةً ما كان هناك توقف، إحساس بالانزلاق من مكان إلى آخر، ذلك الفاصل الذي تناسب تمامًا مع المسافة بين الجسدَين الفيزيائيَين لنفسيه، سلوت وأوريس.

مرة، عندما هاجر من اليابان، حيث كان يتفاوض على صفقة مع الأخوين شو حول رواية فظيعة عن نجوم هوليوود المطاردين من نينجا مجنون، طال توقفه لدرجة أنه خشي أن يضيع إلى الأبد في ذلك المطهر الفارغ والعديم المعنى الذي يوجد بين العوالم.. لكن هذه المرة كانا قريبين... قريبين جدًا! كان الأمر، كما تذكر...

(كما تذكر أوريس)

وكأنهما، في تلك المرات، رجل وامرأة وصلا إلى النشوة في

ذات اللحظة بالضبط وينطفئا معًا...

حلّت رائحة الزيت المحترق في الأراضي محل رائحة الطلاء الجاف والقماش.

المصباح على الطاولة كان يوشك على الانطفاء، مرسلاً دخانًا أسود كثيفًا.. على يساره، كانت هناك طاولة مهيأة، وبقايا وجبة متصلبة على الأطباق الخشنة... ثلاثة أطباق.

تقدم أوريس، يسحب قدمه العرجاء قليلاً كما يفعل دائمًا، أمال أحد الأطباق، وترك ضوء المصباح المرتجف ينساب بشكل غير مستقر على الدهون.

من أكل من هذا؟ هل كان أندرس؟ أم جيسون؟ أم ريتشارد... الصبي الذي كان أيضًا سيصبح راشتون لو عاش ابنه؟

لقد غرق راشتون أثناء السباحة في بركة ليست بعيدة عن البيت الكبير. نزهة، شرب فيها أوريس وزوجته كمية من النبيذ، وتحت حرارة الشمس نام الطفل الرضيع، مارس اوريس وزوجته الحب، ثم غرقا أيضًا في النوم تحت أشعة الشمس الدافئة، استيقظا على صرخات الطفل.. استيقظ راشتون وتوجه إلى الماء، استطاع أن يسبح قليلاً كالكلب، فقط بما يكفي ليبتعد إلى عمقه قبل أن يختل توازنه ويصاب بالذعر.

تقدم أوريس إلى الماء متعثرًا، غطس، وسبح بأقصى ما

يستطيع نحو المكان الذي كان الصبي يتخبط فيه. لقد كانت قدمه... قدمه اللعينة... هي التي أعاقته وربما كلفت ابنه حياته.. حين وصل إلى الصبي، كان يغرق، تمكن أوريس من الإمساك به من شعره وسحبه إلى الشاطئ... لكن آشتون كان قد مات وازرق لونه.

وانتهى الأمر بانتحار مارغريت قبل مرور أقل من ستة أسابيع.

بعد سبعة أشهر من ذلك، كاد ابن مورغان سلوت الصغير أن يغرق في حوض سباحة جمعية الشبان في ويستوود أثناء حصة المجدفين الصغار، تم سحبه من الماء أزرقًا وميتًا تمامًا مثل راشتون... لكن حارس الإنقاذ قام بعملية الإنعاش الفموي، واستجاب ريتشارد سلوت.

"الله يدق مساميره"، فكر أوريس، ثم جذب شخير عميق ومبهم رأسه بسرعة إلى الوراء.

كان أندرس، حارس المستودع، مستلقيًا على حصيرة في الزاوية، قد ارتفعت تنورته الكلتية الصوفية حتى الأرداف، قربه رأى جَرّة فخارية مقلوبة من النبيذ، وقد تدفق معظم ما بها إلى شعره.

شخر مرة أخرى، ثم تأوه، كما لو إنه في كابوس سيء.

"لا حلم قد تراه يمكن أن يكون أسوأ من مستقبلك الآن"، فكر أوريس بجدية، تقدم خطوة نحو الرجل، ورداؤه يتهادى

حوله، نظر إلى أندرس بلا شفقة.

طالما استطاع سلوت التخطيط للقتل، لكنه أوريس، من هاجر مرارًا وتكرارًا، ليقوم بالفعل..

كان أوريس في جسد سلوت من حاول خنق الرضيع جاك سوير بوسادة بينما كان المذيع المصارع يثرثر في الخلفية، أوريس من أشرف على اغتيال فيل سوير في يوتا (تمامًا كما أشرف على اغتيال نظيره، الأمير العادي فيليب سواتيل، في الأراضي).

احب سلوت الدماء، لكنه في النهاية كان حساسًا تجاهها بقدر ما كان أوريس حساسًا تجاه الطعام الأمريكي والهواء الأمريكي.. كان مورغان من أوريس، الذي كان يُسخر منه باسم مورغان صاحب القدم الثقيلة، هو من نفذ دائمًا الأفعال التي خطط لها سلوت.

"ابني مات... لكن ابنه ما زال حيًا.. ابن سواتيل مات... لكن ابن سوير ما زال حيًا.. لكن يمكن إصلاح هذه الأمور.. سيتم إصلاحها.. لا تمائم لكم، أصدقائي الصغار.. أنتم مآلكم نسخة مشعة من أوتلي، ولكل منكم على الميزان موتٌ مستحق.. الله يدق مساميره، وإذا لم يفعل الله، فكونوا متأكدين أنني سأفعل"، رددها بصوت عالٍ.

تأوه الرجل على الأرض مرة أخرى، كما لو أنه سمعه.. تقدم أوريس خطوة أخرى نحوه، ربما ليركله كي يوقظه، ثم أمال

رأسه، من بعيد سمع صوت حوافر، وصرير السرج الخافت، والصياح الخشن للرعاة.

إنه أوزموند إذن.. حسنًا.. دعه ينجز المهمة هنا... فهو نفسه لم يكن مهتمًا كثيرًا بمحاورة رجل يعاني من صداع الثمالة، حيث أدرك تمامًا ما سيتفوه به هذا الرجل.

تقدم أوريس نحو الباب، فتحه، ونظر إلى شروق الشمس الساحر بلون الخوخ في الأراضي، من هذا الاتجاه.. اتجاه شروق الشمس.. اقتربت أصوات الخيالة.

سمح لنفسه بالاستمتاع بتلك الأشعة الساحرة للحظة، ثم استدار نحو الغرب مرة أخرى، حيث مازالت السماء بلون كدمة جديدة، كانت الأرض مظلمة... إلا حيث امتدت أشعة الشمس في زوج من الخطوط المضيئة المتوازية.

"أولاد، لقد ذهبتم إلى موتكم"، فكر أوريس برضا... ثم خطر في باله فكرة جلبت له رضا أكثر.. ربما قد ماتا بالفعل...

"جيد"، قال أوريس، وأغلق عينيه.

بعد لحظة، كان مورغان سلوت ممسكًا بمقبض باب المسرح الصغير في مدرسة ثاير، يفتح عينيه، ويخطط لرحلته إلى الساحل الغربي.

"قد يكون الوقت مناسبًا لرحلة صغيرة على درب الذكريات"، فكر.. "إلى مدينة في كاليفورنيا تُدعى بوينت فينوتي. ربما رحلة إلى الشرق أولًا.. زيارة للملكة..ثم..."

"هواء البحر"، قال موجهًا حديثه لتمثال بالاس، "سيفيدني".

انحنى إلى الداخل مجددًا، استنشق دفعة أخرى من الزجاجة الصغيرة في جيبه (متناسيًا روائح القماش والمساحيق)، وبهذا الانتعاش، اتجه عائدًا مرة أخرى لسيارته.

---

(1) من شخصيات مارفل

(2) التوأمين المتطابقين في أليس في بلاد العجائب

(3) دمة هاتفية تقدم الدعاء أو الاستماع للمصلين وأيضًا هناك فيلم درامي كوميدي من إنتاج عام 2015 يحمل نفس الاسم. في سياقات دينية، قد تستخدم الخدمة الهاتفية طريقة تواصل مباشرة مع الله للصلاة والدعاء. أما في السياق الفني، فالفيلم يروي قصة امرأة شابة تعمل في مركز اتصال للصلاة.

(4) يُستخدم لوصف شخص خبير في حساب الاحتمالات، غالبًا ما يكون ذلك في سياق الرهان والألعاب.

(5) اسم التل خارج القدس الذي يُعتقد أن يسوع المسيح صُلب فيه. يُشار إليها أيضًا باسم "تل الجلجثة"، وهي موقع ذو أهمية دينية كبيرة في المسيحية.

(6) يشير إلى طعام أمريكي تقليدي شهي يُقدّم في تجمعات مجتمعية أو حفلات، مع التركيز على الأطباق الريفية الشهية والبسيطة.

(7) آلة الأرغن الموسيقية ذات الأنابيب.

(8) أصدر صوتًا كالشخير (هذا هو المعنى الحرفي لما ورد بالرواية الأصلية وآثرت عدم تغييره لأنه لفظا صحيحًا لغويًا).

(9) المزمور السابع والثلاثون من سفر المزامير

(10) في النص الأصلي مكتوب أرضية اللينوليوم وهو نوع من الأرضيات الملساء المصنوعة من مزيج من زيت الكتان والفلين ونشارة الخشب والمواد الراتنجية، وتستخدم كثيرً في المدارس والمستشفيات والمباني العامة وقد قصدت الاكتفاء بالوصف دون ذكر اسم نوعية الأرضية في النص المترجم لجعله أكثر انسيابية وأعمق في الوصف الوجداني للواقع المحيط بجاك في تلك اللحظة في حالة من التباين بين احتقان الموقف وبرودة الأرضية والقوة في مقابل الضعف والعنف والتنمر في مقابل الخوف واللامبالاة لفتيان الدار في مقابل شجاعة وولف والغدر به بمنتهى الجبن وانكسار روح جاك من الداخل بل وتمزقه بين كل ما يحدث...

(11) نفايات المعدن بعد الصهر وهي مادة خشنة رمادية تميل إلى السواد تتكون من شوائب الحديد أو النحاس بعد إذابته.

(12) علامة تجارية لتبغ الغليون يتم تصنيعها في الدنمارك

(13) طبق أمريكي يتكون من فطيرة من اللحم المفروم، تُصنع عادة من اللحم البقري وتُخلط مع مكونات مثل فتات الخبز والبيض والبصل، ثم تُطهى وتُقدم مع صلصة بنية سميكة. شقي هذا الطبق نسبةً إلى الدكتور جيمس هـ سالزبوري، الذي روّج لنظام غذائي يعتمد على اللحوم في القرن التاسع عشر.

(14) مؤسس وزعيم معبد الشعوب، اشتهر بعملية الانتحار الجماعي في 18 نوفمبر 1978 والتي راح ضحيتها ما يزيد عن 900 عضو من المعبد في جونز تاون، غيانا ، من بينهم أكثر من 200 طفل قتلوا جميعاً من جراء التسمم بمادة السيانيد، بالإضافة إلى قتل خمس أشخاص آخرين...

(15) أكاديمية تم تأسيسيها عام 1877 بناءً على وصية الجنرال ثاير، الذي كان المشرف على الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، وهي مدرسة مستقلة للتعليم المتوسط والثانوي تقع في ماساتشوستس.

(16) ربما قصد الكاتب أنه قد تم تصميم المبنى بأسلوب "باوهاوس" الحديث، الذي يتميز بالخطوط النظيفة، والزوايا الحادة، واستخدام الزجاج والصلب والطوب بشكل وظيفي. هذا الأسلوب كان حديثاً ومختلفاً عن باقي المباني التقليدية في الحرم الجامعي، مما جعله يبدو كـ "سفينة فضائية" أو "باخرة" غريبة وسط المباني الأخرى.

(17) اسم رواية سميت نسبة لمكان في إنجلترا لذا لا يمكن ترجمته حرفيًا كما ترجمت سيد الخواتم وهي من تأليف أديب بريطاني يدعى ريتشارد آدمز وتتحدث عن مجموعة أرانب تضطر لمغادرة جحرها المدمر بحثاً عن موطن آمن جديد. تستكشف الرواية مواضيع مثل البقاء، والقيادة، والحرية، والطغيان.

(18) "Oshkosh" هي مدينة أمريكية في ويسكونسن حيث تأسست الشركة، و"B'Gosh" هي كلمة أضيفت إلى اسم الشركة بعد سماع شعار شهير، بينما "bib overalls" تعني "مريلات" أو "لباسات" متصلة بصدرية، وكانت في الأصل تُصنع كملابس عمل متينة للمزارعين والعمال.